د. عبد الرحمن محمد حامد

القرآن
وعالم الحيوان

الدار السودانية للكتب
الخرطوم - شارع البلدية
ص.ب (٢٤٧٢) تلفون (٨٠٠٢١)
برقيا: توزيعدار

القرآن
وعالم الحيوان

بسم الله الرحمن الرحيم

أهديه ..

إلى روح أخي حامد محمد حامد ...

وإلى طلائع الصحوة الإسلامية ، وركبها المرتقب ..

عبد الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليخرج الناس من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة ، والصلاة والسلام على هادي البشرية ومعلم الإنسانية ، آخر إشراق السماء إلى الأرض ، سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله ، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم .

وبعد ...

فإن أعظم مفسر لكتاب الله سبحانه وتعالى هو الزمن ـ وهذا سر إعجازه ـ وهو ماأشار إليه بقوله : ﴿ سنُريهم آياتِنا في الآفاقِ وفي أنفسِهم حتى يتبَيَّنَ لهم أنهُ الحقّ ﴾ .

فكلما توالت حقب الزمان علم الله الإنسان علماً لم يكن علمه من قبل ، فيميط اللثام عن خفاء الكون ، فيزداد إيمانه بكتابه الأكبر الذي جاء هداية للبشرية كلها . وفي ذات الوقت وضع مفاتيح الكون في يد الإنسان ليلج بها أبواب المعرفة على توالي الأزمان إلى أن يصل إلى أمده المحدود الذي شاءه له خالقه .

ومن ضروب الهداية في الحياة ماساقه القرآن عن عالم الحيوان ، الذي بين أن

كل لون منها إنما هو أمة من الأمم ، وعلى الإنسان أن يفيد منه في ذاته وفي تصرفاته ﴿ ومامِن دابَّةٍ في الأرضِ ولاطائرٍ يطيرُ بجناحَيْهِ إلا أمَمٌ أمثالُكم ، مافرَّطنا في الكتابِ من شيءٍ ﴾ .

يقول الرسول الكريم ﷺ : « لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرتُ بقتلها ، فاقتلوا منها الأسود البهيم » .

ودراسة الحيوان أصبحت علماً متخصصاً واسعاً ، وأصبح الإنسان في عالم اليوم ألصق بالحيوان منه في عالم الأمس ، وماذكره القرآن من أنواعه هي أكثر الحيوانات جدوى ونفعاً بالنسبة له .

ومما يشرح الصدور أن بعضاً من شبابنا الباحث ، قد أقبل نحو القرآن ، يحاول الإمساك من خلاله ببعض مفاتيح الكون ، ليرفع الستار عن المحجوب ، حتى يغنم الناس في حياتهم ، وتتجلى لهم عظمة الخالق الذي أنزل الكتاب تبياناً لكل شيء .

وقد اطلعت ـ قبل الطبع ـ على البحث الكبير الذي كتبه الأخ الدكتور عبد الرحمن محمد حامد بعنوان (القرآن وعالم الحيوان) فوجدت أنه بلغ من الاستقصاء والاستقراء في هذا المقام ، مايقف شاهداً على إخلاص النية وصدق العزيمة ، والتقرب إلى الله بالتدبر والتأمل في كلامه العزيز ، لإخراج مايحوي من كنوز باقية ، فهو بحث يدخل في باب التفسير الموضوعي للقرآن ، وهو التفسير الذي اتجهت إليه الأنظار في العصر الحاضر أكثر من ذي قبل ، لأن طريقته كايقول الإمام محمود شلتوت رحمه الله « هي الطريقة المثلى وخصوصاً في التفسير الذي يراد إذاعته على الناس بقصد إرشادهم إلى ماتضمنه القرآن من أنواع الهداية ، وإلى أن موضوعات القرآن ليست نظريات بحتة ، يشتغل بها الناس من غير أن

يكون لها مثل واقعية فيما يحدث للأفراد والجماعات من أقضية ، ويتصل بحياتهم من شؤون » .

ومع أن البحث لم يوضع كتفسير للقرآن إلا أن القضايا التي استخلصت من آيات الحيوان فيه تعطينا مانصبو إليه من الإفادة بالقرآن .

وقد تتبع الباحث حياة الحيوان الذي ذكر في القرآن بتفصيل دقيق من الناحية العلمية البحتة ، فأبان الفوائد التي يمكن أن تجتنى منه ، والمضار التي يمكن تجنبها ، فظهرت الحكمة فيما أحل الله وماحرم .

كما أن تصرفات الحيوان لها الأثر البالغ في حياة الإنسان ، لذلك نبهه اللطيف الخبير إلى ذلك ، كما نجد في قصة هابيل وقابيل والغراب من حيث السلوك .

وكما نجد في قصة سليمان عليه السلام والنملة ، من حيث الإدارة والمحافظة على الحياة .

وكما نجد في قصة الرجل الذي مر على القرية الخاوية والحمار ، من حيث الدلالة على البعث ، إلى غير ذلك مما لفت القرآن أنظار المتأملين إليه كتنبيه الناس إلى التأمل في حياة النحل من حيث العمل والإدارة وقياس المسافات وهندسة المنازل .

ولاأظنني بحاجة إلى تلخيص ماورد في الكتاب من قيمة علمية تقود إلى قيمة أخلاقية هي هدف الإسلام .

غير أني أسجل إعجابي بهذا البحث الذي سيفتح للقراء آفاقاً جديدة لفهم القرآن الكريم ، وكان من الممكن أن يكتب الباحث في مجال تخصصه بعد أن أخرج كتابه المفيد (الأمراض المتناقلة بين الإنسان والحيوان) إلا أنه أراد أن

يربط تخصصه بكتاب الله ، وأن يقعّد ماعنده من علم على آياته الكبرى ، حتى يسير الناس في حياتهم على بصيرة ، ويؤمنوا بأن خالق الكون هو الذي سخر لهم ذلك وماكانوا له مقرنين .

فسبحان الله العظيم والحمد له أولاً وآخراً ، ظاهراً وباطناً .

دكتور عبد العزيز محمد عثمان

رئيس قسم التفسير

كلية الدراسات الإسلامية

جامعة أم درمان الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ولقد صرَّفنا في هذا القرآن للنّاس من كُلِّ مثلٍ
وكان الإنسانُ أكثر شيءٍ جدلاً ﴾

(الكهف : ٥٤)

أخرج البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال :
قال رسول الله (ﷺ) :

« إن هذا القرآن نزل على خمسة أوجه ..
حلال ، وحرام ، ومحكم ومتشابه وأمثال .
فاعملوا بالحلال ، واجتنبوا الحرام ، واتبعوا المحكم .
وآمنوا بالمتشابه واعتبروا بالأمثال .. »

تصدير

تعمق الحيوان في النفس البشرية منذ بدائيتها مادياً وروحياً ومعنوياً ... وقد تدرجت تلك العلاقة من المنفعة إلى التقديس والعبادة ... ، من التأثير النفسي إلى الاعتقاد والتأليه .. ، فقد عبد قدماء المصريين أسماك (القنوم) النيلية . ، واتخذ الوثنيون الحيوان طوطماً[1] ليرمز لصلة روحية خفية يعتقدون وجودها بين الطوطم ومتخذه .. ، ويحدث أن تجد لكل أسرة وعشيرة طوطماً يقدسونه ويعبدونه ، أو يتخذونه رمزاً إلى معبودات مخصوصة .. ، ويعتقدون أن للحيوان المقدس بعض خصائص المعبود الذي يشخصه .. ، وكانوا يسجدون له عند مرورهم به .. ، ويذهبون أكثر من ذلك ، فيقدمون له النذر والهدايا والقرابين .. ، وكان للطوطم الحيواني عندهم حظ أكثر من طوطم النبات والجماد .. ،[2] وقد وجدت رسوم في جدران الكهوف تدل على تلك الصلة الروحية وأثرها في الفن والأدب حينئذ ...

كما أدخل الإنسان الحيوان في حكاياته وأساطيره وخرافاته .. ، فالمنتقور (MANTICORE) مثلاً حيوان خرافي له رأس إنسان ، وجسم أسد ، وذيل تنين أو عقرب .. ، والاسفينكس (أبو الهول SPHINIX) كائن خرافي من الميتولوجيا (علم الأساطير) له جسم أسد ، وأجنحة ، ورأس امرأة وصدرها ... ، وكان

---

(١) الطوطم (TOTEM) أو التوتم : كلمة أنتربولوجية (علم الأجناس) تعني الحيوان أو النبات أو غيرها ، تقدسه القبيلة أو المجموعة من الناس ، وتعتبره رمزاً لها وحامياً والطوطمية (TOTEMISM) هي مجموعة القوانين والعادات التي تدور حول عبادة الطوطم ، والتي تكون نظاماً دينياً واجتماعياً متكاملاً ..

(٢) موسوعة شامبر (chamiber encyclopaedia)

الفراعنة يرسمون ثعبان الصل المصري (uraeus) وهو يقضم ذيله في رأس الفراعنة ، ويرمزون بذلك لموقف الشخص الذي لم يتطور وعيه أو ذاته ، أو الشخص ذي المبادئ المتناقضة : سلبية وإيجابية ، ذكرية وأنثوية .. ، والذي يعيش نتيجة لذلك في فوضى أولية .. ، وتعرضت قصص العرب وأساطيرهم للغول والعنقاء المُغْرِب ..

وفي الفلسفة الهندوسية البوذية ، حيث تسود فكرة وحدانية الحياة مع تعدد مظاهرها نجد مثالاً لتقديس الحيوان في عالم اليوم ، فهم - وكنتيجة لفكرة المبدأ البوذي - يحترمون الحيوان ويعطفون عليه ، ويقدسون الأبقار ولا يؤذون ذاروح[1] فقتل الذباب جريمة في الديانة الهندوسية ، وقد ورد ذكر الذباب في الوصايا البوذية الخمس ، ويشرب الهندوس بول الأبقار اعتقاداً في مفعوله التطهري للروح والبدن ...

ثم تغيرت مكانة الحيوان من معبود في ذاته إلى وسيلة يتخذها الوثنيون والجاهليون صلة تقربهم من معبوداتهم عن طريق الذبائح والقرابين .. ، وبذا أدخل الجاهليون وغيرهم من المشركين ذبيحة الحيوان في شؤون الاعتقاد وأصول التدين .. ، وصارت الذبائح جزءاً من عباداتهم ، يتقربون بها لأصنامهم وآلهتهم .. ، وجعلوا منها قرابين يذبحونها عند نصب آلهتهم ، ويهللون بأسمائها عند الذبح والتقديم .. ، واتخذ الوثنيون اليونانيون والرومانيون ذبائح تتنوع وتتعدد بتعدد معبوداتهم .. فعند اليونانيين القدماء نجد ذبائح النذور ، وذبائح الاستعطاف ، وذبائح الوحي ، وذبائح التيسير في الأعمال .. ، وتبعهم الرومانيون فخصوا كل معبود لهم بذبيحة يحبذها ، في اعتقادهم وقسّموا ذبائحهم

---

(١) ينادي مذهب الأهيسا (AHIMSA) الهندوسي البوذي بالامتناع عن إيذاء أي كائن حي ..

لعمومية تذبح باسم الجمهورية ، وخصوصية تذبح باسم العيال ، وغربية لمعبودات المدن والولايات ...

وجاء الناموس الموسوي فرتب ذبائح اليهود ، وحصر تقديمها في عائلة هارون .. فصارت عندهم ذبيحة المحرقة ، وذبيحة الخطايا (التكفير) ، وذبيحة السلامة .. ، أما الذبيحة عند النصارى فهي دم وجسد المسيح ، ويقدمان بين يدي الكهنة على المذبح في صورة خمر وخبز ، فيحيلهما قداس الكاهن إلى لحم ودم ، فتتم الذبيحة .. ، غير أن المذهب البروتستانتي ينكر ذلك صورة واستحالة ، ويعتبر المسيح هو الذبيحة الأخيرة ...

أما الصلة المادية النفعية ، فهي تتمثل في الحيوان كمصدر لطعام الإنسان وغذائه .. ، واختلف الناس .. قديماً وحديثاً .. ، أمماً وشعوباً فيما يحل لهم ومالا يحل لهم من الأطعمة الحيوانية .. ، فالعبرانيون والفرس والهنود وقدماء المصريين يقسمون الحيوانات إلى طاهرة ونجسة .. ، ويكاد التمييز فيها بين الطهارة والنجاسة أن يقوم على أصول عمومية واحدة .. ، زاد إليها الناموس الموسوي تفاصيل دقيقة[1] .. ، ولا يميز النصارى دينياً بين الحيوانات ، غير أن للعادة والذوق نصيباً فيما يأكلون : فهم مثلاً يأكلون لحم الخنزير ، ولا يأكلون لحوم الجمال .. ، وكثيراً ما تميز الأمم بين ما تأكل تمييزاً عرفياً وذوقياً وصحياً أيضاً ، فقدماء المصريين لا يأكلون السمك ، وخاصة عديم الحراشيف .. ، وعللوا ذلك بوجود أمراض جلدية ـ لا توجد بين الشعوب التي لاتقتات باللحم ـ تكثر بين من يقتاتون بالأسماك ، ومن أجل ذلك حرموا أكل الحيوانات آكلة اللحوم .. واليابانيون يأكلون لحوم الأسماك النيئة .. ، وتؤكل الكلاب في المكسيك وحوض نهر الكونغو ، وفي الصين حيث تؤكل الثعابين أيضاً ... ، والقرود طعام محبب في

---

(١) الإصحاح ١١ لاويين ، والإصحاح ١٤ ، ٢٤ من سفر التثنية ..

الكونغو وفرموذا .. ، ولحم الضب[1] يؤكل في الجزيرة العربية .. ، ولحم الخيل والحمير يستخدم في صناعة السجق في هنغاريا ، وفي المكسيك نوع من النمل يمتص المواد السكرية التي يفرزها المن (الندوة العسلية) ، فتنتفخ بذلك بطونها شرهاً ، ولا تجد للحركة سبيلاً فيتناولها آكلوها طعاماً شهياً .. ، وكان العرب يتلذذون بأكل الجراد المشوي ، فمن أمثالهم (أفلت من جرادة العيار) ، وهو رجل كان يشوي جرادة ، فأدارها إلى فمه قبل أن تحترق فأفلتت وطارت ... وفي الجزيرة العربية كان الحيوان أحد أعمدة الحياة .. ، لا ينفصل عن العربي في إقامته وظعنه .. ، فهو رب الشويهة مقيماً .. وصاحب البعير ظاعناً ومسافراً ومتاجراً ومحارباً .. ، من حيوانه يأكل لحماً ويشرب لبناً ، ويتخذ من وبره وصوفه وشعره مساكنه وزاربيَّه وعبقريه (بسطه الفاخرة) .. ، فتعمق الحيوان في نفس العربي .. ، وتعرف هو على حياة الحيوان : أليفه وأوابده .. ، وبذلك صار الحيوان أقرب الأشياء إلى معرفته وإدراكه وفهمه .. ، وظهر أثر ذلك في الأدب العربي ، شعراً ونثراً ، واحتل من ذلك قدراً كبيراً بقدر أهميته وأثره في حياة العربي وبقدر ما يحتله في نفسيته[2] ... ، وكان كل ذلك سبباً لما وجده في كتابات من تحدثوا عن الحيوان ، وحياته وقصصه[3] وقد سميت بعض القبائل العربية باسم الحيوان كبني أسد ...

يتحدث كتاب (الصيد عند العرب)[4] عن صلة الحيوان بالعربي قائلاً : ـ

---

(١) في صحيح البخاري ومسلم حديث الضب لما قدموه مشوياً إلى رسول الله (ﷺ) فأهوى (ﷺ) بيده إليه ، فقالوا : هو الضب يا رسول الله ، فرفع الرسول (ﷺ) يده .. فقالوا .. أحرام الضب يا رسول الله ، قال : « لا ولكنه لم يكن بأرض قومي فأجدني أعافه » .

(٢) كحكاية طرفة بن العبد وناقته ، والنابغة الذبياني وثوره ، ولبيدٍ وحماره الوحشي ..

(٣) الجاحظ والدميري ، والقلقشندي ، والنويري ، وإخوان الصفا ، وابن المقفع ، وابن طفيلٍ ، والأصمعي ، وأبو عبيدة وغيرهم ..

(٤) الصيد عند العرب ـ د . عبد الرحمن رأفت ص (٢٣) .

« يقتـاتـون بلحمـه إذا عضهم الجـوع ، ويصطلـون بعظمـه إذا مسهم البرد ، ويستنيرون بدهنه إذا أظلم عليهم الليل ، ويتخذون من أوبـاره غطـاءً وكسـاءً ، ويجعلون من جلوده بساطاً وسقاءً .. »

وقد كانوا يتجولون في البوادي والصحارى . لـذا فقـد اهتم العرب بصيـد البر والجو ، وقليلاً ماكانوا لصيد البحر يغشون .. وكنتيجة لتلك المعاشرة في البـاديـة والصحراء ، منفعة واتقاءً ، عرف العرب طبائع الحيوان وسلوكه ، ولكنها معرفـة لم تكن ذات حظ عظيم من دقة البحث العلمي المنظم[1] ..

ولم يكن الإنسـان دائماً هو أستـاذ الحيوان في كل أطوار علاقتها ، فكثيراً مـا كان الحيوان أستاذاً له ، قال أحد ملوك فارس عن البازي :

« لقـد رأيت من هـذا الطـائر مـايحير اللب ، ويملأ القلب ، فهـو عظيم السطوة ، شـديـد البـأس ، كبير النفس ، طـويل الصبر ، جليـل القـدر ، تخـافـه الطيور ولا يخـافهـا . ، ولقـد علمني هـذا الطـائر كثيراً مـما لم أكن أعلم من شؤون المملكة وسياسة النـاس ، فقـد أرشـدني إلى التزام الحرمـة ، والاستتـار من أوبـاش النـاس ، وغض الطرف لاستمرار الهيبـة ، ودوام الصمت للخـديعـة ، والسرعـة في البطش لتخـويف الأعـداء ، وطـول الأكل لـلاستمراء ، وتصغير اللقم لـلأمن من الغصة ، وتشمير الثوب للنظافة ، وعلى الجملة فقد جمع هـذا الطـائر ضروب الأدب مع العقل الكامل »[2] .

ومن ظـاهرة التخفي عنـد الحيـوان أخـذ علمـاء الطبيعـة الفكرة التطبيقيـة والفنية لخداع نظر العـدو في علوم التخفي العسكريـة ، وفي الصيـد ..: فحشرات النطـاط مثـلاً تتكيف مـع بيئتهـا ، فتشبـه أوراق النبـات ... وهروب أم الحبر

---

(١) كان الجاحظ علمياً بالمقارنة لكتابات غيره ، واهتمامها باللغة .

(٢) الصيد عند العرب ، ص ١٢

(cuttle fish) ، والأخطبوط (octopus) تحت ستار سحب يصنعها من سائلٍ حبريٍّ أسود ، نجد له شبهاً في السفن الحربية وأسترة الدخان .. ، وثدييات وطيور المنطقة المتجمدة الشمالية يماثل لونها في الشتاء بياضاً ثلوج المناطق المتجمدة الشمالية ، أما في الصيف فيصبح لونها رمادياً أسمر ليمكنها من الاختفاء بين النباتات الجافة المبعثرة في بيئتها ... وهكذا يفعل الإنسان بمظهره الخارجي عندما يريد أن يتخفى ... فالصياد في الغابة يلبس من الملابس ما يقارب ألوان أشجارها ليختفي بينها مقترباً من فريسته ... ، والجيوش تخفي آلياتها حسب بيئة المعركة ، فعند الغابات مثلاً ، يخفون آلياتهم وأنفسهم بحمل أغصان الأشجار الخضراء ... ﴿ وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير بجناحيه إلاَّ أممٌ أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ﴾ .

ومن دروس الحيوان أيضاً ما قاله القائد المغولي تيمورلنك عن النملة ، وقد وجد من سلوكها مايقيم سلوكه : ـ « علمتني الثبات في مواقف الأهوال .. » وفي كل ذلك تبصرة وتذكرة وعظة للإنسان ، حتى لا يمتلئ غروراً وجهلاً ، فيخال أن الحياة هي نتاج عقله ومعرفته . ويكفي مثلاً أنه كلما تعمق الإنسان في معرفته بعالم النحل ، وهو جزء بسيط من المخلوقات ، يلمس أطرافاً جديدة من جهله بأسرار الوجود ..

وبمرور الأزمان يتمكن الإنسان من معرفة دور الحيوان في الحياة ، وذلك بواسطة تجاربه وعلمه البشري المحدود .. ، فللحيوان دور كبير في توازن البيئة ، وخاصة دورتي الأوكسجين وثاني أوكسيد الكربون في الجو .. ، ويؤثر الحيوان على الطبيعة تعديلاً وهدماً وبناءً ، غير أنه لا تظهر نتيجة ذلك التغيير الضخم إلاَّ بعد مرور حين من الدهر ، لأن ذلك يتم ببطء شديد .. ، فديدان الأرض التي تعيش في داخل التربة ، وبعض الحشرات : كالنمل ، تقوم بعملية التعديل ، والتي

ينتج عنها تخصيب التربة برفع الجزء الأعمق منها إلى سطح الأرض .. ، وعندما تثقب الحيوانات الرخوة الصخر الصلب على شواطئ الأنهار وسواحل البحار ، فإنها بذلك تمهد للأمواج ، وتيارات المياه الجارفة الطريق إلى هدم تلك الصخور المثقوبة ، فتتم بذلك عملية الهدم .. ، أما مثال البناء فيحدث عن طريق حيوان المرجان صانع الشعب المرجانية ، والفورا مينيفيرا (Fora minifera) ، وذلك عن طريق تكوين الحجر الجيري ، والذي يتكون برفع الحركات الأرضية لهياكل وأصداف تلك الحيوانات بعد موتها .. ، وقد بنيت تلك الهياكل والأصداف من كربونات الكالسيوم في مياه البحار والمحيطات ...

ودخل الحيوان اليوم كل جوانب حياة النّاس ، فهو في غذائهم وشرابهم وعلاجهم ، وبحثهم .. ، وفي جدهم ولهوهم وتسليتهم .. ، فقد استخدم الحيوان في الألعاب البهلوانية والسيرك ، وفي كشف الجريمة وتتبعها ... ، ودخل عالم السينما بوجود الحيوانات الممثلة أمام آلات التصوير في استديوهات هوليود ... ولما كان الحيوان قريباً للنفس البشرية وخاصة نفوس الأطفال .. ، ولأن الطفل يستعين دائماً على الفهم بالتجسيد ، فقد استخدم الحيوان في توضيح الفكرة والمراد في الموضوع لأذهان الأطفال في منازلهم ومعاهدهم ووسائل تعليمهم ... ، ويظهر ذلك في كتب حكايات الصغار وأدب الأطفال ولعبهم ، وفي الرسوم المتحركة : كأفلام الكرتون التلفزيونية والسينمائية ، وذلك لما للحيوان من مكانة محببة ومقربة في نفوسهم ...

وتتم تربية الحيوان اليوم بمختلف طرق التربية الحديثة ، سواء كان ذلك في المزارع أو الأكاديميات والمعامل والحقول العلمية المختلفة .. ، وعلى الإنسان أن يدرك أن مانتج عن التطور العلمي والتغيير الحضاري في بيئته للأفضل ، وما أدخله ذلك على حياة الحيوان وبيئته ومرعاه من تقنية ، وما أثمرت عنه العلوم

المختصة في دراسة الحيوان من تقدم في الناحية الغذائية ، والتناسلية ، والتهجينية ، والعلاجية ، والوقائية ، يجب أن توجه ثماره لمنفعة الإنسان وتقدمه لا لهدم حضارته ودنياه ودينه ... ، وعندئذ فقط يكون الحيوان قد أدى رسالة وجوده بحسن التوجيه والتسخير لخدمة الإنسان ، ليتفرغ الإنسان لتعمير الأرض شاكراً لله أنعمه وفضله ...

تعرض بعض السابقين من الكتاب لموضوع الحيوان في القرآن ، فعددوا وذكروا أسماءها ، وبينوا مواضعها ، ورتبوها مفهرسة ، وحاولوا معرفة الحكمة من ذكرها ... ، وفي كل الأحوال تعرضوا لها جملة لا تفصيلاً ...

يقول الجاحظ[1] .. :

« وقد ذكر الله عز وجل في القرآن العنكبوت والذر والنمل والكلب والحمار والنحل والهدهد والغراب والذئب والفيل ، والخيل والبغال والحمير والبقر والبعوض والمعز والضأن والبقرة والنعجة والحوت وذا النون ، فذكر فيها أجناساً فجعلها في الذلة والضعف ، وفي الوهن ، وفي البذاء والجهل .. وقال الله تعالى ﴿ إن الله لا يستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها .. ﴾ فقللها كما ترى ، وحقرها وضرب بها المثل ، وهو مع هذا جلَّ وعلا لم يمسخ أحداً من حشد أعدائه وعظمائهم بعوضة .. وقال تعالى : ﴿ يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له ﴾ وإنما قرع الطالب في هذا الموضع بإنكاره وضعفه إذ عجز ضعفه عن ضعف مطلوب لا شيء أضعف منه : وهو الذباب ، ثم بعد ذلك لم تجده جلَّ وعلا ذكر أنه مسخ أحداً ذباباً .. وقال : ﴿ إن أوهن البيوت لَبَيْتُ العنكبوت ﴾ فدل بوهن بيته على وهن خلقته ، فكان ذلك القول دليلاً على التصغير والتقليل ، وإنما لم يقل إني مسخت

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ١٢ ـ ١٣ / ٤

أحداً من أعدائي عنكبوتاً .. وقال تعالى : ﴿ فمثله كمثل الكلب ... ﴾ فكان في ذلك دليل على ذم طباعِه ، والإخبار عن تسرعه وبذائه وعن جهله في تدبيره وتركه وأخذه ، ولم يقل إني مسخت أحداً من أعدائي كلباً ..

وذكر الذرة فقال : ﴿ ومن يعمل مثقال ذرة .. الآية ﴾ فكان ذلك دليلاً على أنه من الغايات في الصغر والقلة ، وفي خفة الوزن وقلة الرجحان ، ولم يذكر أنه مسخ أحداً من أعدائه ذرة ، وذكر الحمار فقال : ﴿ كمثل الحمار يحمل أسفاراً ﴾ فجعله مثلاً في الجهل والغفلة وفي قلة المعرفة وغلظ الطبيعة ، ولم يقل إني مسخت أحداً من أعدائي حماراً ، وكذلك جميع ما خلق وذكر من أصناف الحيوان بالذم والحمد ، فأما غير ذلك مما ذكر من أصناف الحيوان فإنه لم يذكره بذم ولا نقص ، بل قد ذكر أكثرهن بالأمور المحدودة ، حتى صار إلى ذكر القردة فقال : ﴿ فجعل منهم القردة والخنازير ﴾ فلم يكن لها في قلوب الناس حال ، ولو لم يكن جعل لها في صدور العامة والخاصة من القبح والتشويه ونذالة النفس مالم يجعله لشيء غيرهما من الحيوان ، لما خصها الله تعالى بذلك ... »

وقال أيضاً ...[1] :

« اعلم رحمك الله تعالى ـ أن الله عز وجل قد أضاف ست سور من كتابه إلى أشكال من أجناس الحيوان ، الثلاثة منها ما يسمونه باسم البهيمة ، وهي سورة البقرة وسورة الأنعام وسورة الفيل ، وثلاثة مما يعدون اثنين منها من الهمج ، وواحدة من الحشرات ، فلو كان موقع ذكر هذه البهائم وهذه الحشرات والهمج من الحكمة والتدبير موقعها من قلوب الذين لا يعتبرون ولا يفكرون ولا يميزون ولا يحصلون الأمور ولا يفهمون الأقدار ، لما أضاف هذه السور العظام الخطيرة

---

(١) كتاب الحيوان للجاحظ ١٥٢ / ٥

الشريفة الجليلة إلى هذه الأمور المحقرة السخيفة والمغمورة المقهورة ، ولأمر ما وضعها في هذا المكان ، ونوه باسمائها هذا التنويه ... »

وذكر السيوطي ..[1] :

« فائدة : قال بعضهم : سمى الله في القرآن عشرة أجناس من الطير : السلوى والبعوض والذباب والنحل والعنكبوت والجراد والهدهد والغراب وأبابيل ، والنمل ، فإنه من الطير ، لقوله في سليمان : ﴿ علمنا منطق الطير ﴾ وقد فهم كلامها . وأخرج ابن أبي حاتم عن الشعبي قال : النملة التي فقه سليمان كلامها كانت ذات جناحين .. »

وقفت كثيراً وأنا أقرأ القرآن ، فأمر بآيات تذكر الحيوان ... ، وتمعنت كثيراً فيما كتب عن ذلك على قلته . ثم شاء الله أن تكوّن علوم الحيوان جانباً من ثقافتي .. ، ومن ثم بدأت أتساءل وأنا أقرأ القرآن عن تلك القيم الإيمانية المقرونة بواقع الحياة ، والتي تسير مجابهة للقوانين الطبيعية والكونية ... ، فوقفت على الإرادة والتدبير ومطلق المشيئة والقصد من الوجود ... ، وأيقنت أن القرآن قد قابل الحياة البشرية في عصر التنزيل ، ويجابهها في عالم الآفاق ، وفي مسرح النفس البشرية بحيوية وواقعية هي في ذاتها معجزة تقود للإيمان ... ، فالإنسان يلاحظ ويستقرئ من التجارب علومه المادية ... ، وهو يتلقى من ربه طرق معرفة العقيدة والتشريع والأخلاق ... ، وعندما تتفاعل هاتان المعرفتان تنتج معرفة الإنسان بنظمه الاجتماعية ، فيسخر علمه المادي بنفس هذبتها الهداية والإيمان وصدق الضمير ... ، فيحفظ ذاته ونوعه وينمو ويتطور ، تديناً ، وعلماً وسلوكاً .. ، ثم يضيف تجربته لتجارب بشر سبقوه في الزمان حياة ، فهو بذلك

---

(١) الإتقان في علوم القرآن ـ السيوطي ١٤٤ / ٢

يصنع حضارته .. ، فإذا بالإنسان مفكراً قادراً على الاختيار واتخاذ القرار ، مكلفاً بأوامر الله ونواهيه فيختلف بذلك عن غيره من الأنام ... فالحيوان بفطرته يبقى ويحفظ نوعه ، وقد يجد من الكيد لغيره لذلك سبيلاً ، وهو يحفظ ذاته ، فيطلب قوته عن طريق ما توفره البيئة أو الاحتيال ، ولا يخلو في كل ذلك من حذر في طبيعته يتقي به المخاطر في حياته .. ، ولكنه لا يضيف تجربة لرصيد سابقيه من الدواب ... ، فهو لا يدونها ولا يحفظها ، وليس له من فطرته لكل ذلك من سبيل ...

هكذا كانت فكرة هذا الكتاب ... : بدأت ضرباً من ضروب التعبد تمعناً ...، ثم تساءلت .. كيف يكون الربط بين الحقائق العلمية والآيات القرآنية ..، فهداني الله لما أراد ، فكان الكتاب لوناً من ألوان البحوث الدينية العلمية ... والقرآن لم ينزل كتاب علم وإن كان يستمد عناصر التشبيه من الطبيعة ، ولكنه جاء ليبين العقيدة ، ويقوم الأخلاق ، وينذر من كان حياً ، وليعلمه الأحكام أمراً ونهياً ..، فهو كلام الله ومعجزته العقلية الباقية لرسوله ﷺ ..، فالعرب كانت تعتز بلغتها وتجويدها ، ونزل القرآن بلسانهم متحدياً ، ولم ينزل من أجلهم فقط ... ﴿ وماهو إلا ذكر للعالمين ﴾ (القلم : ٥٢) ، و ﴿ إن هو إلاَّ ذكر للعالمين ﴾ (التكوير : ٢٧) .

وكثيراً ماترددت .. وذلك لعظمة الموضوع وارتباطه بالقرآن ، ولصعوبة البحث فيه لطوله ودقته ، وتشابكه وتداخله ..، فأقف برهة .. ثم أواصل البحث تحت تشجيع مرجع مفيد ..[1]، أو تساؤل لكاتب مفكر إسلامي عن الثمرة التي تعود على تعميق الإيمان وفهم القرآن ـ كتاب المسلم عقيدة وشريعة ومنهاجاً وسلوكاً ـ إذا استخدمت الحقائق العلمية في توضيح وتفسير الآيات القرآنية في عالم

---

(١) مع القرآن في عالمه الرحيب (فصل : رحلة مع عالم الحيوان في كتاب الله) د . عماد الدين خليل ...

الغيب والشهادة ... فقد نادى المفكر وحيد الدين خان ...[1] بشرح الإشارات القرآنية حول آيات الكون باستخدام تفاصيل العلوم الحديثة ..، وتعرض شوقي أبو خليل لذات الموضوع قائلاً ...

« لقد ألف علماؤنا الأكارم ـ جزاهم الله خيراً ـ كتباً عديدة ومجلدات كبيرة في الفقه والتجويد ... وتوسعوا ، وتوسعوا ، وحبذا لو أخذوا آيات « العلم » في القرآن الكريم وشرحوها ، وألفوا حولها وتوسعوا بها لتدل شبابنا على الله عز وجل ...

حبذا لو ألفوا حول الأنعام ، النمل ، النحل ، والعنكبوت ... التي هي عناوين سور كريمة في القرآن الكريم ، لنعرف الخالق عز وجل من دراسة حياتها ، وطرق معاشها وتصرفاتها ، فنعرف الله قيوم السماوات والأرض أولاً ، ونغرس الإيمان في النفوس ، ثم يأتي الفقه ثابتاً على قاعدة إيمانية عميقة ... »[2]...

وأجد نفسي أمام معضلة أخرى : هي وقفة تأمل وفحص لنظرة المغالاة والانبهار بما جد من علوم كونية ومن يقف مع ذلك من مفسِّرين ... وبين نظرة المتحفظين والمنبهين لخطورة الانزلاق لمكان سحيق تحت ذلك الجرف الهاري من التفاسير ...

يقول د . محمود زهران عن حادثة أصحاب الفيل[3]...

« ولعل المراد بالحجارة الصغيرة جراثيم الأمراض ، تفشت فيهم ، وفتكت بهم ، فأنهكت قواهم ، وهرأت جلودهم ، وسوست عظامهم ، وأفنتهم فجعلتهم رمماً

---

(١) المختار الإسلامي : ص ٢٤ : طبعة : ا ـ ١٩٧٨ م .

(٢) غريزة أم تقدير إلهي ؟! ص ١٢٥ ، ١٢٦ ـ ط ١ ، ١٩٧٥ دار الفكر ..

(٣) قصص القرآن ص ٢٤٧ / ٢٤٨ ـ مكتبة غريب .

وجيفا . فمثلهم كمثل الزرع ، إذا أكلته البهائم ، وهضمته في كروشها ، وأخرجته روثاً قذراً ، تشمئز منه النفوس ، وتتقزز منه العيون ... » .

كما فسر آخر الآية ١٨٩ من سورة الأعراف ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملاً خفيفاً فمرت به فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين ... ﴾ محاولاً أن يجد فيها علاقة بين النفس وزوجها ، وبروتون وألكترون الذَّرة ...

وأثارت تفسيرات الدكتور مصطفى محمود في (التفسير العصري للقرآن) عن بعض الإشارات العلمية في القرآن ، الكثير من الجدل والرد عن طريق كتابة المؤلفات ... فقد ردت عليه الدكتورة عائشة بنت الشاطئ في كتاب (القرآن وقضايا الإنسان[1]) وعبد المتعال الجبري في كتابه (شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن)[1]...

ويقول الأستاذ عباس محمود العقاد في (موسوعة العقاد الإسلامية) متحدثاً عن نفس الموضوع[2]...

« وكل مايجب على المسلم أن يؤمن به : أن كتابه الإلهي يأمر بالبحث والتفكير ، ولاينهاه عنه ، ولايصده عن النظر والتأمل في مباحث الوجود وأسرار الطبيعة ، وخفايا المجهول كيفما كان ، ولكنه لايأمره بالتماس التوفيق بين نصوصه وبين نظريات العلوم كلما ظهرت منها نظرية يحسبها العلماء ثابتة مقررة ، وهي عرضة بعد قليل للنقض أو التعديل ، بل لايأمره الكتاب بالتوفيق بين الكيفيات التي يفهمها العلم والكيفيات التي يقدرها العقل لفهم المسائل الكونية في بداءتها الأولى ونهايتها الأخيرة بين طوايا الغيب المجهول ...

---

(١) انظر موضوع العنكبوت .

(٢) موسوعة العقاد الإسلامية ص ٢٠٦ ، ٢٠٧ / ٤ ـ دار الكتاب العربي .

« فنحن مطالبون بأن نفهم القرآن الكريم ، ومطالبون بأن نفكر وأن نستفيد لأفكارنا من علوم العصر الذي نعيش فيه ، ولكننا لانطالب في عصر من العصور بأن نعلق إيماننا بتفسير النظريات العلمية وهي لاتستقر عصراً واحداً على تفسير غير قابل للنقض أو التعديل أو التحوير ... » .

ويتابع بحثه في كتاب آخر قائلاً[1] ... :

« فالقرآن الكريم يطابق العلم ، أو يوافق العلوم الطبيعية بهذا المعنى الذي تستقيم به العقيدة ولاتتعرض للنقائص والأظانين ، كلما تبدلت القواعد العلمية أو تتابعت الكشوف بجديد ينقض القديم ، أو يقين يبطل التخمين ... » .

والذي لاخلاف حوله أن بعض الآيات القرآنية قد تعرضت لموضوعات علمية إشارة تعميم وإجمال ... فلم تفصل ذلك ولم تحلله ... وليس ثمة نص من النصوص القرآنية يناقض حقيقة علمية ثابتة ، ولكنه أشار لحقائق علمية هي ناحية كبرى من نواحي الإعجاز القرآني ...

وعلينا ـ ونحن نتحدث عن العلم ـ أن نعلم أن هناك فرقاً كبيراً بين النظرية العلمية والحقيقة العلمية : فالنظرية العلمية قابلة للتعديل والتغيير والتطور ، وتقبل إضافة عناصر جديدة تفقدها ... ويعمل بها في مجال التنبؤ بما يجد من ظواهر وعلاقات أو تفسير ظاهرة علمية سبق أن أثيرت حولها شكوك في التنظير ..، أما الحقيقة العلمية فلاشك مطلقاً في ثبوت نصوصها وموادها ، وهي لاتعدل ولاتغير ولاتبدل ، وهي في نفس الوقت لاتغير في تفسير ماثبت من حقائق قبلها ...، إذاً فالحقيقة العلمية تمر بمرحلة التجربة والفرض والنظرية ، ولاتتقيد بالمكان والبيئة والتجربة والمجرب .. فتصير قانوناً علمياً ...، ثم تخرج عن قيود الزمان فتصير حقيقة علمية وناموساً كونياً لايتبدل ...، وهنا يختفي معنى

(١) القرآن والعلم ص (٢٠ ، ٢١) .

معركة تقوم بين علماء الكونيات والطبيعيات وعلماء النصوص والتفاسير ..، فالحقيقة العلمية المادية الثابتة يتساوى في الأخذ بها والمنفعة بها المؤمن وغير المؤمن .. غير أن المؤمن يستخدمها لتعميق إيمانه ، ويتخذها دليلاً وبرهاناً ليظهر بها حجته على ذلك الإيمان الغيبي ... ومهما بلغ العلم البشري ـ ماديه ونظريه ـ من تقدم ومعرفة في دنيا المجهول لنا المعلوم لخالقه ، فعلى المؤمن ألا ينبهر به ، ولاينهزم أمامه ، فهو علم قليل ﴿ ومأأوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ . ولاضرورة أبداً نراها مبررة لمحاولات التوفيق بين الحقائق العلمية ، وبين الآيات القرآنية ذات الإشارات العلمية ، والتي لاتشير لتلك الحقائق المعينة ، رجماً بالغيب ، وجهلاً بالمضمون ، مع حسن القصد والغرض ، أو كنتيجة للذهول والانبهار بنتائج البحث العلمي ، والحضارة الغربية المادية الفانية ... فعلى المؤمن أن يقف من العلوم الحديثة ونتائجها موقف الدارس الباحث المتأمل المستيقن بأن خطورة العلم على اعتقاده لاتكمن في الحقائق العلمية ، وإنما تكمن في العقل الذي يصوغ تلك الحقائق ويحصها ، ويستنتج منها ، ثم يعرضها موجهة لخدمة مايريد ..، ويكمن أيضاً في اللغة التي تصاغ بها لتوضحها للأذهان ، فقد يدخل الغرض ، وقد توجه اللغة لخدمته ...

فموقف المسلم المؤمن أن يتيقن أنه لاخلاف بين حقائق العلم والقرآن وطبيعة الإيمان ...، ولاتعارض ولاتصادم بينهما إلاَّ عندما يساء تفسير الحقائق العلمية التي ذكرها القرآن ، أو يكون مايستدل به دون مرحلة اليقين والحقيقة العلمية : كأن يكون فرضاً أو تجربة أو نظرية أو قانوناً علمياً ...

يقول الدكتور موريس بوكاي[1]...

---

(١) طبيب فرنسي وأحد من قاموا بمقارنة الدراسات العلمية بالكتب السماوية ... ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ـ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ، ص ١١ ، ١٢ ط ٤ ، ١٩٧٧ دار المعارف ...

« ... وسوف نرى فيما بعد أن القرآن يثير وقائع ذات صفة علمية ، وهي وقائع كثيرة جداً ، مع قلتها في التوراة ، إذ ليس هنالك أي وجه للمقارنة بين القليل جداً لما أثارته التوراة من الأمور ذات الصفة العلمية ، وبين تعدد وكثرة الموضوعات ذات السمة العلمية في القرآن ، وأنه لايتناقض موضوع ما من مواضيع القرآن العلمية مع وجهة النظر العلمية .. ، وتلك هي النتيجة الأساسية التي تخرج بها دراستي ... » .

ويضيف قائلاً[1] ...

« وأن الدراسة التي نقدمها الآن تختص بماتنبأت به الكتب المقدسة فيما يتعلق بالظاهرات الطبيعية المتنوعة الكثيرة ، والتي تحيط تلك الكتب بقليل أو بكثير من التعليقات والشروح .. ، ولابد من الملاحظة أن الوحي القرآني غني جداً في تعدد هذه المواضع ، وذلك على خلاف ندرتها في العهدين القديم والجديد ...

« لقد قمت أولاً بدراسة القرآن الكريم ، وذلك دون أي فكر مسبق ، وبموضوعية تامة باحثاً عن درجة اتفاق نص القرآن ومعطيات العلم الحديث .. ، وكنت أعرف قبل هذه الدراسة وعن طريق الترجمات ، أن القرآن يذكر أنواعاً كثيرة من الظاهرات الطبيعية ، ولكن معرفتي كانت وجيزة ... ، وبفضل الدراسة الواعية للنص العربي استطعت أن أحقق قائمة ، أدركت بعد الانتهاء منها أن القرآن لايحتوي على أي مقولة قابلة للنقد من وجهة نظر العلم في العصر الحديث ... »[1] .

وقفت على كل ماسبق وعلى غيره من نقاط التفكير والتمعن ، ثم استأنفت مسيرتي نحو تحقيق هذا البحث مراعياً فيه : فهم الكلمات القرآنية كما كانت تعني ،

---

(١) موريس بوكاي - نفس المرجع السابق ، ص ١٣ ...

وتحمل من معنى إبـان نزول القرآن الكريم ... ، ومـدققاً في فهمي وتقريري على ألاَّ أعـدل عن حقيقـة إلى مجـاز إلاَّ إذا منعت القرائن الـواضحـة في نفس السيـاق القرآني من حقيقة اللفظ كما هو ، ومابقي إلاَّ أن تحمل على المجـاز ... ، ومستيقنـاً أن القرآن الكريم قد قال بكنه ماأدرك العلم بدون تفصيل أو إشـارة لقصـد ... ، وأن الله قـد احتفـظ بعلم ذلـك ليَجِـدّ الإنسـان في معرفتـه بعقلـه ، فيكشف منـه القليل ... وأن مـااكتشفـه العلم الحـديث من حقـائـق علميـة هي مـوجـودة منـذ الأزل ، وإن لم يبلغهـا علم الأولين .. ، واستـوطنت نفس مَنْ بعـد ، وسكنت للإيمان بالله بـاستخـدام العقل والبصيرة والتبصر في آيـات الأنفس والآفـاق ... ، فلانقاش لأمر أو تكليف من عند الله أبداً ، ولكنها تتفكر لتزداد إيمـانـاً .. ، وكان حـالهـا وهي تفكر وتكتب .. ، بلى آمنت بربي ، ولكن ليطمئن قلبي ... ومن هنا جاء هذا الكتاب .. نظرة علمية للحيوان في البيان القرآني ...

فقد أشار القرآن لعلم الحيوان والتـاريخ الطبيعي وكيميـاء اللبن ... كما أشـار لتصنيف الكائنات الحية ، وتعرض للمجموعـات الحيوانيـة ذات المعيشـة الجمـاعيـة والفردية وغيرها من مجموعات الدواب والطيور ... وفيه إشارة للعلوم التجريبية ، ومالها من تجربة ومشاهدة ونتيجة[1] ...

وقـد تعـددت طريقـة ورود الحيـوان في القرآن ... : فمرة يـذكر تصريحـاً : ﴿ كمثل الحمار ﴾ ، وأخرى يذكر فيها كنايـة عن مسمى : ﴿ ذو النون ﴾ ... كما يرد الحيوان عند ذكر منافعه واستخدامه ومنتجاتـه (العسل ، واللبن) ، ﴿ آتنـا غداءنا ﴾ ﴿ فإذا هي تلقف مايأفكون ﴾ فالله قد سخره للإنسان للانتفـاع بـه ، ولتوجيهـه لمصلحتـه بـاستثمـاره ... ، وحينـاً يستعـار للتمثيل بـه لتقريب المعـاني لـذهن المخـاطب وفهمـه .. : ففي القرآن وعـظ وحث وزجر واعتبـار وتقرير ،

---

(١) قصة سيدنا إبراهيم والطيور ، واطمئنان قلبه بالإيمان .

ولبيان ذلك كله يستخدم القرآن طريقة التشخيص ، حتى يستعين الذهن بالحواس لفهم المراد من الخطاب .. ولكي يقربه للعقل بصورة المحسوس .

« .. حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن .. فهو تصوير باللون ، وتصوير بالحركة ، وتصوير بالإيقاع ، وكثيراً مايشترك الوصف ، والحوار ، وجرس الكلمات ، ونغم العبارات ، وموسيقى السياق ، في إبراز صورة من الصور ، تتملاها العين والأذن ، والحس والخيال ، والفكر والوجدان ...

« وهو تصوير حيّ منتزع من عالم الأحياء ، لاألوان مجردة وخطوط عابرة ... تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات ، مع المشاعر والوجدانات ، فالمعاني ترسم ، وهي تتفاعل في نفوس آدمية حية ، أو في مشاهد من الطبيعة تخلع عليها الحياة ... »[1] .

وقد استخدم التعبير القرآني الحيوان في توضيح كثير من المعاني الذهنية المجردة ، والحالات النفسية والمعنوية للإنسان ... فتبدأ أمام القارئ صوراً حسية مجسدة ، (مثل بيت العنكبوت ، والجمل وسم الخياط ، ومثل من يشرك بالله وخطف الطير له ، ومثل عابد من دون الله والكلب اللاهث ، وانتشار الجراد والفراش المبثوث وحقيقة البعث) ، ... ويفهم أحياناً معنى الحيوان ضمنياً من سياق الحديث وجملة المعنى (عنصر التزاوج) ، ... وقد يتبادر للذهن بحكم مارسخ في الذهن من ارتباط المشار إليه بالحيوان أو حياته (الأعراب ، البدو ، والسبت) ، أو عند التعرض لحياة الحيوان صراحة ﴿ والذي أخرج المرعى ﴾ ﴿ كلوا وارعوا أنعامكم ﴾ ﴿ قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاء ... ﴾ ... وأحياناً يذكر بصيغة تشمل الحيوان مفرده وجمعه : (النعم ، والوحوش ، والأنعام ،

---

(١) التصوير الفني في القرآن للأستاذ سيد قطب .

والدواب ، والهيم ، والعشار ، وذِبْح) ... ويلمس ذكره أحياناً عن إرجاع الفعل لفاعله (الهدهد) : ﴿ وجدتها وقومها يسجدون ... ﴾ ، كما يشترك مع الإنسان في بداية الوجود ، ووحدة مصدر عنصر الخلق والتكوين ﴿ وجعلنا من الماء كل شيء حي ﴾ فالعنصر الأساسي في تركيب الأحياء واحد ، والأصل فيه النطفة وإن اختلفت أنواعها ، وحجومها ، وأشكالها وشياتها وألوانها ... ، ويسير معه في رحلة الحياة الدنيا وهو يؤدي رسالته من عبادات ومعاملات وعمران للكون (الهدي ، والذبائح والقرابين) ... ويصحبه وهو يعيش حياته الاجتماعية ومافيها من متاع ﴿ ماذكيتم ﴾ ، ومابها من زينة وجمال وجدٍّ وهزل ، وتفكر وتأمل في خلق الله وكونه ﴿ ولكم فيها جمال ﴾ ﴿ لتركبوها وزينة ﴾ ﴿ والطير فوقهم صافات ﴾ .. فتجري في نفسه لمسة وجدانية يشعر فيها بفيض نعم الله تغمره .. ، كما جاء الحيوان واصفاً مايدور من صراع في الحياة بين بني البشر (قصة الغراب وابني آدم) ، أو بينهم وبين الطبيعة وكوارثها (يوسف والبقرات السبع) ... ويتابع ذكر الحيوان مصير الإنسان للفناء والموت ، ومايعقبه من بعث ونشور : ﴿ أرني كيف تحيي الموتى ﴾ ، ﴿ كأنهم جراد منتشر ﴾ إلى أن يجد الإنسان جزاء ماقدم من عمل ﴿ كأنهن بيض مكنون ﴾ ، ﴿ كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ ﴿ كأنه جمالتٌ صفر ﴾ ، فيكون الحيوان بذلك قد رافق الإنسان في القرآن ذكراً من المصدر إلى المصير ...

ذلك جهد المقل أقدمه مجاهدة للنفس وجهاداً ، سائلاً الله أن يكون كل نصيبي فيه حسن الجزاء لحسن المقصد ، وأن يغفر سبحانه ويتجاوز عن هفوة الخطأ والتقصير ...

وماأروع الأصفهاني إذ يقول :

« إني رأيت أنه لايكتب إنسان كتاباً في يومه إلا قال في غده : ـ

لو غير هـذا لكان أحسن ، ولـو زيـد كـذا لكان يستحسن ، ولـو قـدمَ هـذا لكان أفضل ، ولو ترك هذا لكان أجمل ... وهـذا من أعظم العبر ، وهو دليل على استيلاء النقص على جملة البشر ... » .

الباب الأول

الأنعام والدواب

﴿ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك
إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾

(فاطر : ٢٨)

وردت ألفاظ الأنعام والدواب في القرآن الكريم في مواضع كثيرة ، تختلف باختلاف ماأريد تبيينه في العبادات وفي المعاملات ، في آيات الغيب والشهادة ، وفي وحدة المصدر والمصير ، وفي وصف مسلك واتجاه الذين كفروا ..، وطلب الله من الإنسان أن يعمق إيمانه بالتفكر في الآفاق .. والدواب والأنعام هي إحدى آيات الآفاق ... هي من عند الله نعمة مسخرة للإنسان ليستخدمها في حياته ..، ونعم الله فيها ابتلاء لعبده ، فقد تنقلب نقمة عند من لايحسن توجيهها ...

﴿ إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ومأأنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون ﴾ (البقرة : ١٦٤) .

﴿ ألم تر أن الله يسجد له من في السموات ومن في الأرض والشمس والقمر والنجوم والجبال والشجر والدواب وكثير من الناس وكثير حق عليه العذاب ومن يُهن الله فماله من مُكْرِمٍ إن الله يفعل مايشاء ﴾ (الحج : ١٨) .

﴿ ومن الناس والدواب والأنعام مختلف ألوانه كذلك إنما يخشى الله من عباده العلماء إن الله عزيز غفور ﴾ (فاطر : ٢٨) .

﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع يخلق الله مايشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾

(النور : ٤٥)

﴿ ومن آياتـه خلق السَّموات والأرض ومـابث فيها من دابـة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير ﴾ (الشورى : ٢٩) .

﴿ وفي خلقكم وما يبث من دابة آيات لقوم يوقنون ﴾ (الجاثية : ٤) .

﴿ ومامن دابة في الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون .. ﴾ (الأنعام : ٣٨) .

﴿ إني توكلت على الله ربي وربكم مامن دابـة إلا هو آخـذ بنـاصيتهـا إن ربي على صراط مستقيم ﴾ (هود : ٥٦) .

﴿ ولله يسجـد مـافي السمـوات ومـافي الأرض من دابـة والمـلائكـة وهم لا يستكبرون ﴾ (النحل : ٤٩) .

﴿ ولو يؤاخذ الله النـاس بظلمهم مـاترك عليهـا من دابـة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم لا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون ﴾ (النحل : ٦١) .

﴿ ولو يـؤاخـذ الله النـاس بمـا كسبـوا مـاترك على ظهرهـا من دابـة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمىً فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيراً ﴾ (فاطر : ٤٥) .

نلمس في الآيـات السـابقـة دعوة مفتوحـة للتفكر والتفـاعل مع عـالم الغيب والشهادة ..، ودعوة للملاحظة والمشاهدة واستخدامها في معرفة مـايقول سبحـانـه وتعـالى في حقيقـة أن كل الكون ومـافيـه من حيـاة ومـا يحوي من عـوالم هي من خلقه ..، ولكنهـا تطيعـه وتسبحـه بلا استثنـاء .. إلا الإنسـان فمن مؤمن بـالله ، ومن جاحد وكفور ، فلا يسبح منه إلا القليل ..

وقرر سبحـانـه أن مـاخلق من دواب في الكون هي أمم : كل منهـا يسبحـه

بطريقته المحددة .. ولكل عالمه الخاص به[1] . فعلى الإنسان أن يتفكر ويتمعن فيها ، ليدرك مافيها من إعجاز وإحكام وإبداع في الصنع ...، كما يلفت الخالق بصيرة الإنسان وبصره إلى التفكر فيما عرفه علماء الكون من وجود الجماعات الحيوانية المختلفة ...، عله يدرك سر نجاحها في حياتها الجماعية ومافيها من نظام وطاعة ودقة عمل ...

وفي وصف الكفار يقول القرآن :

﴿ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون . الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ﴾ (الأنفال : ٥٥ / ٥٦) .

﴿ ولا تكونوا كالذين قالوا سمعنا وهم لا يسمعون . إن شر الدواب عند الله الصم البكم الذين لا يعقلون . ولو علم الله فيهم خيراً لأسمعهم ولو أسمعهم لتولّوا وهم معرضون ﴾ (الأنفال : ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣) .

﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام والنار مثوى لهم ﴾ (محمد : ١٢) .

﴿ أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلاّ كالأنعام بل هم أضل سبيلاً ﴾ (الفرقان : ٤٤) .

﴿ ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس لهم قلوب لا يفقهون بها ولهم أعين لا يبصرون بها ولهم آذان لا يسمعون بها أولئك كالأنعام بل هم أضل أولئك هم الغافلون ﴾ (الأعراف : ١٧٩) .

---

(١) عن أبي هريرة ، قال رسول الله ﷺ :

(قرصت نملة نبياً من الأنبياء ، فأمر بقرية النمل فأحرقت ، فأوحى الله تعالى إليه : إذا قرصتك نملة أحرقت أمة من الأمم تسبح ..) متفق عليه ..

وروى أبو داود والترمذي قول الرسول (ﷺ) : (لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها ..)

تصف الآيات الكافرين بأنهم لا يستخدمون عقولهم لمعرفة الإيمان بالله وحقيقته ، فكأنهم قد عطلوا صفة التفكير عندهم ، ولم يعودوا جديرين بالصفة البشرية .. ، فهم يعيشون فقط لتلبية حاجاتهم الحيوانية من أكل وشراب .. إنهم كالأنعام ... بل هم أضل فللأنعام استعدادات فطرية تهديها ... إذاً هم شر الدواب ...قلوبهم لا تعي .. ، عيونهم غير مبصرة ... ، وصعب على آذانهم أن تلتقط ما يهدي سواء السبيل ...

وقد كان القرآن دقيقاً في تصويره حيوانية الذين كفروا وغفلتهم : فهم دواب .. نزع عنهم صفة البشرية ... وهم شر الدواب لا ينتفعون بالهدى ... إنهم صم بكم لا يعقلون ، يأكلون ويتمتعون كما تأكل الأنعام ملبية استجابة الفطرة ... ، لا معنى في حياتها لغير التناسل والطعام والشراب .. لا مجال عندها ، ولا مقدرة للتفكير في مصيرها ، ولا فيما يؤول إليه حالها ...

ذكر ابن ناقيا البغدادي[1] ..

« معنى تشبيههم بالأنعام في الأكل التخسيس لهم والازدراء بهم في هذه الحالة ، ووصفهم بالجهل والدناءة ، وأنهم يأكلون للشره والنهم كالبهائم ... وذلك أن الأكل على ضربين ... أكل نهمة وأكل حكمة .. فأكل النهمة للشهوة فقط ، وأكل الحكمة للشهوة والمصلحة .. والعرب تمدح بقلة الأكل وخفة الرزء[2] كما تذم الرغب[3] والبطنة والشره » .

وجاء ذكر الأنعام والدواب في مواضع أخرى من القرآن : كنعمة وزينة ،

---

(١) الجمان في تشبيهات القرآن ... محمد آية ١٢

(٢) قلة انتقاص مال الغير أو طعامه .

(٣) امتلاء البطن بالأكل ..

وشهوة ، ومتاع ، ورزق للإنسان في دنياه .. وقرن رزقها برزقه وردهما للخالق البصير ...

﴿ والأنعام خلقها لكم فيها دفء ومنافع ومنها تأكلون . ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون . وتحمل أثقالكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلاَّ بشق الأنفس إن ربكم لرؤوف رحيم ﴾ (النحل : ١٦) .

﴿ ومن الأنعام حمولة وفَرْشاً[1] كلوا مما رزقكم الله ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ (الأنعام : ١٤٢) .

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حسن المآب ﴾ (آل عمران : ١٤) .

﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ (النحل : ٦٦)

﴿ والله جعل لكم من بيوتكم سكناً وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستخفونها يوم ظعنكم ويوم إقامتكم ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها أثاثاً ومتاعاً إلى حين ﴾ (النحل : ٨٠) .

﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونها ولكم فيها منافع كثيرة ومنها تأكلون . وعليها وعلى الفلك تحملون ﴾ (المؤمنون : ٢١ ، ٢٢) .

﴿ واتقوا الذي أمدكم بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين ﴾ (الشعراء : ١٣٢ ، ١٣٣) .

---

(١) هي صغار الإبل ، وقيل هي من الإبل والبقر والغنم مالا يصلح إلا للذبح ..

﴿ خلقكم من نفس واحدة ثم جعل منها زوجها وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج يخلقكم في بطون أمهاتكم خلقاً من بعد خلق في ظلمات ثلاث ذلكم الله ربكم له الملك لا إله إلا هو فأنى تصرفون ﴾ (الزمر : ٦) .

﴿ الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها ومنها تأكلون . ولكم فيها منافع ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم وعليها وعلى الفلك تحملون . ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون ﴾ (غافر : ٧٩ ، ٨٠ ، ٨١) .

﴿ والذي خلق الأزواج كلها وجعل لكم من الفلك والأنعام ما تركبون . لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين . وإنا إلى ربنا لمنقلبون ﴾ (الزخرف : ١٢ ، ١٣ ، ١٤) ..

﴿ أو لم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً فهم لها مالكون . وذللناها لهم فمنها ركوبهم ومنها يأكلون . ولهم فيها منافع ومشارب أفلا يشكرون ﴾ (يس : ٧١ ، ٧٢ ، ٧٣)

﴿ وكأين من دابة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإياكم وهو السميع العليم ﴾ (العنكبوت : ٦٠)

﴿ خلق السموات بغير عمدٍ ترونها وألقى في الأرض رواسي أن تميد بكم وبث فيها من كل دابة وأنزلنا من السماء ماءً فأنبتنا فيها من كل زوج كريم ﴾ (لقمان : ١٠)

﴿ وما من دابة في الأرض إلاَّ على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ (هود : ٦) .

﴿ أنا صببنا الماء صباً . ثم شققنا الأرض شقاً . فانبتنا فيها حباً . وعنباً

وقضباً . وزيتوناً ونخلاً . وحدائق غلباً . وفاكهة وأبّاً . متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ (عبس : ٢٥ ، ٣٢)

﴿ أو لم يَرَوْا أنا نسوق الماء إلى الأرض الجُرُز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون ﴾ (السجدة : ٢٧) .

﴿ إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازَّيَّنت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تَغْن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون ﴾ (يونس : ٢٤) .

﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النُّهى ﴾ (طه : ٥٣ ، ٥٤) .

﴿ والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ (النازعات : ٣٠ ، ٣٣) .

﴿ وهو الذي أرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته وأنزلنا من السماء ماءً طهوراً . لنحيي به بلدة مَيْتاً ونُسْقِيَهُ مما خلقنا أنعاماً وأَنَاسِيَّ كثيراً ﴾ (الفرقان : ٤٨ ، ٤٩) .

نجد بين الآيات القرآنية سالفة الذكر : الإنسان والأنعام والدواب وماء السماء والزرع والمرعى ... ، فيلمس الخيال صورة دواب الإنسان وأنعامه ... ، وصورة أرض ميتة صارت بفضل ما أنزل من ماء السماء حية ممرعة .. ، فيرعى الحيوان ، ويفرح الإنسان ويسعد .. ، فله فيها دفء من جلودها وأوبارها وأصوافها وأشعارها .. ، ومنها منافع أخرى كثيرة : منها ما علمه أهل البادية من لحم وسمن

ولبن ... ، ومنها المستخرجات الحيوانية الأخرى ، وما يستخرج من بقايا الحيوان اليوم ، وفيها جمال وزينة : « جمال الاستمتاع بمنظرها فارهة رائعة سمينة صحيحة .. ، وأهل الريف يدركون هذا المعنى بأعماق نفوسهم ومشاعرهم أكثر مما يدركه أهل المدينة .. ، وهذه اللفتة لها قيمتها في بيان نظرة القرآن ونظرة الإسلام للحياة ، فالجمال عنصر أصيل في هذه النظرة .. ، وليست النعمة هي مجرد تلبية الضروريات من طعام وشراب وركوب ، بل تلبية للأشواق الزائدة على الضروريات : تلبية حاجة الجمال ، ووجدان الفرح والشعور الإنساني المرتفع على ميل الحيوان وحاجة الإنسان ..[1] » .

فمنَ الحيوان ماتختلف ألوانه وأشكاله ، فيروق منظرها لعَين الناظر ويمتعها ... ، ويجعل تناسب وتناسق تكوين أعضائه وشكله من ألوانه صورة أوقع في الحس ... ، فيكون الإمتاع والتدبر والاعتبار ، وذلك لايعقل أن يكون إلا بتقدير وحكمة وقصد ...

وأورد القرآن الأنعام عند تبيينه الحلال والحرام ، وعند عرض معاملة الجاهليين للحيوان ، وعند ذكر الهدْي وتذكية الذبائح ...

﴿ ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا مايتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم مايريد .. ﴾ (المائدة : ١) .

﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلايصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء مايحكمون ﴾ (الأنعام : ١٣٦) .

﴿ ولأُضِلَّنَّهم ولأُمَنِّيَنَّهم ولآمُرَنَّهم فَلَيُبَتِّكُنَّ آذان الأنعام ولآمرنهم فَلَيُغَيِّرُنَّ

---

(١) في ظلال القرآن ..

خلق الله ومن يتخذ الشيطان ولياً من دون الله فقد خسر خسراناً مبيناً ﴾ (النساء : ١١٩)

﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها افتراء عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون ﴾ (الأنعام : ١٣٨) .

﴿ وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم . قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراءً على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ (الأنعام : ١٣٩ ـ ١٤٠) .

﴿ ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مارزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير . ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نُذُورهم وليطوفوا بالبيت العتيق . ذلك ومن يعظم حرمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا مايتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قول الزور ﴾ (الحج : ٢٨ ـ ٢٩ ـ ٣٠) .

﴿ ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ﴾ (الحج : ٣٤) .

﴿ ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثلُ ماقتل من النَّعَمِ[1] يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ﴾ (المائدة : ٩٥) .

---

(١) النعم عند اللغويين الإبل والشاة يذكر ويؤنث (نسقيكم مما في بطونها ـ مما في بطونه) ... وعند الفقهاء يشمل الإبل والبقر والغنم .

وجاءت كلمة (الدابة) في إحدى آيات الغيب ...

﴿ وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة من الأرض تكلمهم أنَّ الناس كانوا بآياتنا لا يوقنون ﴾ (النمل : ٨٢) .

فالآية التي تخبر عن ظهور الدابة لم تورد لها وصفاً ، ولا زماناً محدداً .. ، ولكنها آتية ، وظهورها منبئ بسير الخليقة على غير المألوف .. وما علينا إلا الإيمان بها كغيرها من آيات عالم الغيب .. ، وبظهورها يتم اختراق حاجز اللغات والتخاطب بين الأنواع .. ، فهاهي تكلمنا ونحن ندرك ماتقول . أما كيفية شكلها أو صورتها أو لغتها فذلك مالا يعلمه أحد منَ العالمين ...

وهنالك دابة سليمان .. والتي تحدث عنها القرآن عند ذكر موت سيدنا سليمان .. فلولا تلك الدابة التي أكلت منسأته فتهاوت به على الأرض لما علمت الجن بموته ...

﴿ فلما قضينا عليه الموت مادلهم على موته إلا دابة الأرض[1] تأكل منسأته فلما خر تبينت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب مالبثوا في العذاب المهين ﴾ (سبأ : ١٤)

☆ ☆ ☆

(١) قيل بأنها السوس ... وذكر كل من الدميري والقزويني أنها الأرضة (القرضة أو النمل الأبيض) .

الإبل

﴿ أفلا ينظرون ، إلى الإبل كيف خلقت ﴾

(الغاشية : ١٧)

كانت الإبل عند العرب هي السفر والأحمال والأثقال ..، ومنها الشراب والمأكل والملبس والمأوى ..، وفيها جمال وزينة ..، وهي مصدر للفخر والاعتزاز ، وهي ملهمة آدابهم نثراً وشعراً ...، والإبل كانت تلائم طبيعة حياة العرب مقاماً وترحالاً ..، وبيئتهم تناسب طبيعة الإبل ووظائف أعضائها ..، ولكنها ليست الحيوان الوحيد الذي تكيف عن حياة الصحراء وقسوتها ، غير أن العربي كان علماً بأمور حياتها ، وهي أقرب حيوانات الصحراء لذهنه معرفة ..، وهي أقرب أيضاً لما علمه في حياته من مقاييس للمنفعة والضرر ..، فالبدوي المخاطب بالتنزيل معاصرة يبدأ علمه بما حوله من الجمل ..، فهو أول آيات الآفاق قرباً لبصره وبصيرته ..، وقد سئل أعرابي عن الدليل لوجود الخالق فبادر :

« البعرة تدل على البعير .. والأثر يدل على المسير .. فسماء ذات أبراج ... وأرض ذات فجاج .. وبحار ذات أمواج .. ألا تدل على اللطيف الخبير .. » .

أورد القرآن الإبل بأسماء وأوصاف مختلفة : فهي الإبل .. وجمالات .. وجمل .. وبعير .. والعشار .. والبُدْن .. وضامر .. والهيم .. وناقة .. والعير ..

﴿ والبُدْنَ جعلناها لكم من شعائر الله لكم فيها خير فاذكروا اسم الله عليها صَوَافَّ فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمعتر كذلك سخرناها لكم

لعلكم تشكرون[1] . لن ينال اللهَ لحومُها ولادماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين ﴾ (الحج : ٣٦ ، ٣٧) .

﴿وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فجٍّ عميق ﴾ (الحج : ٢٧) .

﴿ ولما فتحوا متاعهم وجدوا بضاعتهم ردت إليهم قالوا ياأبانا مانبغي هذه بضاعتنا ردت إلينا ونمِيرُ أهلنا ونحفظ أخانا ونزداد كيل بعيرٍ ذلك كيل يسير ﴾

(يوسف : ٦٥)

﴿ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية في رَحْل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير[2] إنكم لسارقون ﴾ (يوسف : ٧٠) .

﴿ قالوا نفقد صُواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ﴾ (يوسف : ٧٢) .

﴿ واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها وإنا لصادقون ﴾

(يوسف : ٨٢)

﴿ ولما فصَلَتِ العير قال أبوهم إني لأجد ريح يوسف لولا أن تفندون ﴾

(يوسف : ٩٤)

﴿ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لايهدي القوم الظالمين ﴾ (الانعام : ١٤٤) .

---

(١) البدن جمع بدنة وهي الناقة أو البقرة وفي الهدي تجزئ عن ثمانية من الناس فالبقرة تذبح وتهيأ لذلك بصف أقدامها .. أما الإبل فتنحر قائمة على ثلاث أرجل بعد عقل الرجل الرابعة ...

(٢) هي الإبل التي تحمل الميرة (بكسر الميم) ، المونة .

وجاء ذكر الإبل في وصف هول يوم البعث وفي وصف نار جهنم ومايلقاه واردها من عذاب ...

﴿ وإذا العِشَارُ[1] عطلت ﴾ ..(التكوير : ٤)

﴿ فشاربون عليه من الحميم . فشاربون شرب الهيم[2] .. ﴾ (الواقعة : ٥٤ ـ ٥٥)

﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جِمَالت[3] صُفْرٌ ﴾ (المرسلات : ٣٣)

فهول القيامة يصرف الناس عن جميع ماعزَّ في حياتهم الدنيا ...، والعربي يعز إبله وجماله ..، فكيف بنوقه التي يرجو ولدها ونفعها وهي حبلى ، وقد قربت زيادتها ... إذاً هنالك شدة تفوق احتماله ..، فهاهو يهمل عشاره ، وينصرف للداعي في يوم نكر . ولما كان الماء في بادية العرب لايوجد إلا في مناهل وموارد معينة ، وفي الواحات ، فلابد أن يكون العربي قد مر بتجربة الهُيام ونوقه ..، فالإبل تتحمل العطش وتصبر عليه ..، ولكنها إذا وردت الماء وبها هيام لاترتوي منه بهين ...﴿ شرب الهيم ﴾ .. والإبل تكبر عند العربي صورة وتصوراً ..، فهي أضخم ماعرف من حيوانات في بيئته ... تلك صورة تركزت في خيال العربي ، فصور بها القرآن للمخاطب لوحات البعث والجزاء ... ﴿ كأنها جمالت صفر ﴾ .. وبذلك يقرن الحس بالخيال ...

وجاءت الإبل بلفظ الجمل لإبانة الفارق بين الممكن والمستحيل في تحديد مصير الناس يوم القيامة .. فكل نفس بعد نفخ الصور بما كسبت رهينة ...

﴿ إن الذين كذَّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لاتُفَتَّحُ لهم أبواب السماء

---

(١) هي النوق الحبال في شهرها العاشر .

(٢) هي الإبل العطاش وهو جمع أهيم ، وهياء من الهُيام ، وهو أشد العطش .

(٣) قال أكثر المفسرين هي جمع جمال على تصحيح البناء كرجال ورجالات ...

ولا يدخلون الجنةَ حتى يَلجَ الجملُ[1] في سَمِّ الخِياط وكذلك نَجْزي المجرمين ﴾ (الأعراف : ٤٠)

والجمل هو أضخم الحيوانات في حياة البدوي فهو سفينة الصحراء ....، واعتاد مربوه دخوله من طرق وأبواب واسعة لضخامة حجمه ... وهنا جاء القرآن بصورة حية في حياتهم ليدرك منها الناس معنى الاستحالة .. وأن المشركين لايدخلون الجنة أبداً ... وقد أورد القرآن صورة معلومة للأذهان : فسمُّ الخياط يلج منه الخيط الرفيع الذي يتناسب معه ، فكيف بمشهد عجيب : الجمل يقف أمام سم الخياط يحاول الولوج منه ، فلا يجد له سبيلاً .. وإذا ولج الجمل من سم الخياط ـ وذلك مستحيل ، ولن يحدث إطلاقاً لما اعتاد القوم من شكل وحجم الخياط ـ فحينئذ فقط يدخل الكافرون الجنة ....، وأمام ذلك المشهد العجيب تدرك النفس المتأملة لمعركة التأثير بين الخيال والحس معنى الاستحالة وعدم القبول ...

وعن ناقة سيدنا صالح ...

﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحاً قال ياقوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره قد جاءتكم بينة من ربكم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ (الأعراف : ٧٣) .

﴿ فعقروا الناقة وعَتَوْا عن أمر ربهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين ﴾ (الأعراف : ٧٧) .

﴿ وياقوم هذه ناقة الله لكم آية فذروها تأكل في أرض الله ولاتمسُّوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب . فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة أيام ، ذلك وعدٌ غير مكذوب ﴾ (هود : ٦٤ ـ ٦٥) .

---

(١) قرأ ابن عباس (الجمل) بضم الجيم وتشديد الميم وفسر بحبل السفينة الغليظ ...

﴿ ومامَنعَنا أن نرسل بالآيات إلاَّ أنْ كذَّب بها الأولون وآتينا ثمود الناقة مبصرة فظلموا بها ومانرسلُ بالآيات إلا تخويفاً ﴾ (الإسراء : ٥٩) .

﴿ قال هذه ناقة لها شِرْبٌ ولكم شِرْبُ يوم معلوم . ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم . فعقروها فأصبحوا نادمين ﴾ (الشعراء : ١٥٥ ـ ١٥٧) .

﴿ إنا مرسلوا الناقة فتنة لهم فارتقبهم واصطبر . ونبئهم أن الماء قسمة بينهم كل شِرْب مُحْتَضَر . فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر . فكيف كان عذابي ونذر . إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر ..﴾ (القمر : ٢٧ ـ ٣١) .

﴿ فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها . فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها . ولايخاف عقباها ﴾ (الشمس : ١٣ ـ ١٥) .

سكن ثمود ، قوم صالح ، في الحِجْر .. وهي منطقة بين الشام والحجاز إلى وادي القرى ، وتقع ديارهم بالقرب من طريق المدينة تبوك ... أرسل الله لهم صالحاً فانكروا عليه رسالته ، وطلبوا منه آية تبين صدق مايقول ...

﴿ ماأنت إلا بشر مثلنا فأت بآية إن كنت من الصادقين ﴾ (الشعراء : ١٥٤)

وأختاروا أن تكون آيتهم ناقة .. فأخرج الله لهم ناقة من صخرة من قلب الجبل ونسبها لنفسه ﴿ ناقة الله وسقياها ﴾ ... فهي منه دليلاً على نبوة صالح .. وبين لهم أن لها شرب يوم ولهم شرب يوم معلوم .. وحذرهم من أن ينالها منهم سوء .

﴿ ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب أليم ﴾ (الأعراف : ٧٣)

﴿ ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب قريب ﴾ (هود : ٦٤)

﴿ ولاتمسوها بسوء فيأخذكم عذاب يوم عظيم ﴾ (الشعراء : ١٥٦)

وبالرغم من كل ذلك لم يتركوها ترعى وتأكل من رزقه ، بل اعتدوا عليها رماها أحدهم بسهم ، ونادوا آخر فنحرها بسيفه ..﴿ فتعاطى فعقر ﴾ فأخذتهم الرجفة وهم غافلون ...

والإبل آية من آيات الآفاق التي أوردها القرآن ليتدبر فيها المخاطب خلق الله ودقته وإحكامه ...

﴿ أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خلقت ﴾ (الغاشية : ١٧) .

« ... وهي أصبر الحيوان المستأنس على الجوع والعطش والكدح وسوء الحال ، ثم إن لهيئتها مزية في تناسق المشهد الطبيعي المعروض ... إن المشهد الكلي يضم مشهد السماء المرفوعة والأرض المبسوطة ...، وفي هذا المدى المتطاول تبرز الجبال (منصوبة) السنان ، لارأسية ولاملقاة ، وتظهر الجمال منصوبة السنام ... خطان أفقيان ، وخطان رأسيان في المشهد الهائل ، في الساحة الشاسعة ،.. ولكنها لوحة متناسقة الأبعاد والاتجاهات ! على طريقة القرآن في عرض المشاهد وفي التعبير بالتصوير على وجه الإجمال .. »[1].

والإبل يناسب تركيب جسمها الخارجي الحياة في بيئتها الصحراوية ... فالخف يساعدها على السير على الرمال ... ولها زوج من الرموش وجفون طويلة تقي عينه من أن يتساقط عليها الرمل الصحراوي الهش السائب ، وللجمل شعر في الأذن الخارجية ، وله مطلق التحكم في فتح أنفه وقفلها ، ويتمتع بحاستي بصر وشم قويتين ...

وقد عرف عن حيوانات الصحراء بأنها ضئيلة الجسم .. حتى إذا مافاتها أن تجد ظلاً في الشجيرات الصحراوية يقيها ضربة الشمس اتخذت لنفسها حفراً في

---

(١) في ظلال القرآن ...

باطن الأرض تلجأ إليها لتخفيض درجة حرارتها ... وكذلك يفعل حيوان الكنجارو في صحراء أستراليا ، والذي لايشرب الماء أبداً ، ولكنه يجد كفايته من الماء فيما يتناول من طعام ..، والجمل على غير ماعهد من حيوان في الصحراء ضخم الجسم ... ويمكن للجمل أن يصبر على فقد الماء لمدة عشرين يوماً ، فهو صبور[1] ... وكانت العرب تكنيه بأبي أيوب ، وبالرغم من أنه قد يحدث أن يشرب الجمل في المرة الواحدة مايبلغ التسعين ليتراً ، إلا أن الجمال لاتشرب أبداً أكثر من حاجتها ، فهي لاتحتاط بجزء من الماء لما يستقبل من أيام الصحراء ، وإنما تشرب بقدر مايعيد للجسم مافقده من ماء ، لتعود سوائل الجسم لحالتها الطبيعية ..، والجمل لايفقد إلا كمية بسيطة جداً من الماء عن طريق الجهاز البولي والجهاز الهضمي ... فبوله مركز جداً ، وبعره يخرج جافاً نسبياً ، نسبة لأن امتصاص الماء إلى الدم يمتد حتى القولون .

يتكون سنام الجمل من نسيج ضام ومواد دهنية رديئة التوصيل للحرارة . ويصل حجم السنام إلى مايعادل ٢٠ ٪ من وزن جسمه ... وعند تمثيل هذه الكميات من الدهن تنتج كمية من الماء أكبر من الكتلة الأصلية للدهن ... ولمس العرب ذلك بملاحظتهم وتجربتهم ، فمن أمثالهم « الجمل من جوفه يجتر »[2].

تضم معدة المجترات الحقيقية مثل الغنم والأبقار أربع غرف ، ولكن معدة الجمل تتكون من ثلاث غرف فقط ... الجمل يفقد الغرفة الثالثة (أم التلافيف) ،

---

(١) توجد مواد أفيونية (enkephalines, endrophins, dynorphin) تعرف بالأفيون الطبيعي في الجهاز العصبي للإنسان والحيوانات الفقارية (المخ) ، كما فرزت من السائل المخي الشوكي ، وتوجد أيضاً في الجهاز الهضمي . يفترض أن وظيفتها أنها تقلل الإحساس بالآلام وإزالتها بمعادلة مادة (آ) في النخاع الشوكي والتي تسبب الإحساس بالألم ... ويقول علماء كيمياء الألم بأن قدرة الاحتمال لدى الفيل والجمل يرجع لكثرة وجود هذه المادة في الجهاز العصبي لدى الجمال والأفيال ...

(٢) يضرب لمن يأكل من كسبه ، أو ينتفع بشيء يعود عليه منه ضرر .

والتي تعمل كجهاز ترشيح فلا يصل للمعدة الرابعة من الطعام إلا ماكان جيد الطحن وسائل القوام .

تحتوي المعدة الثانية للمجترات على فجوات صغيرة تقفل بواسطة عضلات عاصرة (صمامات) ، وتعرف بحقائب الماء (water bags) ، وهي تعمل على تليين محتويات الكرش ، والغرفة الثانية بما تحتوي من سوائل عند فقد مياه الشرب ، ولا وجود أبداً لما يعرف بالخلايا المائية لدى الجمال (water cells) ... ولعل حقائب الماء في الغرفة الثانية هي مصدر قول القائلين بالخلايا المائية ...

وللإبل أعناق طويلة تمكنها من الحصول على طعامها بسهولة ويسر ، وتستعين بها على النهوض بالحمل والأثقال ... والعنق الطويل يبعد المسافة بين القلب والمخ ... ولكي لاتتأثر الكمية الواردة للمخ من الدم نقصاً عند رفع العنق أو زيادة عند خفضه ، فقد جعل الخالق المبدع للإبل شبكة من الشعيرات الدموية في بداية الشريان الذي يحمل الدم للمخ تعرف بـ (reta merabile caroticum) ، لتعمل على تنظيم كمية الدم الواردة للمخ في كل الأوضاع (shunt mechanism) ...

يختلف شكل كريات الدم الحمراء عند الجمل عن شكلها لدى كل الفقاريات ... فشكلها عند الفقاريات الأخرى أقراص مستديرة ، ولكنها عند الجمل أقراص ليفياوية اهليجية (ellipsoidal) ...

وبالرغم من أن الجمل من ذوات الدم الحار[1]، إلا أنه يتحمل تأرجحاً في درجة حرارته يتراوح بين ٤٠° م نهاراً و ٣٤° م ليلاً ..، غير أن الجمل لايتخلص من كمية الحرارة الناتجة عن فارق الستة (٦°) هذه نهاراً حتى لايفقد جسمه ماءً عن طريق

---

(١) تحفظ درجة حرارة جسمها عند درجة ثابتة ومرتفعة نسبياً (الإنسان ٣٧° م ، الحيوانات ذوات الثدي ٣٩° م ، الطيور ٤٢° م) ، أما ذوات الدم البارد كالزواحف فإن درجة حرارتها تتغير تبعاً لدرجة حرارة الوسط المحيط بها ...

التبريد بالتبخر ، ولكنه يتخلص منها ليلاً عن طريق التوصيل والإشعاع ..، كما يفيده ارتفاع درجة حرارته نهاراً من التخفيض في معدل انتقال الحرارة من بيئته إليه ..، وقد قدرت كمية الماء التي يمكن أن يوفرها الجمل عن طريق هذا الانخفاض والارتفاع في درجة الحرارة بخمسة ألتار يومياً ...، وتوجد هذه الخاصية عند الحمير أيضاً ، ولكنها ليست بذات فائدة عندها ، لأنها تفيد الحيوانات ضخمة الجسم ، ولكن في الحيوانات صغيرة الحجم سرعان مايصل الجسم لدرجة الحرارة الحرجة العليا ، والتي يجب أن يتم تبريد الجسم عندها بسرعة ، فيتم ذلك عن طريق التبريد بالتبخير مما يؤدي لفقد بعض الماء ..، كما يعتقد بوجود خاصية حفظ الحرارة في الخارج ومنع انتقالها لداخل الجسم في جلد الجمل[1]...

ويمكن للجمل أن يتحمل فقداً للماء يتراوح بين ٢٥ ـ ٣٠ ٪ من وزن جسمه دون أن تتأثر سوائل أنسجته وخلاياه (dehydration) غير أن فقد ١٢ ـ ١٤ ٪ يعني الموت عند غيره من الثديات ...

عند التعرض للجفاف أو الحرارة الشديدة ، فإن الجسم يفقد الماء ـ من الخلايا ومن بلازما الدم ومن سوائل الأنسجة ـ وفي كثير من الثديات يكون فقد الماء من بلازما الدم أكثر من فقده من الخلايا ومن الأنسجة ... وعندما يفقد الإنسان ١٠ ٪ من ماء جسمه تنخفض كمية الماء في بلازما دمه بمعدل ٢٥ ٪ ، مما يزيد من لزوجة الدم (viscosity[2]) فتنخفض سرعة سريانه في الأوعية الدموية مما يقلل من الحرارة الواردة لسطح الجسم ، فلا تتم عملية التبريد عن طريق تبخر العرق ، لذا فإن سبب الموت الناتج عن فقدان الماء في ضربة الشمس (Heat stro ke) هو زيادة درجة لزوجة الدم ، مما ينتج عنه توقف عملية

---

(١) Schimilf - Nilson

(٢) خاصية فيزيائية تعبر عن مقاومة السائل للسريان ، وهي تنتج عن الاحتكاك الداخلي بين جزئيات السائل المتحرك ...

التبريد ... أما في الجمل فإن الأمر خلاف ذلك ..، فقد وجد أن فقد ٢٦ ٪ من ماء جسمه يعني انخفاض ٤٠ ٪ من حجم سوائل الأنسجة ، وانخفاض ٢٥ ٪ من ماء خلاياه ، ويعني انخفاض ١٠ ٪ فقط من حجم بلازما الدم ..، لذا فإن الزيادة في لزوجة الدم بسيطة نسبياً ، مما لا يوقف عملية التبريد عن طريق التبخير ...

وكثيراً ماذكر أن الجمل لا يعرق ... وإنه ليفعل ..، ولكن من غير الممكن ملاحظة تصبب عرقه ولا أثر ذلك على وبره ، لأن تبخير الماء يتم على سطح الجلد تحت الوبر وليس خارجه ، مما يقلل من فقدان الماء ...

والإبل ليست هي الحيوان الوحيد الذي يظهر فيه إبداع الخالق وقدرته في تكيف وتأقلم المخلوقات مع البيئة ..، فهنالك مثلاً بعض الحشرات عندما تتعرض لدرجات حرارة منخفضة ، فإنها تخفض درجة التجمد في سوائل خلاياها بفرز مادة الجليسرول ، المضادة للتجمد ، في دمها (haemolymph) ... وتمكن خاصية الإفراط في التبريد (super-cooling) في الحشرات المفصلية البرية عند البيات الشتوي من أن تتحمل درجات حرارة منخفضة تبلغ ٢٥° ـ ٣٠° م . تحت درجة التجمد ..، فالحشرة التي تتطفل على ذبابة القمح الكندي مثلاً ، والتي تعرف بـ (bracon cephi) يمكنها أن تتحمل درجة – ٤٧° م من دون أن تتجمد سوائل جسمها ، لأنها تخفض ١٧° م بواسطة الجليسرول و ٣٠° م عبارة عن ظاهرة الإفراط في التبريد ..، ويتم كل ذلك أثناء بياتها الشتوي ...

ومن كل ذلك يمكننا أن نقول : بأن دعوة القرآن الكريم للناس للتفكر في خلق الإبل لم يحدث تقريراً بأن الإبل هي أعجب ماخلق من حيوان ..، وليست لأنها أكثر الحيوانات تأقلماً وتكيفاً ، من الشكل الخارجي أو وظائف الأعضاء ، مع بيئته ..، ولكنها إلى جانب ذلك كانت أقرب الحيوان لدنيا العربي وحياته ، ولنفسياته وعلمه ...

بقرة .. وعجل

جاء لفظ بقرة في القرآن الكريم مرتين : في سورة الأنعام ، معرفاً بالألف واللام .. ، وورد أيضاً عند الحديث عن بقرة بني إسرائيل ، والتي فصلت قصتها في سورة البقرة[1] .

يقول تعالى ...

﴿ ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين ، قل آلذكرين حرَّم أم الأنثيين أما اشتملت عليه أرحام الأنثيين أم كنتم شهداء إذ وصاكم الله بهذا فمن أظلم ممن افترى على الله كذباً ليضل الناس بغير علم إن الله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (الأنعام : ١٤٤) .

﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظُفُر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ (الأنعام : ١٤٦) .

كما جاء ذكر البقر بلفظ بقرات مرتين في سورة يوسف في سياق التعبير القرآني عن قصة سيدنا يوسف عليه السلام ...

﴿ وقال الملك إني أرى سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف وسبع سنبلات خضر وأخر يابسات يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون ﴾ (يوسف : ٤٣)

﴿ يوسف أيها الصديق أفتنا في سبع بقرات سمانٍ يأكلهن سبع عجاف وسبع

---

(١) لم يتعرض القرآن ، مكيه ومدنيه ، لقصة بقرة بني إسرائيل إلا في سورة البقرة فقط .

سنبلات خُضْر وأُخَرَ يابسات لعلي أرجع إلى الناس لعلهم يعلمون ﴾ (يوسف : ٤٦) .

بقرة بني إسرائيل ...

فصلت قصتها في سورة البقرة الآيات (٦٧ ، ٧٣) ﴿ وإذ قال موسى لقومه إن الله يأمركم أن تذبحوا بقرة قالوا أتتخذنا هزواً قال أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ماهي قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر عوان بين ذلك فافعلوا ما تؤمرون . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما لونها قال إنه يقول إنها بقرة صفراء فاقع لونها تسر الناظرين . قالوا ادع لنا ربك يبين لنا ما هي إن البقر تشابه علينا وإنا إن شاء الله لمهتدون . قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلُولٌ تثير الأرض ولا تسقي الحرث مسلمة لاشية فيها قالوا الآن جئت بالحق فذبحوها وما كادوا يفعلون . وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحيي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ .

استخدم القرآن أسلوب الحكاية وهو يعرض قصة كليه موسى وكيف أنه ـ أي موسى ـ يستخدم مع بني إسرائيل الرفق في أسلوبه ، فيواجهونه بالظن وعدم الثقة فيما يقول ، ويسألونه بصيغة الشك في قول ربه والاستهزاء به ، ... فهم دائماً يبحثون عن عذر حتى لا يستجيبوا لما كلفوا به ...

وبصبر الأنبياء وحكمتهم يتجنب سيدنا موسى الجدل الشكلي ، ويجيبهم قائلاً : بأن البقرة المعنية لم تعش سنيناً طوالاً ، وليست هي بصغيرة شابة .. ولكنها عوان بين ذلك ، ولا زالوا يضيقون على أنفسهم فرصة الاختيار ، ويتلكؤون ويشددون على أنفسهم ويطلبون أوصافها تفصيلاً .. ، ففصل لهم موسى : بأنها بقرة لاشابة ولا عجوز ، لها لون أصفر فاقع ، خالية من التشويه ، وليست بهزيلة ، ولكنها تمتلئ حيوية ونشاطاً ، لم تذلل وتدرب من قبل على

الحرث ولا سقي الزرع ، وصفارها خالص لا تشوبه علامة .. ، وفي هذا المجال الضيق الشاق استجابوا فذبحوها وما كادوا يفعلون .

روى ابن جرير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال : ـ

« لو أخذوا أدنى بقرة لاكتفوا بها ، ولكنهم شددوا فشدد الله عليهم . » .

وقال ابن جريج قال رسول الله (ﷺ) : ـ

« إنما أمروا بأدنى بقرة ، ولكنهم لما شددوا شدد الله عليهم ، وايم الله لو أنهم لم يستثنوا لما بين لهم آخر الأبد ... » .

وعندما ذبح بنو إسرائيل البقرة تغير السياق القرآني من الحكاية ، إلى الخطاب والمواجهة ... فذبح البقرة أمر من الله وتكليف لا مجال للسؤال ولا الملاججة فيه .. ، وهو غير خاضع للمعادلات العقلية والجدلية .. ، وعلى المؤمن أن يواجه الأمر التكليفي كما قابله خليل الرحمن ، سيدنا إبراهيم ، وهو يؤمر بذبح ابنه ، فأخذه مطيعاً وتله للجبين .

وقصة البقرة هذه تظهر لنا طبيعة اليهود ولجاجتهم وكيف يواجهون أمر الله وتكليفه ... وبعد أن وضحت طريقة استجابتهم لأوامر الله يبين الله غاية أمره وتكليفه ...

﴿ وإذ قتلتم نفساً فادارأتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون ﴾ .

فقد قتلوا نفساً[1] وأنكروها ، وصار كل فريق يلحق التهمة بغيره ، وليس ثمة شاهد .. ، وقد كان بنو إسرائيل يقدمون البقر قرباناً .. ، ولكن لما كان في ذلك أمر وتكليف من عند الله تلكؤوا في الذبح .. ، وأخيراً ذبحوها وما كادوا

---

(١) مجمل قصة بقرة بني إسرائيل : هي أن رجلاً منهم قتل قريباً له غنياً ليرثه وأخفى قتله .. وطلب بنو إسرائيل معرفته فأمرهم الله بذبح بقرة يضرب القتيل ببعضها فيحيا ويتحدث موضحاً قاتله .. وقد فعل ..

يفعلون .. وأخذوا بعضاً منها وهي مذبوحة ولا حياة فيها .. ، وضربوا ميتهم ببعضها ، فانتفض مبعوثاً ناطقاً مبيناً قاتله ...

العجل ...

للعجل في القرآن قصتان ...

قصة عجل إبراهيم الخليل ... وعجل السَّامري ...

أما عجل إبراهيم فقد كان إكراماً منه لضيفه ، وهو يسرع في الحالتين ليحسن مثوى ضيوفه ، فقد وصفته آية بأنه ﴿ راغ ﴾[1] ووصفته أخرى بأنه ﴿ مالبث ..[2] ﴾ أن جاء ضيفه بعجل سمين مشوي على حجارة الرضف المحماة ...

﴿ ولقد جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا سلاماً قال سلامٌ فما لبث أن جاء بعجل حنيذ . فلما رأى أيديهم لا تصل إليه نَكِرَهم وأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف إنا أُرسلنا إلى قوم لوط ﴾ (هود : ٦٩ ، ٧٠) .

﴿ وهل أتاك حديث ضيف إبراهيم المكرمين . إذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلامٌ قوم منكرون . فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين . فقربه إليهم قال ألا تأكلون . فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم ﴾ (الذاريات : ٢٤ ، ٢٨) .

وجاء ذكر عجل السامري في كل من سورة البقرة والنساء والأعراف وطه .. ، ولا تكتمل قصته إلا بدمج ما ذكر عنه في كل هذه السور الأربع ...

﴿ وإذ واعدنا موسى أربعين ليلة ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون ﴾ (البقرة : ٥١)

---

(١) انعطف سريعاً .. (الذاريات : ٢٦) .

(٢) ذهب سريعاً ... (هود : ٦٩) .

﴿ وإذ قال موسى لقومه ياقوم إنكم ظلمتم أنفسكم باتخاذكم العجل فتوبوا إلى بارئكم فاقتلوا أنفسكم ذلكم خير لكم عند بارئكم فتاب عليكم إنه هو التواب الرحيم ﴾ (البقرة : ٥٤) .

﴿ ولقد جاءكم موسى بالبينات ثم اتخذتم العجل من بعده وأنتم ظالمون . وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ماآتيناكم بقوة واسمعوا قالوا سمعنا وعصينا وأشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم قل بئسما يأمركم به إيمانكم إن كنتم مؤمنين ﴾ (البقرة : ٩٢ ، ٩٣) .

﴿ يسألك أهل الكتاب أن تنزل عليهم كتاباً من السماء فقد سألوا موسى أكبر من ذلك فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ثم اتخذوا العجل من بعد ما جاءتهم البينات فعفونا عن ذلك وآتينا موسى سلطاناً مبيناً ﴾ (النساء : ١٥٣) .

﴿ واتخذ قوم موسى من بعده من حُليهم عجلاً جسداً له خوار ألم يروا أنه لا يكلمهم ولا يهديهم سبيلاً ، اتخذوه وكانوا ظالمين ﴾ (الأعراف : ١٤٨) .

﴿ إن الذين اتخذوا العجل سينالهم غضب من ربهم وذلة في الحياة الدنيا وكذلك نجزي المفترين ﴾ (الأعراف : ١٥٢) .

﴿ فأخرج لهم عجلاً جسداً له خُوار فقالوا هذا إلهكم وإله موسى فَنَسِيَ . أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولايملك لهم ضراً ولانفعاً ﴾ (طه : ٨٨ ـ ٨٩) .

جاء بنو إسرائيل إلى مصر بدعوة من يوسف بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم ، فاستعبدهم الفراعنة وساموهم الخسف ، وذبَّحوا أبناءهم واستحيوا نساءهم ، حتى حررهم سيدنا موسى وعبر بهم البحر ... ، وهنالك رأوا قوماً يعبدون أصناماً لهم ، وسألوا موسى أن يجعل لهم إلهاً ، فسفه رأيهم ، واستخلف فيهم أخاه هارون ، وذهب لميعاد ربه أربعين ليلة ... ولما عاد موسى بألواحٍ فيها موعظة

وتفصيل ، وجدهم يعبدون عجل السامري ، الذي صنعه لهم مما أخذوه معهم من زينة وحلي .. ، وهو عجل جسد لاروح فيه ولاحياة .. ، وتجعل له الريح خواراً كسائر البقر .. ، ولكنه لافائدة منه ، فهو لاينفعهم ولايضرهم ...

﴿ أفلا يرون ألا يرجع إليهم قولاً ولايملك لهم ضراً ولانفعا ﴾ (طه : ٨٩) .

﴿ ... ألم يروا أنه لايكلمهم ولايهديهم سبيلاً ﴾ (الأعراف : ١٤٨) .

وهكذا أحسن السامري صنع عجله ... له خوار ناتج عن تصويت الريح في فراغه ... ، ولم يستطع كغيره أن ينفخ روحاً فيه ...

ويلاحظ أن الآيات التي تعرضت لعجل السامري هذا ، لم تقرر حقيقة ماحدث عند صنع العجل ، ولكنها عرضته بأسلوب الحكاية كقولٍ للسامري ...

﴿ قال فماخطبُك ياسامري ... قال بَصُرْتُ بمالم يبصروا به فقبضت قبضة من أثر الرسول فنبذتها وكذلك سولت لي نفسي . قال فاذهب فإن لك في الحياة أن تقول لامساس وإن لك موعداً لن تُخْلَفَهُ وانظر إلى إلهك الذي ظَلْتَ عليه عاكفاً لنُحرقنَّهُ ثم لننسِفَنَّهُ في اليم نسفاً ﴾ (طه : ٩٥ ـ ٩٧) .

ومهما كانت الطريقة التي تم بها صنع العجل والتي صار بها عجلاً جسداً ذا خوار فإن بني إسرائيل قد عبدوه وحبوه حباً لعبادته شديداً .. ولعلهم أشربوا حب العجل في قلوبهم ...

يقول المفكر الإمام سيد قطب في ظلال القرآن ...

« فأما الصورة الغليظة التي ترسمها ﴿ وأشربوا في قلوبهم العجل ﴾ فهي صورة فريدة ، لقد أشربوا ... أشربوا بفعل فاعل سواهم ... أشربوا ماذا ؟... أشربوا العجل ! وأين أشربوه ؟ أشربوه في قلوبهم !... ويظل الخيال يتمثل تلك

المحاولة العنيفة الغليظة ، وتلك الصورة الساخرة الهازئة : ـ صورة العجل يدخل في القلوب إدخالاً ، ويحشر فيها حشراً ، حتى ليكاد ينسى المعنى الذهني الذي جاءت هذه الصورة المجسمة لتؤديه ، وهو حبهم الشديد لعبادة العجل ، حتى لكأنهم أشربوه إشراباً في القلوب ! هنا تبدو قيمة التعبير القرآني المصور ، بالقياس إلى التعبير الذهني المفسر ... إنه التصوير ... السمة البارزة في التعبير القرآني الجميل ... » .

☆ ☆ ☆

الفصيلة الخيلية

﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها

وزينة ويخلق مالا تعلمون ﴾

(النحل : ٨)

يقول القرآن في سورة النحل :

﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون .. ﴾ .

تلك دعوة قرآنية مفتوحة للناس كافة لتعميق إيمانهم بالله عن طريق التأمل في آيات الآفاق ... ، وقد جاءت تلك الدعوة بصيغة تتناسب ومعرفة وإدراك البدوي في جزيرة العرب عند نزول القرآن ، وذلك تفادياً لنشوء شك في عقيدته إن جاءت بصيغة يجهده فهمها لكونها فوق معارفه وعقليته ...

كانت أسفارهم محدودة المسافة والمكان ، وصارت الأسفار اليوم تحتاج لوسيلة أسرع يختصر فيها الزمن لعبور مئات الآلاف من الأميال ، دخلت التقنية وعلومها وانزوت الفصيلة الخيلية في ركن ضيق للرفاهية والزينة والمناسبات ، وخفيف الحمل من الأثقال في داخل المدن ... وهي لازالت تؤدي أعمالاً في مختلف الأرياف ...

خاطب القرآن معاصري التنزيل وبين لهم ماخلق لهم من وسائل للنقل والمواصلات يستخدمونها ، وهي تلبي حاجتهم ... وليست هي كل ماخلق الله من وسائل ، فهنالك جديد لايعلمونه يظهر مستقبلاً ، ويعرف لأمم في موضع

آخر من الأرض ... ، فهذا أبرهة يستخدم أفيالاً في حملته لهدم الكعبة فانهزم ... ، والعرب أنفسهم يستخدمون الإبل في ظعنهم وباديتهم أكثر من الخيل والبغال والحمير ، وهنالك متسع لماخلقه الله من كائنات حية تؤدي معنى الزينة وتحمل الأثقال لبلد بعيد ...

يقول القزويني[1] :

قال بعض المفسرين : - « من أراد أن يعرف تحقيق قوله تعالى ﴿ ويخلق مالاتعلمون ﴾ ، فليوقد ناراً وسط غيضة بالليل وينظر مايغشى تلك النار من الحشرات ، فإنه يرى صوراً عجيبة وأشكالاً غريبة لم يكن يظن أن الله تعالى خلق شيئاً من ذلك ، على أن الخلق الذي يغشى ناره يختلف باختلاف مواضع الفيافي والجبال والسهول والبراري ، فإن في كل بقعة من هذه البقاع ألواناً من المخلوقات مخالفة لمافي البقعة الأخرى ... » .

وبلغة العصر ، لمن أراد أن يعرف عن الحيوان وحياته .. فليتجه لدوائر معارفه وكتبه ووثائقه وصوره المتحركة .. فإن الأبحاث العلمية قد كشفت بعض أسرار حياته واختلاف أنواعه وكثرة عددها في البر وفي المياه والفضاء ... وفي كل شيء له آية إبداع وإتقان ...

الخيل :

للخيل عند العرب في جاهليتهم وإسلامهم أسماؤها وأنسابها المؤصلة والمعروفة لديهم ... ، وقد عرفت عندهم بأنها كريمة جميلة راكضة صابرة على الأتعاب محتملة للشدائد ... وشهد للخيل العربية بأنها أجود أنواع الخيل ... ومنها يمتاز خيل نجد وعنزة ... ، وقد ورد في بعض السير والأخبار أن أول من استأنس الخيل

---

(١) عجائب المخلوقات للقزويني ص ٤٦٦ .

وركبها هو سيدنا إسماعيل ... روي عن النبي ﷺ قوله ـ حاثاً على تربية الخيل والاهتمام بها ـ : « اتخذوا الخيل واعتقوها[1] فإنها ميراث أبيكم إسماعيل » .. وعن جرير بن عبد الله ، قال : رأيت النبي ﷺ يلوي ناصية فرسه بأصبعيه وهو يقول : « الخيل معقود[2] في نواصيها الخير إلى يوم القيامة إلا جرو الغنية .. » .

تعرض القرآن لذكر الخيل ، ووصفها بأنها إحدى شهوات الحياة وزينتها ومتاعها فإنها قوة في السلم والحرب .. وإنها قد وجدت مكانة في نفس سيدنا داوود ومتسعاً من وقته ...

﴿ زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسوَّمة والأنعام والحرث ذلك متاع الحياة الدنيا والله عنده حُسْنُ المآب ﴾ (آل عمران : ١٤) .

﴿ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدو الله وعدوكم وآخرين من دونهم لاتعلمونهم الله يعلمهم وماتنفقوا من شيء في سبيل الله يُوَفَّ إليكم وأنتم لاتظلمون ﴾ (الأنفال : ٦٠) .

﴿ ومأأفاء الله على رسوله منهم فماأوجفتم عليه من خيل ولاركابٍ ولكن الله يسلط رسله على من يشاء والله على كل شيء قدير ﴾ (الحشر : ٦) .

﴿ واستفزز من استطعت منهم بصوتك وأجْلِبْ عليهم بخيلك ورَجِلك وشاركهم في الأموال والأولاد وَعِدْهم ومايعدهم الشيطان إلا غروراً ﴾ (الإسراء : ٦٤)

---

(١) أي ارتضوا الخيل وربوها ، وتوارثوها ، ولاتهملوا سلالتها .

(٢) أي الخير ملازم لها .

﴿ والعاديات ضبحاً . فالموريات قدحاً . فالمغيرات صبحاً . فأثرن به نقعاً . فوسطن به جمعاً ﴾ (العاديات : ١ ـ ٥) .

﴿ ووهبنا لداوود سليمان نعم العبد إنه أوَّاب . إذ عرض عليه بالعشيِّ الصافنات الجياد . فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب . ردوها علي فطفِق مسحاً بالسوق والأعناق . ولقد فتنا سليمان وألقينا على كُرْسِيِّه جسداً ثم أناب ﴾ (ص : ٣١ ـ ٣٤) .

والخيل لازالت في عصر المادة الذي نعاصره تحتفظ بكونها زينة تحبها النفس وتهواها ، لمافيها من قوة وفتوة ، وإلفة ومودة .. ، فهي أداة للفروسية وتترك في النفس راحة وإعجاباً .. ، وهي من أدوات السلم والحرب قديماً وحديثاً .. ، وقد عزت مكانتها في الحروبات في الجاهلية والإسلام .. ﴿ فماأوجفتم عليه من خيل ولاركاب ﴾ .. وقد عرف المخاطبون بالتنزيل من معاصريه صورة الخيل ، فجاء بها القرآن لتصوير مشهد مغالبة النفس بين الشر والخير ... ، بين إغراء الشيطان وأتباع الطريق السوي .. : منظر الشيطان وهو يجمع كل إمكانياته ومقدراته .. منظرها وهو يحمل عليها بخيله ورجله .. غارة فيها من الأتباع خيالة ومشاة ... كانت هذه اللوحة أقرب لأذهانهم فاستخدمها كما استخدم العاديات ضبحاً .. ، ففي اللوحة منظر الخيل الراكضة وهي تجد في العدو فتثير الغبار ليختلط بخيوط شعاع الفجر ... وصوت أنفاسها يعلو ويهبط .. ، فتدخل جمع الأعداء وتهيله ... استخدم تلك الصورة الحية الصاخبة ليقرب صورة معاناة الإنسان النفسية في صراعه بين شكر أنعم الله وجحدها ، وليوضح بها هول البعث وصخب القبور تتفتح ليخرج من فيها ...

كما اختار الله قوة الخيل لتمثل غيرها من القوى التي يجب أن يعدها المسلم لمواجهة مايعترضه في طريقه إلى الله ﴿ وأعدوا لهم مااستطعتم من قوة ومن رباط الخيل ﴾ ... غير أن العالم الإسلامي لم يعمل بتوجيه ربه ، فهو يستطيع إعداد

الكثير ، ولكنه للقليل لم يفعل ... فيه وفرة الإمكانيات وسوء الاستخدام والتوجيه ...

بلغ عائد العالم العربي من البترول سنة ١٩٨٠ (٢٠٠) مئتي بليون دولار ... وتقول إحصائية ١٩٧٩ بأنه يملك نصف الاحتياطي العالمي من البترول ... ولكنه استورد مواداً غذائية في عام ١٩٧٦بلغت خمسة أمثال مااستورده سنة ١٩٦٠[١]... كل ذلك مع الإمكانيات البشرية المؤهلة وهجرتها لأوربا وأمريكا .. ، والطاقات البشرية المعطلة والتي يصحبها من جانب الحكومات الاهتمام بمظاهر التنمية والإنتاج أكثر من الإنتاج نفسه .. ، فقد قال لهم ربهم : ﴿ مااستطعتم من قوة ﴾ ، وتركها مطلقة ماديِّها ومعنويِّها ... القوة الفكرية والاقتصادية والعسكرية ... فإعداد تربية النشء وإعداده وتوجيه طاقاته وإمكانياته لما هو أفضل قوة .. ، وتفجير الإمكانيات العقلية بالتعليم والعلم والمعرفة التقنية مدنيِّها وعسكريِّها ، بحراً وبراً وفضاءً ، قوة ..، وتسخير عائد ماتخرجه باطن الأرض من بترول ومعادن وغيرهما لخدمة المجتمع الإسلامي وتطويره قوة .. ، وتعمير الأرض وتوفير الغذاء قوة تنفع عند رفع سلاح قطع الغذاء والمصنعات الغذائية المعلبة ، واستخدامه لتعيير المواقف والأفكار في قضايا العقيدة والوطن ، قوة .. ، كل تلك قوى يمكن أن تجمع فتصنع المعجزات في عالم بدأت فيه الأفكار تفرض وتحارب بالغزو المسلح والهجمات العسكرية .. ، ولكنا عنها نيام نهتم بتصنيف قوائم المستوردات من علبة الساردين ، وماهو أصغر من ذلك أو أكبر .. ، حتى طائرات الإنذار المبكر[٢]...

---

(١) هدر الإمكانية للدكتور نادر فرحاني .. مركز دراسات الوحدة العربية .

(٢) بلغ بهم الأمر أن يتلاعبوا بعقيدة المسلم والاستخفاف بعقله .. أن أدخلوا دهن الخنزير في صنع البسكويت ... كما وجدت كمية من السمك المستورد بالكويت كتب عليها (ذبحت بالطريقة الإسلامية) ... وهكذا حرب الغذاء .

وتعرض القرآن للخيل عند عرضه لما كان من أمر سيدنا داود عليه السلام وحبه لخيله ﴿ فطفق مسحاً بالسوق والأعناق ﴾ . فقد استعرض خيله ذات عشية فراقه منظرها وطلب إعادة عرضها معبراً عن حبه لها وعطفه عليها ..، وفي دراسة علم سلوك الحيوان وإدارته اليوم نجد أن أول مايتلقاه الدارس عن الخيل هو كيفية الاقتراب منها ، ويتم ذلك بالتحدث إليها ومسح سوقها وعنقها ، ويطلب منه حفظ القاعدة الهامة بأن (الحصان يساوي حافره) ...

يقول علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما في تفسير هذه الآية ... « جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حباً لها ... » . ومن الناس من يقول : بأن الخيل قد شغلت سيدنا داود عن صلاته ... فقال ردوها علي ... فردوها ، وجعل يضرب أعناقها وسيقانها جزاءً لها ، ويقول ابن جرير معلقاً عن ذلك الرأي معارضاً ... « ... لأنه لم يكن ليضرب حيواناً بالعرقبة ... » . ويقول الرازي ... « إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم ، كما إنه كذلك في دين الإسلام ، ثم إن سيدنا داود عليه السلام احتاج إلى الغزو فجلس ، وأمر بإحضار الخيل ، وأمر بإجرائها . وذكر ... إني لأحبها لأجل الدنيا ونصيب النفس ، وإنما أحبها لأمر الله ... وطلب تقوية دينه وهو المراد في قوله ﴿ عن ذكر ربي ﴾ ثم إنه عليه السلام أمر بإعدادها وتسييرها حتى توارت بالحجاب ـ أي غابت عن بصره ـ ، ثم أمر الرائضين أن يردوا تلك الخيل إليه ، فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها ، والغرض من ذلك المسح :

١ ـ تشريفاً لها وإبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان في دفع العدو .

٢ ـ أنه أراد أن يظهر أنه في ضبط السياسة والملك ، يتضح هذا حيث إنه يباشر أكثر الأمور بنفسه .

٣ ـ أنه كان أعلم بأحوال الخيل وعيوبها وأمراضها ، فكان يمتحنها ويمسح سوقها وأعناقها حتى يعلم هل فيها مايدل على المرض ... » .

وذكر صاحب كتاب (محاسن التأويل) بأن الإمام ابن حزم قد سبق الرازي لهذا الرأي ... يقول ابن حزم :

« تأويل الآية على أنه قتل الخيل إذ اشتغل بها عن الصلاة خرافة موضوعة مكذوبة ، سخيفة باردة ، قد جمعت آفتين من القول : لأن فيها معاقبة خيل لاذنب لها والتمثيل بها ، وإتلاف مالٍ منتفع به بلامعنى ، ونسبة تضييع الصلاة إلى نبي مرسل ، ثم يعاقب على ذنبه لاعلى ذنبها ... وإنما معنى الآية أنه أخبر أنه أحب حب الخير من أجل ذكر ربه حتى توارت الشمس أو تلك الصافنات الجياد بحجابها ، ثم أمر بردها فطفق مسحاً بسوقها وأعناقها بيده براً بها ، وإكراماً لها ... هذا هو ظاهر الآية الذي لايحتمل غيره ، وليست فيها إشارة أصلاً إلى ماذكروه من قتل الخيل وتعطيل الصلاة ، وكل هذا قد قاله ثقات المسلمين فكيف ، ولاحجة في قول أحد دون رسول الله ﷺ .. » .

البغال :

البغل حيوان عقيم وقد عرف العرب ذلك بالتجربة والمعايشة ، وقد جاء في أمثالهم .. « أعقر من بغل ، وأعقم من بغلة » ... والبغل وراثة : هو هجين ناتج عن تهجين الفرس والحمار ... وبنيته هو أقوى من أبويه كليهما ، ولكنه عقيم ، لاتنمو خلاياه الجنسية ...

تجمع البغال الصفات الممتازة لآبائها من كبر حجم وسرعة وقوة ، وتحمل للظروف البيئية القاسية ... والبغل في علم الوراثة مثال لقوة الهجين

(heterosis-highbred vigor)[1] ... ويرجع عقم البغال لعدم اتحاد صبغيات (كروموسومات) والديه ، بالطريقة المثلى في عملية الانقسام المنصف (meiosis)[2] لتكوين خلية جرثومية قابلة للنمو والحياة (viable gametes) ... وقد وجد أن جميع الهجائن من الأنواع المختلفة كلها عقيمة ... ولو كان غير ذلك ، لنشأت صعوبة في تحديد الأنواع وحفظها ... وهناك ناتج آخر عن تهجين الأتان والحصان وهو غير البغل ويعرف بـ (hinny) ... ولم يحدث أن سجلت حالة لبغل مُخْصِبْ ، (ذو قدرة على الإخصاب والتوليد) ، وقد يوجد بنسبة متناهية في الصغر ... ولكن حدث تسجيل حالات لبغلة مخصبة نتج عنها بغل أو حصّان عند تلقيحها بواسطة الحصان أو الحمار ...

وقد جاء ذكر البغال في القرآن ترتيباً بين الخيل والحمير ... ﴿ والخيل والبغال والحمير ... ﴾ ، ويلاحظ أن ورودها هكذا يناسب موضعها الوراثي في كونها هجيناً من الفرس والحمار ... والله أعلم بما يريد ...

الحمار :

تختلف أقوال الأمم فيه مدحاً وذماً ... وعرف الحمار بالصبر على الأحمال ... تقول العرب (أصبر من حمار) ... وعرف أيضاً بحدة السمع وخاصية الإهتداء للطرقات التي سبق له السير فيها ولو مرة واحدة ، وبه يضرب المثل في البلاهة والبلادة وقلة الفهم ... ومن أمثال الفرنسيين « فلان رديء كالحمار الأحمر » ...

---

(١) حدوث ظاهرة كبر الحجم ، وزيادة في سرعة النمو ، وارتفاع في الخصوبة ومقاومة الأمراض وذلك عند مقارنة الجيل الأول بآبائه ، والناتجة عن تهجين سلالات مختلفة مرباة تربية داخلية وتختلف اختلافاً كلياً في التركيب الجنيني عن جاميطات الآباء ...

(٢) هو عبارة عن انفصال الصبغيات من أشكال زوجية إلى فردية ...

قال الزمخشري :

« الحمار مثل في الذم الشنيع والشتيمة ... من استيحاشهم لذكر اسمه أنهم يكنون عنه ، ويرغبون عن التصريح فيقولون : الطويل الأذنين . وقد عد من مساوئ الآداب أن يجري ذكر الحمار في مجلس قوم ذوي مروءة ..، ومن العرب من لا يركب الحمار استنكافاً وإن بلغت به الرحلة الجهد . وقيل : إن النبي ﷺ قال : « إذا سمعتم نهيق الحمير فتعوذوا بالله من الشيطان ، فإنها رأت شيطاناً ... »[1].

أورد القرآن الكريم لفظ الحمار بنوعيه الأهلي والوحشي ... فجاء به في موضع الذم لليهود ، وغيرهم ممن أعرض عن كتاب الله وهديه ، وذماً لرفع الأصوات أكثر مما ينبغي عند الحديث والمخاطبة ، كما جاء لتبيين حقيقة الخلق والموت والبعث ...

﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفاراً بئس مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله والله لا يهدي القوم الظالمين ﴾ (الجمعة : ٥) .

شبه القرآن اليهود ، وقد حملوا التوراة ... فخالفوا ماجاءت به وبدلوها وحرفوا كلمها عن مواضعه ، وماستفادوا بما حوته ، بالحمار حامل الأسفار (الكتب) ، وقد أثقله حملها فتعب وشقي بها ، وفاته مافيها من منافع عظيمة لا يدركها ولا يعقلها ، فصار وجه الشبه ... أن كلاً من اليهود والحمار يشقى بذي فائدة من دون أن يدرك ثمرتها ، وهي صورة فيها كل معاني الضياع والخسران : حمل ثقيل ... وعمل لا ينفع .

وجاء في وصايا لقمان لابنه ...

---

(١) دائرة المعارف العربية ـ بطرس البستاني ... لفظ الحمار ١٦١ / ٧ ...

﴿ واقصد في مشيك واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾

(لقمان : ١٩)

للحمار نهيق مزعج لسمع الإنسان مثير لاشمئزازه ..، له نبرات صوت وجرس موسيقي ، يوصف عادة من تجد في مسمعه طرباً واستحباباً ، بأنه ذو ذوق موسيقي سقيم ..، وصوت الحمير تستخدمه للمخاطبة مع بني جنسها ، وهو مناسب لذوقها ، ومؤدٍ للوظائف التي أوجده الخالق من أجلها ... بكل طبقات نبراته ، غير أن الأذن البشرية تنفر من سماعه ويزعجها فتنكره ..، ولايختلف عضو الصوت عنده تشريحاً عن عضو الصوت عند الكلاب والخيول ..، ولكنه يختلف عن مثيله لدى المجترات ....وقد جاءت ﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ ، لتعقب على ماسبقها من تصوير للتكبر والخيلاء ..، وهي صورة مذمومة وصفت بأنها شبيهة بالإبل وقد لويت أعناقها نتيجة للصعر ...

يقول الإمام سيد قطب في ظلال القرآن :

« ... الأسلوب القرآني يرذل هذا الفعل ويقبحه في صورة منفرة محتقرة بشعة حين يعقب عليه ﴿ إن أنكر الأصوات لصوت الحمير ﴾ ، فيرتسم مشهد مضحك يدعو إلى الهزء والسخرية ، مع النفور والبشاعة ، ولايكاد ذو حس يتصور هذا المشهد المضحك من وراء التعبير المبدع ، ثم يحاول ... شيئاً من صوت هذه الحمير ... » .

ويتحدث القرآن عن قصة حمار العزير ، موضحاً بها إبداع الخالق ، وثبوت حقيقة الموت والبعث ومايسبقها من حياة ...

﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم

قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يتسنَّه وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية للناس وانظر إلى العظام كيف نُنْشِزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾ (البقرة : ٢٥٩) .

ويقول تعالى :

﴿ فمالهم عن التذكرة معرضين . كأنهم حمر مستنفرة . فرت من قسورة ﴾ (المدثر : ٤٩ ـ ٥١)

فهنا مثل للإعراض عن الذكر ، وعرض لمثال واقع يجسد قضايا الكفر والإلحاد ، ويصف حقيقة الملحدين وهلعهم وخوفهم من الحق ، وقد جاءهم من عند حكيم خبير ... عرضها في صورة لاتفارق خيال ومخيلة العربي في باديته ، وهو يخالط الحيوان ويلاحظ تصرفاته وسلوكه . فقد عرف العربي في شبه الجزيرة العربية أن حمار الوحش من أشد الحيوانات المصيدة عدواً ... وقد شبهت به الإبل في العدو والنجاء . تقول العرب : « العير أوقى لدمه » ... و « الجحش إن فاتتك الأعيار » ...

يقول الجاحظ ...[1]: « وحمر الوحش لاتعيش إلا جماعات ، ولكل جماعة أمير يقودها فترد بوروده ، وتصدر بصدوره ، وتنهض بنهوضه ، وتقع بوقوعه ، وتروح برواحه ، وتغدو بغدوه ... » .

فحمر الوحش تعيش في بيئتها الطبيعية في جماعات أقلها يبلغ من الأعداد عشراً ..، وهي تخاف الأسود وترهبها وتركض فارة بجسدها عند رؤيتها حتى وإن لم تهاجمها ... ولعل رؤيتها للأسد وتأكدها منه ثم هروبها ، يلائم تماماً نفور الوليد وإعراضه عن القرآن ، وقد أدركه فهماً وتأملاً ...

---

(١) كتاب الحيوان ١٨ / ١ .

« ...[1] ثم ينص على مثل الوليد في الإعراض عما في القرآن من تذكرة ، ويصور هذا الإعراض بنفور الحمير النافرة من الوحوش ، فكأن الإعراض قد جاء بعد نظر وكشف لحقيقة القرآن ، وهو الأمر الذي حدث من حيث سمع القرآن من الرسول ﷺ ، وتأمله تأملاً واعياً ، فمس من قلبه منطقة الإعجاب والقرب من الإيمان ، وقرر أنه ليس قولاً من أقوال البشر ، فلما زجره أبو جهل وذكره بالأرستقراطية القرشية عاد وفكر وقدر ثم قال ماقال معرضاً عما مسّ قلبه من حنين إلى القرآن ... » .

وقال القرآن عن الحمار : إن مثله في التسخير ومايؤدي من منافع وأغراض للبشر كمثل الخيل والبغال ... فهي زينة له وحاملة لأثقاله ومطيته في أسفاره ...

﴿ والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينة ويخلق مالا تعلمون ﴾ ...

☆ ☆ ☆

(١) أسرار ترتيب القرآن للسيوطي ـ تحقيق عبد القادر أحمد عطا . ص ٣٤ ، ٣٥ / ط ١ الاعتصام ١٩٧٦ م .

الكلب

جاء لفظ الكلب في القرآن الكريم في ثلاثة مواضع ...

عند توضيح تحليل الصيد بالجوارح وماعلم من الحيوان ...

وعند التحدث عن أهل الكهف وكلبهم ...

وفي مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله بعد توضيحها ...

﴿ يسألونك ماذا أحل لهم قل أُحِلَّ لكم الطيبات وماعلمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب ﴾ (المائدة : ٤) .

وعن الفتية الذين آمنوا بربهم فزادهم إيماناً ...

﴿ وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد لو اطلعت عليهم لوليت منهم فراراً ولملئت منهم رعباً ﴾

(الكهف : ١٨)

﴿ سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم ويقولون خمسة سادسهم كلبهم رجماً بالغيب ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم قل ربي أعلم بعدتهم مايعلمهم إلا قليل فلا تُمار فيهم إلا مِرَاءً ظاهراً ولاتستفت فيهم منهم أحداً ﴾ (الكهف : ٢٢) .

تحدث القرآن عن فتية الكهف وأورد قصتهم كاملة وحدد مدة نومهم بثلثمائة سنة وازدادوا تسعاً ..، نتجت السنوات التسع عن الفرق بين أيام السنة

الشمسية والقمرية لمدة ٣٠٠ عام ...، فالسنة الشمسية أيامها (٢٤٢٢ , ٣٦٥) يوماً ، وعدد أيام السنة القمرية (٣٦٧١ , ٣٥٤) يوماً ، وبذلك يكون الفرق بين عدد أيامها (٨٧٩١ , ١٠) ... ويكون مجموع الفرق في ٣٠٠ عام (٥٣ , ٣٢٦٢) يوماً ...، وعند قسمة هذا العدد على أيام السنة القمرية يكون الناتج (٢٠٦٦٣٩١ , ٩) سنوات ...﴿ ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافاً كثيراً ﴾ (النساء : ٨٢) .

وقد عرفتهم المسيحية كما عرفهم الإسلام بأهل الكهف ..، فثمة أسطورة تتحدث عن فتية عزفوا عن عبادة الأوثان ، واعتنقوا المسيحية ، تعرف باسم النيام السبعة (THE SEVEN SLEEPERS) ... وقد كتب المستشرق الفرنسي ماسينيون عنهم كتاباً أسماه (نيام أفسوس السبعة) ...

وحدث أن أعلنت دائرة الآثار الأردنية عن تحديد موقع كهف أهل الرقيم في قرية الرقيم ، والتي حرف الأهالي اسمها إلى الركيب ، وتقع القرية جنوب مدينة عمان على بعد سبع كيلومترات ، وتحدث الأستاذ ظبياني رئيس رابطة العلوم الإسلامية في عمان ذاكراً[1] :

« ... أنه في عام ١٩٦٢ عرف أن كهفاً يوجد في منطقة (البلقاء) الأردنية ... وأنه ذهب مع فريق من الكشافة الملحقة بالرابطة ليتعرفوا على الكهف ، وفعلاً تبينوا من وجوده هناك ، فأعلموا دائرة الآثار الأردنية التي قامت بالحفر والتنقيب ، فكانت النتيجة كما يلي :

(١) « تم العثور داخل الكهف على نقوش وحلي ونقود بيزنطية ترجع

---

(١) مجلة العربي العدد ٢١٦ ص ٣٣ ، (النيام السبعة وأهل الكهف) د . عبد الله العمراني ...

للقرن الثالث الميلادي مصداقاً لقوله تعالى » ﴿ فابعثوا أحدكم بورقكم[1] هذه إلى المدينة فلينظر أيها أزكى طعاماً فليأتكم برزق منه وليتلطف ولايُشعِرَنَّ بكم أحداً ﴾ .

(٢) تم العثور على سبعة قبور ، وعلى قبر كلب ﴿ ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم ﴾ .

(٣) تم العثور على سبعة جماجم بشرية وجمجمة كلب ...

(٤) تم العثور على الكهف المذكور في سورة الكهف ﴿ قال الذين غلبوا على أمرهم : لنتخذن عليهم مسجداً ﴾ .

(٥) أعمدة المعبد (المسجد) الذي أقيم فوق الكهف باقية ماثلة للعيان ...

ويضيف .. « إننا عثرنا أيضاً على (الفجوة) التي بداخل الكهف عن طريق الصدفة .. فعندما أزلنا الأتربة والحجارة ، ظهرت كوة عليها غطاء حجري مثقوب ، فلما رفعنا هذا الغطاء ، وجدناه ينفذ إلى داخل الكهف ، حيث توجد فجوة تبلغ مساحتها على وجه التقريب حوالي أربعة أمتار في ثلاثة » .

وختم حديثه ...« فالآيات القرآنية الكريمة وماورد فيها من أوصاف تنطبق تماماً على هذا المكان دون غيره ..، فالشمس تمر فعلاً عند طلوعها أمام الكهف ، وتنحرف عنه عند غروبها ..، فأشعتها لاتنفذ داخل الكهف لحكمة إلهية ..﴿ وترى الشمس إذا طلعت تَزَاوَرُ[2] عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تَقْرِضُهم[3] ذات الشمال وهم في فجوة منه ذلك من آيات الله ... ﴾(الكهف :١٧)

---

(١) عملتكم الفضية .

(٢) أي تميل .

(٣) تتركهم وتعدل عنهم .

ويقول القرآن ...

﴿ واتل عليهم نبأ الذي آتيناه آياتنا فانسلخ منها فأتبعه الشيطان فكان من الغاوين . ولوشئنا لرفعناه بها ولكنه أخلد إلى الأرض واتبع هواه فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا فاقصص القصص لعلهم يتفكرون ﴾ (الأعراف : ١٧٦ ـ ١٧٨) ...

وكثيراً مايحدث أن يغفل سامع المثل الممثلات ويركز اهتمامه بالأمثال في ذاتها ..، ففي الآية السابقة نجد نموذجاً من طباع السلوك الحيواني الملموس في مثل يتعلم منه الناس ..، وعلينا أن نعي أن نفاسة المشبه به أو هبوط قيمته ليست مرادة في التشبيه القرآني ، ولكنه يعنى العناية كلها باقتران الصورتين في ذهن السامع أو القارئ ، لتتضح دون غموض أو التباس ، فيكتمل تأثيرهما في نفسه ... فالبيان في الآية ـ وهو سمة من سمات الإعجاز القرآني ـ قد أخرج لهذا التشبيه : حال الكافر العادل عن آيات ربه ، وذلك أمر معنوي لاتقع عليه الحواس ، إلى ماتشهده العين من طباع في الكلاب ....، وقرن شكل الظاهرة الفسيولوجية[1] بعدم ترك جاحد الإيمان لموقفه ، مهما تدبر المذكر من قول لإقناعه ، فهو ثابت على حالته لاينزع عنها ، فمثله كمثل الكلب لاهثاً ... قال العتبي[2] ... « كل شيء فإنما يلهث من إعياء أو عطش إلا الكلب فإنه يلهث في حال التعب ، وفي حالة الراحة ، وفي حال الري وفي حال العطش ، فضربه الله مثلاً لمن كذب بآيات الله تعالى ... إن وعظته فهو ضال وإن تركته فهو ضال كالكلب إن طردته لهث وإن تركته على حاله لهث ... » وأورد الإمام سيد قطب في كتابه[3] ... « يريد أن يكشف عن حال أولئك الذين يهيئ الله

---

(١) من وظائف الأعضاء .

(٢) حياة الحيوان الكبرى ـ الدميري ٢٩٤ /٢ .

(٣) التصوير الفني في القرآن الكريم ..

لهم المغرفة ، فيفرون منها كأن لم تهيأ لهم أبداً ، ثم يعيشون بعد ذلك هابطين ، تطاردهم أنفسهم وأهواؤهم ، بما علموا وبما جهلوا فلاهم استراحوا بالغفلة ، ولاهم استراحوا بالمعرفة ، فيرسم لهم هذه الهيئة ﴿ .. فمثله كمثل الكلب إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث ﴾ ...

ففي الصورة تحقير وتقذير - يحقق الغرض الديني - ولكنها من الوجهة الفنية صورة شاخصة مليئة بالحركة الدائبة ...، وهي صورة معهودة ، فهي في تثبيت المعنى المراد بها أشد وأقوى ... وهكذا يلتقي الغرض الديني بالغرض الفني كالشأن في جميع الصور التي يرسمها القرآن .. » .

واللهاث (PANTING) هو عبارة عن زيادة في معدل التنفس ، (٢٠٠ / ٤٠٠ مرة / الدقيقة) ، مع فتح الفم ..، ويكون مصحوباً بزيادة في إفراز اللعاب فينتج عن ذلك تبريد عن طريق تبخير الماء ، وعملية اللهاث كغيرها من أنواع التبريد عن طريق التبخير تفقد الجسم كمية كبيرة من سوائله ، والتي يلزم تعويضها حتى يتمكن الجسم من تنظيم درجة حرارته ،.. واللهاث خاصية فسيولوجية للتبريد تقوم بها بعض الثديات وكثير من الطيور وبعض الزواحف ... وهي تعتمد على تبخير الماء من السطوح الداخلية للجسم ، فعندما ترتفع درجة حرارة الجسم يزداد معدل التنفس تبعاً لذلك ، فيحدث التبريد عن طريق تبخير الماء في فجوات الأنف والفم والرئتين وفي الأكياس الهوائية عند الطيور ...

والطيور ليست لها غدد عرقية ... وتوجد الغدد العرقية عند الإنسان والحصان في كل أنحاء الجسم ، أما غيرهما من الحيوانات الثديية طويلة الشعر فتوجد الغدد العرقية في كفة الأرجل والأقدام فقط ، كما هي عند القطط والكلاب ... إذاً فللكلب غدد عرقية بكميات قليلة في أقدامه لاتؤثر في تنظيم

درجة حرارة جسمه ...، لذا فهو يلجأ إلى عملية التنفس عند ارتفاع درجة حرارة جسمه ، حتى يصل معدل التنفس عنده لما يعادل ٢٠٠ ، ٣٠٠ مرة / الدقيقة[١] وعندئذ يمر تيار الهواء في الغشاء المخاطي في تجويف الفم والأجزاء العليا للجهاز التنفسي بسرعة وليس بعمق ، مع الإفراز المستمر للعاب ... وبهذه الطريقة يحصل الحيوان على تيار هوائي مستمر بدون أن ينخفض الضغط الجزئي لثاني أوكسيد الكربون في الدم ، كما هو الحال في التنفس السريع ... ﴿ ساء مثلاً القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم كانوا يظلمون ﴾ (الأعراف : ١٧٨) .

☆ ☆ ☆

(١) يحدث أن يرتفع معدل التنفس عند الطيور إلى ٦٠٠ مرة / الدقيقة .

الباب الثاني
الطيور

﴿ ومـــامن دابـــة في الأرض ولا طـــائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم مافرطنـا في الكتـاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾

(الأنعام : ٣٨)

الطيور أمة يبلغ عدد أنواعها المعروفة (٨٥٨٠) نوعاً تقريباً مقسمة على ٢٧ عائلة زادت بعد تصنيف طيور البشاروش والطوارق في عوائل خاصة بها ...

ونجد في سورة الأنعام الآية (٣٨) دلالة لتصنيف الكائنات الحية ومنها الطيور .. ، والطيور هي أقدر المخلوقات التي تطير على الطيران[١] ، فالحشرات تحلق في الجو ، وكذلك الخفاش يطير وهو من الثديات .. ، ولكن تنفرد الطيور بأن لها ريشاً يحمي ما تحته من جلد رقيق حساس . ، وهو بمثابة جهاز التكييف بالنسبة للطيور . ، يحبس الريش الحرارة فيما بين الريش الزغب للطيور عند انخفاض درجة حرارة الجو ، ويعمل على انتقالها لخارج الجسم عندما يكون الجو حاراً ... ، والطيور من ذوات الدم الحار .. ، يقول الله جل شأنه ...

﴿ ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء ما يمسكهن إلا الله إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ (النحل : ٧٩) .

﴿ ألم تر أن الله يسبح له من في السماوات والأرض والطير صافات[٢] كل قد علم صلاته وتسبيحه والله عليم بما يفعلون ﴾ (النور : ٤١) .

﴿ أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ويقبضن ما يمسكهن إلا الرحمن إنه بكل شيء بصير ﴾ (الملك : ١٩) .

تكيفت الطيور لتلائم بيئتها الجوية ... ، فللطيور ريش وأجنحة

---

(١) الطيران هو أهم صفات الطيور بالرغم من وجود طيور لا تطير كالنعامة والبطريق والوزيات

(٢) صف الطير إذا بسط جناحيه في الهواء وسكنها فلم يحركها ...

وعضلات صدرية قوية ضخمة نسبياً ، ولها عظام خفيفة مجوفة قصيرة وطويلة .. ، يستخدم الطويل منها في التنفس مع الأكياس الهوائية والرئة .. ، ولها جسم ذورقي لا يجد من الهواء مقاومة تذكر عند الطيران .

فالطيور وهي تحلق في الجو زرافات ووحداناً ، تكون مشهداً بديعاً من مشاهد الطبيعة ... ، فعند الطيران تبسط أجنحتها وتصف أقدامها ، وعند الهبوط تقبض أجنحتها وتدلي أرجلها .. صورة حية متحركة في الجو تدركها حاسة العين ، فتبدو أمامها لوحة طبيعية : فيها طير باسطات أجنحتها ، قابضات أرجلها ... ، وما ينتهي النظر منها حتى يشاهد الطيور وهي قابضة أجنحتها هابطة إلى الأرض .. إنها صورة أروع ما تظهر عندما يكون الطير أسراباً .. ، فإذا أدركها الحس الشاعر كانت دليلاً لمعرفة قدرة ربه .. ، وكثير من الناس لا يدرك كنهها ، وإن تعددت مرات مشاهدتها ، فقد فاته أنها بذلك تسبح الله وتعبده ﴿ كل قد علم صلاته وتسبيحه ﴾ ...

تحفظ الطيور توازنها بواسطة عضلاتها .. وقد وجد أن المخيخ ، وهو المسؤول عن توازن العضلات ، كبير نسبياً عند الطيور الطائرة .. ، كما أن له ثنيات وطيات في سطحه كثيرة العدد ... ، وقد أثبتت التجارب العلمية أن للطيور ذاكرة بصرية ممتازة ، تتمكن بواسطتها من الطيران عبر المحيطات والصحاري مسترشدة بما لصق بذهنها من ملاحظات .. ، كما أنها تتمتع بقدرة فائقة في اكتشاف الأشعة دون الحمراء ، والتي تستدل بها عند تعذر رؤية العلامات الأرضية كنتيجة للظلام أو الضباب ، كما تسترشد الطيور بالنجوم وبموقع الشمس نهاراً .. ، وهنالك من يقول : بوجود شيء داخلي فيها يقوم مقام البوصلة تعرف به المجال المغنطيسي للأرض ...

يهاجر بعض الطيور ويضع برنامجاً خاصاً لتنفيذ هجرته .. : كهجرة طائر

البطريق من مياه القارة القطبية الجنوبية إلى الأرض اليابسة في موسم التزاوج .. ، وهنالك طائر يعرف بطائر الملتون (multon bird) في المحيط الهادي يقوم برحلة يأخذ مسارها شكل الرقم ثمانية (8) ، وتبلغ مسافتها ٢٥ ألف كيلو متر في زمن مقداره ستة أشهر ، يعود بعدها إلى المكان الذي انطلق منه .. وبتأخير زمني يبلغ الأسبوع[١] .

يقول (في ظلال القرآن) عن تسبيح الطير صافة قابضة ...

« ومشهد الطير مسخرات في جو السماء مشهد مكرور ، قد ذهبت الإلفة بما فيه من عجب ، وما يتلفت القلب البشري عليه إلا حين يستيقظ ويلحظ الكون بعين الشاعر الموهوب .. وإن تحليقة طائر في جو السماء تستجيش الحس الشاعر إلى العقيدة حين تلمسه .. فينتفض للمشهد القديم الجديد ﴿ ما يمسكهن إلا الرحمن ﴾ بنواميسه التي أودعها فطرة الطير ، وفطرة الكون من حولها ، وجعل الطير قادرة على الطيران ، وجعل الجو من حولها مناسباً لهذا الطيران ، وأمسك بها الطير لا تسقط وهي في جو السماء ﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يؤمنون ﴾ .

ومن تشبيهات القرآن ..

﴿ حنفاء لله غير مشركين به ومن يشرك بالله فكأنما خَرَّ من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق[٢] ﴾ (الحج : ٣١) .

وبذلك يرسم صورة محسوسة لحالة الضياع التي تصحب نفس من يشرك بالله .. ، صورته ساقطاً من السماء .. من فضاء لانهائي ، وبسرعة شديدة فلا يصل إلى سطح الأرض فيستقر ، وإنما تأخذه الطير خطفاً فتزيد من عنف

---

(١) « كتاب القوى والوهن » .

LA PUISSANCE ET LA FRAGILITÉ HUMBURGER FLAMMARION, EDITEUR, PARIS 1972

(٢) لفظ سحيق يستخدم للبعد في وصف البعد .

الصورة وحركتها ... ، ولا ندري إلى أين ستأخذه .. ، أو يكون خاراً فتأخذه الريح ، وبلا تحديد لاتجاهها أو وجهتها تلقيه في مكان سحيق مجهول ... فيهوي للانهائي كما جاء منه .. ، ليكمل لوحة الضياع وسوء المنقلب ... سقوط بلا جذور ، وسير بلا استقرار ومنتهى لمقصود غير محدد ...

وجاء عن الطير عند سليمان وداود عليهما السلام ....

﴿ وورث سليمان داود وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير وأوتينا من كل شيء إن هذا لهو الفضل المبين . وحُشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير فهم يوزعون ﴾ (النمل : ١٦ ، ١٧) .

﴿ وتفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد أم كان من الغائبين[1] ﴾

(النمل : ٢٠)

﴿ اصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داوود ذا الأيد إنه أواب . إنا سخرنا الجبال معه يسبحن بالعشيِّ والإشراق . والطير محشورة كل له أواب .. وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ (ص : ١٧ ، ٢٠) .

﴿ ولقد آتينا داود منا فضلاً يا جبال أوِّبي معه والطير وألنَّا له الحديد ﴾

(سبأ : ١٠)

﴿ ففهمناها سليمان وكلاًّ آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داوود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ﴾ (الأنبياء : ٧٩) .

فههنا الطير جندي مسخر من عند الله ليكون أواباً لداود ، وهي تسبح معه مرددة تراتيله ﴿ وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لا تفقهون تسبيحهم ﴾ ..

---

(١) الآيات ٢٠ : ٢٨ النمل ، فيها مناقشة وتكليف ، وسؤال وتبرير بين سليمان والهدهد ... ويكنى الهدهد بأبي الأخبار ..

وورث سليمان أباه ، فعلمه الله منطق الطير وسخرها لخدمته ... ، وقد تفقد سليمان جنوده يوماً فلم يجد الهدهد ، فتوعده بشديد العذاب أو السجن .. ، ثم مكث غير بعيد ، فإذا بالهدهد[1] ينبئ بما لم يحط به سليمان عن بلقيس وملكها ... ، وفي حديث الهدهد مع سليمان خارقة وإعجاز ، وخروج عن السنن والنواميس الكونية العامة ، ولكنها المعجزات الإلهية ... وهذه خاصة لسليمان وقد عُلِّمها من لدن لطيف خبير ..

هنالك محاولات لعلماء الطبيعة والحيوان لمعرفة وفهم لغات الحيوان والحشرات والطيور .. ، ومهما كانت نتيجة تلك الأبحاث في نهايتها فهنالك اختلاف كبير بين معرفتهم للغة الطير ومعرفة سليمان لها .. ، فهي عند العلماء اجتهاد علمي محبب ومقبول ، وفيه عبادة لمن أراد به وجه الله .. وفيها برهان لبديع تصوير ودقة الخالق .. ، وفيها تعميق لإيمان من يستخدم نتائجها ببصيرة وقلب سليم ، وحس يتدبر ويفكر فيما وراء ذلك من إرادة وتقدير .. ، ومعرفتها عند سليمان معجزة وخارقة أزاح بها الله ما أسدل من حواجز أقامها بين خلقه .. وكان ذلك لسليمان بلا محاولة منه ولا اجتهاد ...

ونلمس في طريقة مخاطبة الهدهد لسليمان مثالاً لحسن الحوار بين القادة وجنودهم ، وكيف تتم المحاسبة والتوبيخ مع إتاحة فرص الدفاع والسببية لتوضيح موقف المحاسب وتقديه الدليل لتبرير فعله ...

وجاء القرآن بالطير معجزة في الخلق بإذن الله لسيدنا عيسى ، كما أجرى به

---

(١) قال رسول الله ﷺ ..

« لا تقتلوا الهدهد فإنه كان دليل سليمان عليه السلام على قرب الماء وبعده .. وأحبَّ أن يعبد الله ولا يشرك به شيئاً في الأرض » .

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ نهى عن قتل أربعة من الدواب النملة والنحل والهدهد والصرد » .

تجربة لسيدنا إبراهيم في الخلق والبعث ..

﴿ ورسولاً إلى بني إسرائيل أني قد جئتكم بآية من ربكم أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله وأبرئ الأكمه والأبرص وأحي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم إن في ذلك لآية لكم إن كنتم مؤمنين ﴾ (آل عمران : ٤٩) .

﴿ إذ قال الله يا عيسى بن مريم اذكر نعمتي عليك وعلى والدتك إذ أيدتك بروح القُدُس تكلم الناس في المهد وكهلاً وإذ علمتك الكتاب والحكمة والتوراة والإنجيل وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني وتبرئ الأكمه والأبرص بإذني وإذ تخرج الموتى بإذني وإذ كففت بني إسرائيل عنك إذ جئتهم بالبينات فقال الذين كفروا منهم إن هذا إلا سحر مبين ﴾

(المائدة :١١٠)

﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فَصُرْهُنَّ إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعُهُنَّ يأتينك سعياً واعلم أن الله عزيز حكيم ﴾ (البقرة : ٢٦٠) .

والطير جاء في القرآن موضوعاً لتفسير الأحلام عند يوسف وفتية السجن ..

﴿ ودخل معه السجن فتيان قال أحدهما إني أراني أعصر خمراً وقال الآخر إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه نبئنا بتأويله إنا نراك من المحسنين ﴾ (يوسف : ٣٦) .

﴿ يا صاحبي السجن أما أحدكما فيسقي ربه خمراً وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه قضي الأمر الذي فيه تستفتيان ﴾ (يوسف : ٤١) .

وجاء ذكر لحوم الطير في معرض حديث القرآن عن نعيم الجنة ﴿ ولحم طيرٍ مما يشتهون ﴾ (الواقعة : ٢١) .

كما جاء ذكر الغراب في قصة ابني آدم والتي نجد فيها صورة لكيفية الظلم بين بني البشر .. وكيف كان الحيوان معلماً وأستاذاً لقابيل عندما وقف محتاراً أمام جثة أخيه هابيل ، ونشهد بذلك أيضاً كيف وقف الغراب معلماً وفيصلاً في الصراع بين البشر ، كما وقف الهدهد من بعد شاهداً على الصراع بين الحق والباطل ... ﴿ فبعث الله غراباً يبحث في الأرض ليُرِيَهُ كيف يواري سوءة أخيه قال ياويلتا أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب[1] فأواري سوءة أخي فأصبح من النادمين ﴾ (المائدة : ٣١)

وتحدث القرآن عن الطير : عند تعرضه للَجاجة بني إسرائيل وعنادهم ، وتبديلهم الذي هو أدنى بالذي هو خير ...

﴿ وظللنا عليكم الغمام وأنزلنا عليكم المن[2] والسلوى[3] كلوا من طيبات ما رزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (البقرة : ٥٧) .

﴿ وقطعناهم اثنتي عشرة أسباطاً أمماً وأوحينا إلى موسى إذ استسقاه قومه أن اضرب بعصاك الحجر فانبجست منه اثنتا عشرة عيناً قد علم كل أناس مشربهم وظللنا عليهم الغمام وأنزلنا عليهم المن والسلوى .. كلوا من طيبات مارزقناكم وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (الأعراف : ١٦٠) .

﴿ يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم وواعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى .. كلوا من طيبات ما رزقناكم ولا تطغوا فيه فيحلَّ

---

(١) جاء عن الفواسق الخمسة .. روى البخاري في صحيحه عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : ـ « خمسة من الدواب ليس على قاتلهن جناح : الغراب ، والحدأة ، والفأرة ، والحية ، والكلب العقور » .

(٢) المن كل طل ينزل من السماء على شجر أو حجر ويجف وينعقد عسلاً ويجف جفاف الصمغ (القاموس المحيط للفيروز أبادي ٢٧٢ : ٤) ، ويشاهد اليوم في جبال العراق وإيران وتركيا .

(٣) السلوى هو طائر السمان ، وقيل السلوى هو اللحم قال الغزالي (وقد سمي سلوى لأنه يسلي عن سائر الأدام) .

عليكم غضبي ومن يَحْلِلْ عليه غضبي فقد هوى ﴾ (طه : ٨٠ ، ٨١) .

﴿ وإذ قلتم يا موسى لن نصبر على طعام واحد فادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض من بقلها وقثائها وفومها وعدسها وبصلها ، قال أتستبدلون الذي هو أدنى بالذي هو خير اهبطوا مصراً فإن لكم ما سألتم وضربت عليهم الذلة والمسكنة وباؤوا بغضب من الله ذلك بأنهم كانوا يكفرون بآيات الله ويقتلون النبيين بغير الحق ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون ﴾ (البقرة : ٦١) .

كما ورد الطير في مواضع أخرى من القرآن ليدل على معنى التطير (التشاؤم) .

ففي قصة ثمود وصالح ...

﴿ قالوا اطيرنا بك وبمن معك قال طائركم عند الله بل أنتم قوم تفتنون ﴾ (النمل : ٤٧)

وفي قصة أصحاب القرية والمرسلين ...

﴿ قالوا إنا تطيرنا بكم لئن لم تنتهوا لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم . قالوا طائركم معكم أئن ذكرتم بل أنتم قوم مسرفون ﴾ (يس : ١٨ ـ ١٩) .

وفي قصة سيدنا موسى وقومه ...

﴿ فإذا جاءتهم الحسنة قالوا لنا هذه وإن تصبهم سيئة يطيروا بموسى ومن معه ألا إنما طائرهم عند الله ولكن أكثرهم لا يعلمون ﴾ (الأعراف : ١٣١) .

يقول لسان العرب عن الطيرة والتطير ...[1]

« وقوله عز وجل في قصة ثمود وتشاؤمهم بنبيهم المبعوث إليهم صالحاً عليه

---

(١) لسان العرب ٥١٢ : ٤ .

السلام : ﴿ قالوا اطيرنا بك وبمن معك ، قال طائركم عند الله ﴾ معناه ما أصابكم من خير وشر فمن عند الله . وقيل معنى قولهم اطيرنا : تشاءمنا ، وهو في الأصل تطيرنا ، فأجابهم الله تعالى : ـ طائركم معكم ، أي شؤمكم معكم ، وهو كفرهم ، وقيل للشؤم طائر وطير وطيرة ، لأن العرب كان من شأنها عيافة الطير وزجرها ، والتطير : ببارحها ونعيق غرابها وأخذها ذات اليسار إذا أثاروها ، فسموا الشؤم طيراً وطائراً وطيرة لتشاؤمهم منها » ...

☆ ☆ ☆

الباب الثالث

الحشرات والعنكبوتيات

﴿ والله خلق كل دابة من ماء فمنهم من يمشي على بطنه
ومنهم من يمشي على رجلين ومنهم من يمشي على أربع
يخلق الله مايشاء إن الله على كل شيء قدير ﴾

(النور : ٤٥)

الحشرات هي أكبر المجموعات الحيوانية عدداً ... عرف منها حوالي سبعمائة وخمسين ألف نوع ، وقد تعرض القرآن لذكر بعض منها في مواضع متعددة ومختلفة ...

في سورة الأعراف كانت بعضاً من آيات الابتلاء لبني إسرائيل في الحياة الدنيا ...

﴿ وقالوا مهما تأتنا به من آية لتسحرنا بها فما نحن لك بمؤمنين . فأرسلنا عليهم الطوفان ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والدم آيات مفصلات فاستكبروا وكانوا قوماً مجرمين ﴾ (الأعراف : ١٣٢ ـ ١٣٣) .

وكانت في سورة النحل إحدى نعم الله على الإنسان ، وإحدى آيات الآفاق للتفكر والعظة والاعتبار ...

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾

(النحل : ٦٨ ـ ٦٩)

وفي سورة الحج ورد الذباب مثالاً يدلل على الضعف البشري ، وضعف كل إله يعبد من دون الله ...

﴿ ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (الحج : ٧٣) .

وفي سورة النمل كانت النملة شاهداً على قدرة الله ، حيث يعجز الإنسان بجانب مقدرات مخلوق ضعيف يحكم أسلوب معيشته ، وينظم مجتمعه ، ويحسن القيادة والتوجيه له ...

﴿ حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايَحْطِمَنَّكُمْ سليمان وجنوده وهم لايشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ (النمل : ١٨ ـ ١٩) .

وذكر الله البعوضة مثلاً ليدرك منه الإنسان المخاطب ... أن الأمثال في القرآن يقصد منها العبرة ، وماذكر الممثل به إلا للتوضيح وتركيز المعنى في الأذهان ...

﴿ إن الله لايستحيي أن يضرب مثلاً ما بعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ومايضل به إلا الفاسقين ﴾ (البقرة : ٢٦) .

وذكر الجراد والفراش في بيان مايسبق القيامة من اضطراب وهول وصخب ورعب ...

﴿ خشعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴾ (القمر : ٧) .

﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ (القارعة : ٤) .

كما سميت سورتان في القرآن بأسماء حشرات ... هي النحل ، والنمل ...

أما العنكبوت فقد جيء به مثلاً للناس ، والمراد من ذلك تبيين العلاقة في الوهن والضعف ووهن بيت العنكبوت ، في كل ولي من دون الله ...

﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم مايدعون من دونه من شيء وهو العزيز الحكيم ... وتلك الأمثال نضربها للناس ومايعقلها إلا العالمون ﴾ (العنكبوت : ٤١ ـ ٤٣) .

وقد سميت سورة باسمه ... سورة العنكبوت ...

☆ ☆ ☆

الجراد ... والفراش

كان الجراد يكثر في الجـزيرة العربيـة ... وقـد حفلت كتب العرب بكثير الحـديث حـولـه ...، وقـد دخـل عنـدهم مـائـدة الطعـام كغيره من الأطعمـة ...، ولاغرابة في ذلك ، فقـد ذكر العهـد القـديم أن يوحنـا المعمـدان كان يـأكل الجراد والعسـل ...، كما روي أن الرسـول ﷺ كان يـأكلـه ، وكانت أزواجـه ﷺ يتهادينه ...، وعن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : قال رسول الله ﷺ : « أحلت لنا ميتتان ودمان ... الميتتان الحوت والجراد ، والدمـان الكبـد والطِّحـال »[1]... وقال ابن أبي أوفى « غزونا مع رسول الله ﷺ سبع غزوات نأكل الجراد »[2]...

عرف العرب أسراب الجراد وهي تجـوب الصحراء العربيـة محتشـدة ، تقـول العرب في أمثـالهـا « جـاء القـوم كالجراد المنتشر » ... والجراد حشرة فيهـا خصلـة الانقياد والانصياع لأوامر رئيسها ، فترى أسراب الجراد تتبع ظاعنه ، وتنزل تلك الجموع الهادرة تبعاً لنزوله ، والجراد يتحمل الطيران لمسافات بعيدة عبر الصحـاري والبحار ، وهو من الحشرات ذات غريزة الميل للتجمع ، والتي تتجمع أعداد كبيرة منها ، فتصبح أكثر نشاطاً ، وتتحرك في أسراب هائلة مهـاجرة من مكان لآخر ، والجراد يهاجر من موطنه الصحراوي لمناطق جديدة ، ولم يتوصل العلم بعد لدوافع وأهداف هذه الهجرة ، ولكن لوحظ أنها تحدث كل بضعة عشر عاماً ...

ذكر هـ . مونروفوكس أن سرباً من الجراد من شرق أفريقيـا استغرق مروره

---

(١) رواه أحمد ، والدارقطني ، وابن ماجه ...

(٢) رواه الجماعة إلا ابن ماجه ...

ثماني ساعات دون انقطاع ، وقد قدر أن ذلك السرب يتكون من عشرة آلاف مليون جرادة[1] ...

وجاء في الموسوعة البريطانية عن الهجرة في الحشرات ... « تلاحظ الهجرة في الحشرات أحسنها في الجراد والفراش : منها هجرة من أجل التكاثر ، أو من مناطق التكاثر لمناطق الطعام ، وغيرها يهاجر للبيات الشتوي ... وقد لوحظ أن هنالك أسراباً موسمية تخترق حدود أفريقيا وجنوب شرق آسيا ، وجنوب أوربا يبلغ تعدادها عشرة مليار وتغطي مايبلغ مساحته « ٤٠٠ » أربعمائة ميل مربع ... »[2].

وروى الذكر الحكيم أن أسراب الجراد كانت إحدى آيات العذاب والابتلاء لبني إسرائيل . (الأعراف : ١٣٣) ...

والجرادة وهي في البيئة الصحراوية تقابل عوامل بيئية قاسية ، ولابد لها من أن تحمي بيضها ... واعتادت دفنه تحت الأرض في نفق مستطيل تطلي جداره بمادة لزجة حتى تتأكد من تماسك جوانبه قبل رمي بيضها فيه ، وتملأ فجوات يتركها البيض بينه بمادة رغوية ... ثم تقفل ذلك النفق بعد أن يمتلئ بإفراز يجف ويسد فوهته ، وتسوي من فوقه الرمال ، ثم تواريه بالتراب ... وله من القبر شبه وملامح ...

وبما أن الجراد يتطور تطوراً تدريجياً ، تخرج صغاره من ذلك النفق ، وهي على هيئة أمهاتها ، غير أنها صغيرة الحجم وفاقدة لأعضائها التناسلية .. وتنمو أجنحتها تدريجياً مع تطورها ، تعرف في هذا الطور بالحوريات والتي تمارس

---

(١) The personality of animal - by H. Monro. fox , p. 128 A belcan book.

(٢) (E. B) Migration to breeding sites (insects) 12: 177 h.

عملية الانسلاخ الجلدي وهي تنمو ، وقد لوحظ أن هذه الحوريات (صغار الجراد) عديمة الأجنحة ساكنة وهي منفردة ، ولكن سرعان مايتجدد نشاطها عندما تحتشد وتتجمع ، فتبدأ الرحيل والهجرة في أسراب مذهلة ...

وقد شاهد العربي ذلك المنظر مراراً وتكراراً في الصحراء العربية ... وهو منظر مألوف ، ملاحظ ومشهود ، قريب لذهنه ونفسه ... إذاً فمن السهل لأذهان عاشت تلك المشاهد الطبيعية الحية أن تدرك معنى مشهد من مشاهد البعث إذا ماتم تصويره بالجراد وجموعه ...

﴿ فتولَّ عنهم يوم يدع الداعي إلى شيء نُكُر . خُشَّعاً أبصارهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر . مهطعين إلى الداع يقول الكافرون هذا يوم عسر . ﴾ (القمر : ٦ ، ٨) .

فالجراد يهاجر صغيره (حوريات) وكبيره ، وهو يتبع أميره تحركاً ونزولاً ... وصوت الأجنحة وهي تجد في السير ... ومنظر القوم وقد بعثوا جميعاً ... وأسراب الحوريات يخرجن من الأرض ... يضع في إدراك المخاطب وحسه لوحة مكتملة مليئة بالنوع والحركة والصخب ، فهم يبعثون ويخرجون من الأجداث فزعين حيارى ... ويتبعون الداعي ويلبون نداءه ... فتلتقي كثرة العدد والخروج من الأرض مع الاستجابة والانصياع لأمر الآمر في الصورتين : أسراب الجراد ، والناس وهم يبعثون ...

ولعل هذا المشهد كثير الشبه بآخر في سورة القارعة ...

﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ﴾ (القارعة : ٤) ...

فعند الفراش أيضاً صورة للهجرة حاكية ، فقد وجد أن الفراشة المنقوشة (painted lady) وهي من أجمل الفراشات في إنجلترا ، تهاجر لتمضي الشتاء في شمال أفريقيا حيث تتناسل هنالك ... فإذا ماجاء الربيع عبرت كل تلك المياه

لتعود من حيث أتت[1]... وهنالك في إنجلترا تضع البيض وتتطور ويموت من عددها الكثير ، وفي الشتاء تعود مهاجرة لشمال أفريقيا من جديد ...

والفراش أنواع : فمنه نهاري النشاط ... ترى جموعه وهي ترفرف بأجنحتها تداعب أطراف الأزهار ، وآخر ليلي النشاط يتجمع على مصادر الضوء والأنوار ، ولابد أن يكون العربي وهو يجلس حول ناره في ليل الصحراء ، قد شاهد الكثير من الفراشات وهي تتزاحم وتتساقط بجانب ناره وعليها[2]، فالفراش مشهد طبيعي أيضاً معهود لدى المخاطب معاصر التنزيل ، ولدى غيره من الناس ، إذاً فمن أدق التصوير أن يكون مثالاً لتصوير يوم الحشر وهوله ، ومنظر الناس وهم يسيرون في مواكب حائرة ... كل يحاول أن يجد لنفسه مخرجاً فيتداخلون كأمواج بحر هائج ، فكأنهم فراش حائر بلاجهة محددة يقصد ، ولاهدف معين يعرف ...

﴿ ولقد صرَّفنا للناس في هذا القرآن من كل مثل فأبى أكثر الناس إلا كفوراً ﴾ (الإسراء : ٤٤) .

☆ ☆ ☆

---

(١) شخصية الحيوان ـ هـ . مونروفوكس ص ١٢٩ . ترجمة د . فتحي الغزاوي ...

(٢) « إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الجنادب والفراش يقعن فيه ، فأنا آخذ بحجزكم وأنتم تقحمون فيه » . صحيح الإمام مسلم

البعوض والذباب

كان اليهود والمشركون يسخرون من حقيقة أن القرآن وحي من عند الله ...، وقد ضرب الله سبحانه وتعالى أمثالاً كثيرة تعرضت لهذه الظاهرة ، فيها تصغير لهم وسخرية منهم ...، فخيل إليهم أن هنالك فرصة وجدوها من تلك الأمثال تبرر سخريتهم ...، فقالوا بأن هذه الأمثال تتحدث عن كائنات صغيرة محتقرة في نظرهم ومعرفتهم ... فتساءلوا كيف بأمثلة تتحدث عن بعوض وذباب أن تصدر عن إله خالقٍ ؟!...

وجاء القرآن ليوضح ...

﴿ إن الله لايستحيي أن يضرب مثلاً مابعوضة فما فوقها فأما الذين آمنوا فيعلمون أنه الحق من ربهم وأما الذين كفروا فيقولون ماذا أراد الله بهذا مثلاً يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً ومايضل به إلا الفاسقين ﴾ (البقرة : ٢٦) .

فمنها يرى المؤمن أن الحكمة في ضرب الأمثال هي لتزيد المؤمنين إيماناً ، ولتحذر المشركين أن عاقبة مايقولون ويفعلون وخيمة ، ولتبلغهم أن هذه الأمثال أدوات تبصير وتنوير ، وأنه ليس ثمة عيب يدعو للاستحياء من ضرب المثل بالبعوض ...، فهي تتكون من خلية حية مخلوقة لتحمل معنى الحياة كغيرها مما يصغرها أو يكبرها حجماً ...

وحين نجد أن الذين كفروا تمتلئ قلوبهم استنكاراً وسخرية ...

نجد في الوجهة الأخرى أن إيماناً في قلوب الذين آمنوا قد ملأها نورا ،

ووصل قلوبهم وربطها بحكمة الخالق الإلهية .. وأن حساسية في أرواحهم وتفتحاً في مداركهم تجعلهم يؤمنون بكل مايصدر من عند الله بلا جدال أو ملاججة .. وأن ثقتهم في الله تجلي إيمانهم وهم في ذلك يتفكرون ...

وبهذه الأمثال التي يستنكرون ، نجد أن القرآن قد تحدى العالم بعلمه على مر الأزمان وتبدل وتغير المكان ، وفيها لاتتغير الحقيقة العلمية تحداهم وطلب إليهم أن يخلق من يدعون من دون الله ذباباً .. والذباب صغير وحقير .. ولكنه كائن حي ...

﴿ ياأيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ، إن الذين تدعون من دون اللهلن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له وإن يسلبهم الذباب شيئاً لايستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ﴾ (الحج : ٧٣) .

فهذا مثال أتى به القرآن ... لبيان الوهن في الساخرين ومن يعبدون ، ولكنهم نظروا للذباب وبنوا جدالهم عليه ...

« اختار الأسلوب القرآني الذباب وهو صغير الحجم ، حقير محتقر عند الناس ..، وعندما يعجز من يدعي الخلق عن خلق شيء حقير يحس بضعف أكثر من العجز عن خلق شيء عظيم ..، ولكن المعجزة واحدة ، فهي الخلية الحية ، والروح سر الحياة ..، وهذا الضعيف يسلب أيضاً ماعجزوا عن خلقه هم ، يسلبهم الحياة ..، وهو ينقل ميكروبات عدة من المصاب إلى حيث تبدأ إصابة جديدة ..

وهذه حقيقة أخرى يستخدمها التعبير القرآني المعجز ، ولوقال ... وإن تسلبهم السباع شيئاً لن يستنقذوه منها ... لأوحى ذلك بالقوة بدل الضعف ..، والسباع لاتسلب شيئاً أعظم مما يسلبه الذباب[1] .. »

---

(١) في ظلال القرآن ..

جردهم الأسلوب القرآني من المقدرة على الخلق ، وإن تجمعت قواهم وقوى مايدعون ..، وهذا حقير ضئيل يهزمهم إذ يسلبهم الصحة والعافية فيزيد لضعفهم أنهم لايستطيعون رد ماسلب وإن لهثوا وراءه دهراً وسنيناً ...

جاء في الصحيحين عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال : ـ « إذا وقع الذباب في إناء أحدكم فامقلوه فإن في أحد جناحيه داء وفي الآخر شفاء[1] » وقال أيضاً .. « أحد جناحي الذباب سم والآخر شفاء فإذا وقع في الطعام فامقلوه فإنه يقدم السم ويؤخر الشفاء[2] .. » ...

أورد الإمام ابن القيم في زاد المعاد ...

« واعلم أن في الذباب قوة سمية ، يدل عليها الورم والحكة العارضة في لسعه ، وهي بمنزلة السلاح ، فإذا سقط فيما يؤذيه اتقاه بسلاحه ، فأمر النبي ﷺ بأن تقابل تلك السُميَّة بما أودعه الله في جناحه الآخر من الشفاء ، فيغمس كله في الماء والطعام ، فتقابل المادة السمية بالمادة النافعة ، فيزول ضررها ، وهذا طب لايهتدي إليه كبار الأطباء وأئمتهم ، بل هو خارج من مشكاة النبوة ، ومع هذا فالطبيب العالم العارف الموفق ، يخضع لهذا العلاج ، ويقر لمن جاء به بأنه أكمل الخلق على الإطلاق ، وأنه مؤيد بوحي إلهي خارج عن القوى البشرية .. »

والحديث يقرر حقيقة أن الذباب ناقل للميكروب ، وذلك مالا خلاف فيه .. ولكن هنالك جدل في كونه ناقلاً للميكروب في أحد جناحيه وحاملاً للوقاية من ذلك في جناحه الأخرى ..

ثبت بالتجربة أن الذباب يحمل مضادات حيوية استطاع العالم موفيتش في

---

(١) أورده كل من البخاري وأبو داود والنسائي وابن ماجه وابن خزيمة وابن حبان ...

(٢) عن أبي سعيد الخدري من سنن ابن ماجه ..

عام ١٩٤٧ أن يعزل مضاداً حيوياً قوي المفعول على الجراثيم السالبة لصبغة جرام ، وكذلك على جراثيم الحميات قصيرة الحضانة فرز ذلك من مزرعة للفطريات زرع فيها الفطريات الموجودة على جسم ذبابة ، ووجد أن جراماً واحداً من تلك المادة يحفظ أكثر من ألف لتر من اللبن الملوث بذات الجراثيم ... كما كشفت مضادات أخرى في سويسرا عام ١٩٤٩ (كومس وفارمر) ..

وبالرغم من أن الحديث مرتبة ثانية للذكر الحكيم . فإنه ليس هنالك حرج من أن يفكر المؤمن ، ويبحث عن مادة تجلي فهمه ، وتثبت يقينه ... جاء في صحيح مسلم عن النبي ﷺ ..« إذا أمرتكم بشيء من دينكم فخذوا به ، وإذا أمرتكم بشيء من رأيي فإنما أنا بشر .. » وفي أصول السَّرخسي .. « إذا أتيتكم بشيء من أمر دينكم فاعملوا به ، وإذا أتيتكم بشيء من أمور دنياكم فأنتم أعلم بأمور دنياكم .. » ... هكذا كان قوله عندما قال لبعض المسلمين : بأن لا يلقحوا نخلهم فلم يثمر ...

وبذا ينبئ الرسول ﷺ بأن هنالك علماً دنيوياً سخر لخدمة الإنسان في دنياه ودينه ، وهنالك أمر دين وعقيدة ،.. فالذباب ناقل للميكروب .. وهو مخلوق بقدرة الله ، وكونه يحمل جيناً أو انتجيناً لا يؤثر أبداً في كونه مثلاً استخدمه القرآن في تبيان عجز المشركين ومعبوداتهم وبعدهم عن تكوين مادة الخلق ، ولو اجتمعوا له ... ضعف الطالب والمطلوب ...

☆ ☆ ☆

النحل

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون . ثم كلي من كل الثمرات فاسلُكي سُبُل ربك ذُلُلاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ (النحل : ٦٨ ، ٦٩) .

النحل حشرة اجتماعية يعيش في جماعات وثيقة الصلة ، دقيقة التنظيم .. عرف منها حتى الآن ما يقارب ١٢,٠٠٠ نوعاً ، وهي مثال في الدقة والتنظيم . تقول أمثال العرب .. « أهدى من نحلة » وقال حكيم يوناني لتلاميذه ....

« كونوا كالنحل في الخلايا .. قالوا : وكيف النحل في الخلايا ؟ .. قال : ـ إنها لا تترك باطلاً إلا نفته وأبعدته وأقصته عن الخلية ، لأنه يضيق المكان ، ويفني العسل ، ويعلم النشيط الكسل ..! » ..

وقد تدبر الإنسان وفكر في حياة هذه الحشرات الاجتماعية وتعلم منها معنى التعاون ، والتكاتف ، والمثابرة .. وأعجب بمالها من دأب على العمل ، وحسن تدبير وتصريف للأمور ...

قال عنها أحد الفضلاء ...

« عرفت الله بالنحلة تلسع بأحد طرفيها وتعسل بالآخر ، واللسع مقلوب العسل » .. ويعني بذلك التكوين والبناء الحرفي لكلمتي اللسع والعسل ..

وأورد القرطبي في تفسير آية النحل عن ابن العربي قوله ...

« ومن عجيب ما خلق النحل أن ألهمها لاتخاذ بيوتها مسدسة .. إذ الأشكال من المثلث إلى المعشر إذا جمع كل واحد منها إلى أمثاله لم يتصل ، وحصل بينها فرج إلا الشكل المسدس ، فإنه إذا جمع إلى أمثاله اتصل وصار كأنه قطعة واحدة » ...

ويقول الدميري عنها ...[1]

« فتأمل كمال طاعتها وحسن امتثالها لأمر ربها كيف اتخذت بيوتاً في هذه الأمكنة الثلاثة ، الجبال ، والشجر ، وبيوت الناس حيث يعرشون (أي حيث يبنون العروش) .. فلا ترى للنحل بيتاً في غير هذه الأمكنة الثلاثة البتة[2] .. ، وتأمل كيف كانت بيوتها في الجبال وهي المتقدمة في الآية ، ثم الأشجار وهي دون ذلك ، ثم فيما يعرش الناس ، وهي أقل بيوتها .. ، فانظر كيف أداها حسن الامتثال إلى أن اتخذت البيوت قبل المرعى ، فهي تتخذها أولاً ، فإذا استقر إليها بيت خرجت منه فرعت وأكلت من الثمرات ، ثم أوت إلى بيوتها ، لأن ربها سبحانه وتعالى أمرها باتخاذ البيوت أولاً ثم الأكل بعد ذلك .. » ..

يبلغ قرص النحل درجة من الكمال في الاقتصاد والكفاءة باتباعه رسماً هندسياً دقيقاً أجمع الرياضيون على أنه لا يمكن أن يبنى بناءً أقوى وأوفر اتساعاً لفقس البيض ، وخزن العسل ـ بكمية مماثلة من الشمع ـ من قرص العسل الذي يبنيه نحل العسل ... وقد وصف أنطوان فرشولت[3] (ANTOINE FERCHAULT) قرص النحل بأنه مشكلة حسابية أسماها مشكلة النحل ...

« ثمة عين في قطاع عرضي سداسي الأضلاع منتظم ، محاطة بثلاثة معينات

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ٢٤١ / ٢ .

(٢) يحدث هذا في حياة النحل الطبيعية من دون تدخل علم الإنسان ومناحله ...

(٣) عالم حشرات فرنسي .

متساوية في الحجم والميل .. ، أحسب أصغر زاوية للمعينات ، عندما تكون مساحة السطح كله للمعين أصغر ما يمكن ... ! » .

وقد حل ثلاثة من علماء الرياضيات البارزين[1] مسألة النحل هذه وتوصل ثلاثتهم إلى نفس النتيجة (٣٢ ٧٠°) ، وهي الزاويةالحقيقية التي يبني بها عسل النحل عيونه في أي زمان ومكان ، وكثيراً مانجد ونلمس عملية الهدم والترميم فيما يبنيه الإنسان من أجل الوصول للأمثل ... ، وغير ذلك تماماً ما نلمسه في عالم النحل ، إذ تتبع الشغالة في بناء قرص النحل ، والذي يتكون من مجموعة من العيون ، طريقة بناء مميزة ومحيرة ... ، فهي تبدأ البناء من أعلى حيث تلصق الشحنة الأولى من الشمع في سقف الخلية فتضمن بذلك عمودية البناء .. ويحدث أن يبدأ النحل بناء الأقراص في أكثر من مكان في سقف الخلية .. ثم تتقارب الأقراص المنفصلة حتى تلتصق وتلتحم فيكون حجم العيون على طول خط الالتحام واحداً ومماثلاً للبقية ... أي سداسي الأضلاع[2] ... ، وقد لوحظ أن شكل القرص السداسي لا يترك بين أقراص النحل فراغات غير مايعرف بالمسافة النحلية[3] .. ، وقد وجد العالم الإنجليزي « لانجستروث » في عام ١٨٥١ م أن كلاً من المسافات النحلية هذه تبلغ $\frac{5}{16}$ (خمسة من ستة عشر جزءاً من البوصة) ، وثبت أن النحل يبني فيها أقراصاً سداسية إذا ما تجاوزت ذلك المقدار من البوصة ، أما إذا نقصت عن ذلك فإنه يملؤها بمادة البروبولس الصمغية ، كما وجد أن نحل العسل (ملفيكا) يبني بيوته دائماً بمقياس واحد ، بحيث يكون قطر البيت $\frac{1}{5}$ (واحد من خمسة أجزاء من البوصة) ...

---

(١) ألماني ، وسويسري ، وانجليزي ...

(٢) عين القرص محاطة بستة أوجه على شكل شبه منحرف وتتكون القاعدة من ثلاثة أشكال معينة متساوية .

(٣) هي ممرات النحل بين الأقراص المختلفة ، وبينها وجدار الخلية ...

فأي عبرة في هذه الروعة في التقدير ، وحساب الأبعاد ، والمهارة والإتقان في البناء ، ولا بد من قصد وتدبير من وراء هذا الإحكام في الصنع ... ، فانظر وهو يصنع أغطية أقراص اليرقات الشغالة والذكور ، فيخلط الشمع بحبوب اللقاح فهذه اليرقات تحتاج لهواء تتنفسه ينفذ من خلال الغطاء .. ، ولكن عند صناعة أغطية عيون العسل تستخدم الشمع فقط ، حتى لا تتسرب الرطوبة للعسل في داخل القرص .

﴿ إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (الرعد : ٣)

يقول موريس ماترلينك ..[١]

« لو أن أحداً من عالم آخر هبط إلى الأرض وسأل عن أكمل ما أبدعه منطق الحياة لما وسعنا إلا أن نقدم له قرص الشمع المتواضع الذي يبنيه النحل .. » ..

والنحل في دقة البناء وهندسته يفوق الإنسان ، والذي يتكون جهازه العصبي من ١٣ ـ ١٥ مليار خلية عصبية بالمقارنة إلى ٩٠٠ (تسعمائة) خلية عصبية يتكون منها جهاز النحل العصبي ومقابل ٢٥٠ (مئتان وخمسون) خلية عصبية للنمل . إذاً فتصرف النحل هذا لم يكن ناتجاً عن تفتق وتفوق ذهني .. وما هو بتصرف ذاتي وليس للصدفة فيه من نصيب ، ولكنه وحي من عند الله ..

أجرى أحد بحاثة[٢] حياة النحل تجربة لمعرفة ذكاء النحل تتلخص في ...

« لو وضعت أعداداً متماثلة من الذباب والنحل في قارورة زجاجية أفقية الوضع .. ، وحجبت عنها الضوء بوضع قاع الزجاجة نحو النافذة فإنك تشاهد أن

---

(١) عالم بلجيكي وصاحب كتاب (حياة النحل) ...

(٢) هو السيرجون لويك ...

النحل يقاوم في بادئ الأمر ، ثم يموت عناءً ، وجوعاً ، وهو يبحث عن فوهة القارورة .. ، أما الذباب فإنه يفر هارباً من الفوهة في خلال دقيقتين .. » واستنتج من هذه التجربة .. أن للنحل ذكاء محدوداً ...

تتكون خلية النحل من ملكة واحدة تعتبر من أعظم الأمهات المنجبات ، فهي تضع يومياً ولفترة تمتد من ٣ ـ ٤ سنوات أعداداً من البيض يتراوح عددها اليومي بين ٣ ـ ٤ ألف بيضة .. ، وبالخلية أعداد من الذكور محدودة ، وهي كسولة خاملة لاتنشط إلا عند عملية التلقيح وموسم طيرانها .. ، أما الأكثر عدداً ونشاطاً ودقة وإبداعاً فهي الشغيلة (النحل الشغالة) فهي تكون العامل الذي لايفتر ، والحارس الذي لايمل ، والصانع الماهر ، والخادم الأمين ...

ولعله من عظيم إبداع الخالق وتقديره أن جعل هذه المجموعات النحلية : الملكة ، الشغيلة ، والذكور ... تخرج من أم واحدة ، وهي الملكة ... فالنحل يتكاثر بطريقة التكاثر البكري ،[1] (PARATHENOGENSIS) والتي تعرف أيضاً بظاهرة (ولادة العذارى) ... يوجد هذا النوع من التكاثر اللاجنسي في مجموعات مختلفة من القشريات والحشرات ، مثل الحشرات غشائية الأجنحة (HYMENOPTRA) ، وحشرة المَنْ .. ، فالبيض لاتخصبه نطف منوية ، والنتاج يحمل فقط صفات أمه الوراثية ، فهي قد خرجت من بيضة ملقحة بنطف ذكرية هي نطف جد النتاج لأمه ...

والشغيلة كالملكة أنثى نتجت عن بيضة ملكية ملقحة ، ولكنها لاتضع بيضاً ، وذكر النحل الذي يخصب البيض يخرج من بيضة غير ملقحة .. ، والفارق الوحيد بين الشغيلة الأنثى والملكة الأنثى أن يرقة الملكة قد غذيت بواسطة الهلام

---

(١) نمو البيضة إلى جنين بدون حدوث الاندماج بين البويضة والحيوان المنوي ، وهي الطريقة الوحيدة الممكنة في التكاثر اللاجنسي في الحيوانات التي هي أرقى من البروتوزوا (الحيوانات وحيدة الخلية) .

الملكي ـ الغذاء الملكي ـ وهو غذاء خاص تفرزه غدد النحل العامل لتغذية الملكة ، أم الخلية ...

يقول الكسيس كاريل[1] ...

« فلعل أحد العلماء يستطيع في أحد الأيام أن يكتشف كيف يصنع الرجال العظماء من الأطفال العاديين بالطريقة التي يتحول بها النحل من يرقات عادية إلى ملكة بواسطة طعام خاص يعرف كيف يعده .. » .

﴿ سنريهم آياتنا في الآفاق وفي أنفسهم حتى يتبين لهم أنه الحق أو لم يَكْفِ بربك أنه على كل شيء شهيد .. ﴾ (فصلت : ٥٣) .

وذكر النحل (اليعسوب) لايمتاز بصفة محببة واحدة تبرر تسميته بأمير النحل من دون ذكور الخلية ، والتي يمكن أن يبلغ عددها المائتين (٢٠٠) ذكراً ، فهو شره كسول ، لايملك إبرة للدفاع عن خليته ، ولايجمع رحيقاً أو حبوب لقاح .. ، بل تقدم له الشغالة طعاماً جاهزاً من العسل استعداداً لموسم التلقيح الملكي ، والذي يتم في طبقات الجو ، فتخرج الملكة عند بداية أفراح العرس الملكي ، والذي يتم عادة في معركة طيران سريع ، وعلى ارتفاع عالٍ ، مما يمكن الأكياس الهوائية المحيطة بعضو التذكير من الانتفاخ والضغط عليه ، فيبرز من مخبئه ، ومن كل هذا العدد من الذكور يفوز بشرف النطفة الملكية أقواهم وأقدرهم على الطيران ، فهو أصلحهم لأداء المهمة وحفظ النوع لأجيال قادمة ، ثم يفارق الحياة بعد أداء مهمته مباشرة ، ولم يفز ذكر النحل ، ملقح الملكة ، برؤية بناته أبداً .. ، فهو لاأبناء له ، فذكور النحل تنمو عذرية من بيض غير ملقح ...

أما الذكور ، خاسرة معركة التلقيح ، فمصيرها الإبعاد عن الخلية ...

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ـ ترجمة عادل شفيق ـ ص ٢٣٢ .

والحرمان من الغذاء لتفارق الحياة جوعاً ، هي غير جديرة بالبقاء ، وهي خاسرة رهان العرس الملكي ، ولتفسح المجال لذكور آتية ... فالبقاء بعد مهرجان التزاوج الملكي عند النحل ليس لأقوى الذكور ، كما أنه ليس للضعيف أيضاً ...

ثم تعود الملكة للخلية وقد مُلئت قابلتها المنوية بالنطف الذكرية ـ الحيوانات المنوية ـ ، لتظهر براعة فائقة في التحكم الإرادي في قابلتها المنوية عند وضع البيض الملقح لإنتاج الشغيلة أو ملكة المستقبل ، أو البيض قليل العدد ، غير الملقح لإنتاج الذكور ...

والشغيلة ـ دينو الخلية ـ هي وحدها التي تقوم بتغذية صغار نتاج الفقس ، فهي وحدها التي تملك غدداً لعابية وأُخر للتغذية .. ، ولما كانت مهماتها متعددة ومتنوعة ، فقد منحها سبحانه وتعالى مقدرة لتوزيعها على أطوارها المختلفة .. ، فبعد أن تنتهي مهمة تغذية الصغار تضمر هذه الغدد وتظهر بدلاً عنها الغدد الشمعية في البطن ، وحينئذٍ يكون عمل الشغيلة هو بناء قرص النحل ... ثم تنشف بإكماله الغدد الشمعية ويكتمل نمو الشغيلة لتقضي بقية حياتها باحثة عن الغذاء ، جالبة للرحيق وحبوب اللقاح ...

للنحلة الشغالة معدتان : واحدة لهضم الطعام .. وفي الأخرى تحمل رحيق الأزهار[1]، وفيها تهيئة لمرحلة صناعة العسل بإفراز خمائر خاصة عليه .. ، ولكي تتمكن الشغيلة من جمع حبوب اللقاح ، فقد أهداها الله في الوجه الخارجي لساق الرجل الخلفية تجويفاً يعرف بسلة الطلع ، وخلق لها على الوجه الداخلي لرسغ الرجل الخلفية صفوفاً من الأوبار تعرف بفرشاة الطلع .. ، وبذلك مكنها من جمع حبوب اللقاح في سلة الطلع بعد تنظيفها بفرشاة الطلع وترطيبها بشيء من

---

(١) سائل سكري تصنعه الأزهار .

العسل ، أما رحيق الأزهار فتجمعه عن طريق إدخال خرطومها في بتلات الزهرة فيرتفع فيه الرحيق بواسطة الخاصية الشعرية[1] .. ، ومنها عن طريق اللسان والبلعوم لمعدة العسل ، لتعمل فيه خمائر وأنزيمات خاصة تمهيداً لعملية صنع العسل ...

وخلية النحل ـ دقيقة التنظيم هذه ـ نظيفة ولامكان فيها لخامل أو كسول .. ، ولايسمح أبداً بدخول الغرباء فيها .. ، فعند دخول حشرة غريبة يقوم نحل الحراسة بمهاجمتها وتحنيطها بتغطية وتغليف جسمها بمادة صمغية[2] ، حتى لاتؤذي رائحتها عندما تتحلل من بالخلية .. ، ويستخدم النحل المادة الصمغية نفسها لسد الجحور في الخلية ليقيها من الرطوبة ... وبالخلية نحل خاص لتجديد الهواء يقف عند المدخل والفواصل الداخلية ، ليصنع تياراً هوائياً بارداً بتحريك أجنحته عند ارتفاع درجة الحرارة ، أو عند ارتفاع درجة رطوبة هواء الخلية في الداخل ... ولعملية التبريد هذه أهمية في تبخير ماء[3] الرحيق لصناعة العسل ...

وخلايا النحل تتميز بروائح خاصة تتغير تبعاً لتغير الظروف المحيطة بالخلية ، ويتم إفراز هذه الرائحة من غدة في مؤخرة البطن تعرف بغدة (ناسانوف) ...

« لقد ثبت بالتجربة أن طرد النحل (جماعة النحل الجديدة) المنفصل عن الخلية الأم يتواضع بمرور الأيام على رائحة خاصة مغايرة لرائحة الخلية

---

(١) ينص قانون الجاذبية الشعرية : « ترتفع السوائل في الأنابيب الشعرية الدقيقة إلى مستوى أعلى من مستوى السائل في الأوعية المتصلة بها .. » .

(٢) استخدمها الإنسان قديماً في أدويته ... وثبت أنها تعمل كمضاد حيوي يمنع نمو الجراثيم .

(٣) يحتوي رحيق الأزهار على ٦٠ ٪ ماء ، و٢٠ ٪ عسل .

الأولى .. ، كما أنه ثبت بالتجربة أنه لدى خلط خليتين للنحل بإحدى الوسائل العلمية ، فإن الخليط من النحل يتواضع على رائحة خاصة تجمع بين الطرفين يتعارف عليها الجميع ... »[1].

وللنحل لغته الخاصة والتي يعبر بها عن طريق الرقص المتنوع أو الرائحة .. ، فالرقص المستدير يكون دليلاً على الرحيق وحبوب اللقاح .. ، وقد يكون الرقص متعدداً ، يؤدى بنشاط وحيوية ، فيدل على وفرة الرزق ، أو فاتراً فيدل على قلته .. ، وثمة رائحة لحبوب اللقاح أو الرحيق تكون على جسم النحل فيتعرف غيرها على نوعية الأزهار في الحقل المزار ، والنحل في حقول الأزهار يطلق رائحة يعرف منها أخوتها الشغالة وجود مصدر وفير وغني بالرحيق وحبوب اللقاح ... وهنالك رقصة الذنب والتي تأخذ شكل الرقم ثمانية (8) وهي تعبر عن المسافة واتجاه الرزق .. ، ويتناسب عدد لغات الرقص أمام الخلية تناسباً عكسياً مع المسافة بين الخلية وحقل الأزهار[2].. ، ويتم هذا الرقص عندما تكون مسافة مصدر الرحيق أو حبوب اللقاح أكثر من (١٠٠) مائة ياردة .. ، كما تعرف النحلة اتجاه رزقها بواسطة اتجاه رقصة الذنب وموقع الشمس .. ، وبذا يعبر هذا النوع من رقص النحل عن المسافة المضبوطة بين الخلية وبين الأزهار واتجاهها .. ، وقد عرف أخيراً وجود نغمات صوتية عالية فوق العادة ، فوق صوتية (SUPERSONIC) وهي موجات صوتية عالية التردد إلى درجة يجعل من غير الممكن سماعها بالأذن العادية ... وحدد طولها ، ولكن لم تعرف بعد علاقتها بلغة النحل ، ولامدى أهميتها وأثرها في حياته ...

فحياة النحل وسلوكه دراسة ممتعة وشيقة ، وقد خصصت لها مجلة تصدر

---

(١) (النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع) محمد حسن الحمصي ، ص ١٧ ط / ٣ دار رشيد دمشق .

(٢) أي كل مابعدت المسافة كل ماقل عدد اللغات .

باسمه .. عالم النحل (BEE WORLD) لعرض ومتابعة وإبراز ماتم وماستتم معرفته في عالم النحل وحياته ، كما نال ثلاثة[1] من العلماء عام ١٩٧٣ م جائزة نوبل تقديراً لبحوثهم في سلوك النحل ...

هكذا مجتمع النحل ... مهارة ودقة وإتقان وتوزيع مهام وروعة في الأداء ... وهي تنبئ عن القصد والحكمة والتدبير في مشيئة من خلق وأبدع ...

﴿ وكأيِّن من آية في السموات والأرض ، يمرون عليها وهم عنها معرضون ﴾

(يوسف : ١٠٥)

☆ ☆ ☆

(١) فون فريش ، VON FRISCH . تنبرجن ، TINBERGEN . ولورنز ، LORENZ .

النمل

﴿ حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم لايَحْطِمَنَّكم سليمان وجنوده وهم لايشعرون . فتبسم ضاحكاً من قولها وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي وأن أعمل صالحاً ترضاه وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين ﴾ (النمل : ١٨ ـ ١٩) .

أمة النمل كأمة العناكب والنحل حشرات ، تحكم شأن معيشتها وتنظم حياتها ... تقول العرب عنها في أمثالها « أصنع من الدَّبْر (النحل) » ، و « أحرص من نملة » ... ويكنى النمل بـ (أبو مشغول) . وقد أخذ كل هذا من أسلوب حياة النمل ، فهي دائمة الجد والاجتهاد والعمل وبصبر بلا سأم .

قال القائد المغولي تيمورلنك عن تأثير النمل في حياته ... « علمتني الثبات في مواقف الصعوبات » ... ويقول عنها صاحب حياة الحيوان الكبرى ... « إنه ليس من الحيوان مايحمل ماهو أكبر منه إلا النمل » ...

وحكى الدميري قصة دارت عن نملة سيدنا سليمان بوجود الإمام أبي حنيفة ، ولعلها شبيهة بتفسير الدكتور مصطفى محمود للفعل اتخذت في آية بيت العنكبوت ، قال :

« حكي عن قتادة أنه دخل الكوفة فاجتمع عليه الناس ، فقال : سلوا عما شئتم ، وكان أبو حنيفة حاضراً ، وكان يومئذ غلاماً حدثاً ، فقال : سلوه عن نملة سليمان : أكانت ذكراً أم أنثى ؟ فسألوه ، فأفحم ، فقال أبو حنيفة : كانت أنثى ،

فقيل له : كيف عرفت ذلك ؟ فقال من قوله تعالى : ﴿ قالت ﴾ . ولو كانت ذكراً لقال : قال نملة ، لأن النملة في مثل الحمامة والشاة في وقوعها على الذكر والأنثى »[1]...

وللنمل مساكن هي ممرات ودهاليز وسراديب يتخذها في باطن الأرض حفراً ، وقد نجد له مساكن في تجاويف الأشجار ، وفي هذه البيوت يسكن ويخزن فيها غذاءه صيفاً ، والنمل في التخزين خبير مجيد لفنه ، فهو يخرق الحبوب التي يجمعها حتى لاتنبت عند وجود الرطوبة ، كما يعرض المخزون عند طلوع الشمس لحرارتها ، حتى لاتفسده الرطوبة ... هي مقدرة غريزية على حفظ الغذاء وتخزينه ، فقد لوحظ أنها تقشر العدس والشعير ، لأن هذه البذور لاتنمو إلا محمية بقشرتها ، وهي تقطع الحبوب نصفين حتى لاتنبت ، ولكنها تفعل بحبة الكزبرة غير ذلك ، فهي تقطعها أربعة أرباع ، لأن نصف حبة الكزبرة ينمو أيضاً ...

يقول الجاحظ ...

« ومن علم الذرة أنها تفلق الحبة ، وتأكل موضع القطمير ، لئلا تنبت فتفسد ، وإذا أخذت الحبة من حب الكزبرة فلقتها أنصافاً ، فلم ترض حتى تفلقها أرباعاً ، لأن الكزبرة من جميع البذور تنبت وإن كانت أنصافاً ، وهذا علم غامض إذا عرفه الشيخ الفلاح المجرب ، والفاشكار الرئيس ، والأكار الحاذق ، فقد بلغوا قمة النهاية في الرياسة .. »[2].

وقد أثبتت التجارب العلمية أن للنملة مقدرة عقلية في إدراك مايحدث لها ، وفي طريقة الأداء أيضاً ، كما وجد أنها تصحح من أخطائها ، ومن هنا قيل بوجود

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ٣٧٧ / ٢ .

(٢) الحيوان ١٣ / ٧ .

مقدرة عقلية في مخها الذي يتكون من ٢٥٠ خلية عصبية فقط ، والنملة قابلة للتعلم ، ولكنها لاتربط بين الوسيلة والهدف ، ولابين السبب والأثر .

وأراد الإنسان أن يدرك مقدرة النمل على الاستنباط والاستنتاج ، فلم يجد له في ذلك حظاً ، فقد أجريت تجربة بوضع عمود زجاجي في طريق النمل ، بعد غمسه في عسل النحل ... أدركت النملة وجود العمود بسرعة وأقبلت عليه ، ثم بدأ برفع العمود تدريجياً حتى مرحلة لم يستطع له النمل وصولاً ... ولوحظ في هذه المرحلة أن النملة قد انتصبت على قائمتيها الخلفيتين ، محاولة الوصول إلى العمود ، غير أنها لم تهتد أبداً لفكرة ردم التراب تحت قدميها ، بالرغم من أنها تقذف أكوام التراب وتعليها ، وهي تصنع بيتها وتحفره ...

للنمل مخ عبارة عن عقدة ذات سويقة (pedunculated Body) ، ووجد أنه بإحداث جرح في مخ النمل هذا يحدث فيها نفس النتائج الناتجة عن جرح المخ (cerebrum) في الإنسان ، مما يدل على أنه مركز مقدراتها العقلية ... حينئذ تفقد النملة غريزة المحافظة على النفس (Self - Preservation) ، وغريزة حفظ الذات من الأذى والهلاك ، كما حدث أن لوحظت تصرفات جنونية عند نملة ، فروعيت ، وعند تشريحها ، بعد موتها ، وجد في مخها نبت شبيه بالسرطان ، وكان ذلك هو ماأثر على تصرفاتها المشاهدة ، كما يحدث في الإنسان تماماً .

ومخ النمل عند ذكر النمل ضامر هزيل ، وهو نام بعض الشيء عند الملكة ، ولكنه مكتمل النمو عند الشغيلة ، فالذكر غبي ، وليست الملكة كالشغالة المتفوقة عقلياً ، والتي عليها يعتمد بناء وسعادة مجتمع النمل ، فالذكر لايقود الخلية ، كل مهامه تتمركز في تلقيح الملكة عند طيران العرس ومهرجان التناسل ، أما الملكة فكل عملها في داخل الخلية ، فهي مشغولة أيامها كلها بوضع أكبر قدر من البيض لحفظ النوع واستمرارية الحياة ...

ونملة سليمان ، التي نقلت خبر مصدر الخطر لقومها ، وقد أدركته بفطرتها وغريزتها ، فأمرتهم أن يدخلوا مساكنهم ، والتي تعجب سليمان باسماً من قولها ، نجد فيها حسن الإشراف والتنظيم والطاعة في مجتمع النمل ذي النظام الاجتماعي العجيب ، وتلك أمة لها حياة مثلنا ، وفي الأمم قادة ورعايا ...

أدركت أمة النمل أنه حين يؤدي القائد القوي الأمين مسؤوليته كاملة تجاه الرعية ، تجب طاعته ، وقد أطاع الله في تصريف أمورها ، وحين يتعجب سيدنا سليمان من قولها يكون قد أدرك حقيقة لغتها ، تلك خارقة أزيلت فيها حواجز اللغة ، وأسلوب المخاطبة والتفاهم بين أمة من الأمم ، وبين شخص سيدنا سليمان ، ومن تبسمه ضاحكاً نشتم رائحة ذكية من نفوس الأنبياء ، فالنمل من جنود سليمان ، وسليمان يألف جنده ويحبهم ويعطف عليهم ويعرف طباعهم ، وقد لايدرك ذلك جنوده ، فإذا به باسماً ضاحكاً متعجباً من قولها ، شاكراً لربه ، وإليه منيب ...

﴿ ولقد صرفنا في هذا القرآن للناس من كل مثل وكان الإنسان أكثر شيء جدلاً ﴾ (الكهف : ٥٤) .

☆ ☆ ☆

العنكبوت

ورد لفظ العنكبوت في لغة العرب مذكراً ومؤنثاً ... قال شاعرهم ...

على هطـــالهم فيهم بيــوت كأن العنكبـوت هـو ابتنـاهـا

وقال الحطيئة يصف زبداً يخرج من فم بعير يرغو ...

ترى بين لحييها إذا مـاتزعمت لفافاً كبيت العنكبوت الممدد

ومن أمثالهم ..« أغزل من عنكبوت » .. و « أوهن من بيت العنكبوت » .

قال الله تعالى :

﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أوليـاء كمثل العنكبوت اتخـذت بيتـاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون . إن الله يعلم مايـدعون من دونـه من شيء وهـو العـزيـز الحكيم . وتلـك الأمثـال نضربهـا للنـاس ومـايعقلهـا إلا العالمون ﴾ (العنكبوت : ٤١ ـ ٤٣) .

للعنكبوت نسيـج هنـدسي متكامـل يـأخـذ شكل أقمـاع أو دوائر ذات منظر حسن خلاب .. ملفت للنظر ، وهو يصاحب قطرات النـدى في صحوة الصبـاح وشعاع الشمس ، ويدرك سر هذا المشهد كل من رآه بين أغصان الأشجار وسيقانهـا في الغابات والوديان ، وبالرغم من حسنه فهو واه ضعيف لايقاوم ضربة من أصبع غير مقصـودة ، وكم صحبت خيـوطـه وجـه مـار لم يره ، ففرق بين خيـوطـه وقطعها ...

والعنكبوت ، وهو مكتمل النمو ، تقوم أنثاه بعملية غزل البيت من خيوط رفيعة ، تفرزها من الغدد الخيطية في تجويفها البطني ... يبلغ قطر الرفيع حوالي $\frac{١}{٢٠٠}$ ملم ،... ويتكون كل خيط من حوالي ٦٠٠ خيطاً أرفع ، تخرج عبر ست فتحات صغيرة[١] ، لذا فإن هذا الخيط الرفيع يتكون من عدة خيوط أرفع ،... وللعنكبوت غدد تستطيع صنع ٥ ـ ٦ أنواع مختلفة السمك ، ومتعددة الألوان ، كما لها المقدرة على تغيير نوعية الخيط حسب مايصنع من أجله :... صيد الغذاء والأعداء ،.. لربط البيض (CACOONS OF EGGS) ، أو لتسبح بها في الهواء كالبالون ...

والأنثى فقط هي التي تصنع الخيوط عند أغلب العناكب ، وقد يفعل صغار الذكور ذلك ، ولكنهم يفقدون هذه الميزة عند نضوجهم الجنسي ...

تخرج مادة الخيط اللزجة تحت ضغط عال عبر قنوات لها دقيقة ، فتنقلب وتصير خيوطاً عند ملامسة الهواء ، ويصنع هيكل بيت العنكبوت من خيوط جافة فاقدة للمرونة ، أما شبكة الصيد فتصنع من آخر أوفر لزوجة ومرونة ، ليلتصق به كل مايمسه ، كما تستخدم العنكبوت خيوطها في تدليها وصعودها وتجوالها بين أغصان الأشجار المختلفة ، فهي تربط أول الخيط في السقف وتصنع خيوطاً وهي تتدلى ، ومثل هذه الخيوط تؤدي مهمة شبكة الصيد عندما تصطدم به حشرة فيحدث ذبذبات تدركها العنكبوت بواسطة خيط رفيع موصول ببيتها ، فتدرك فريستها وتفرز عليها خيوطاً ذات لزوجة أكثر ، فتقيدها ، وتصنع منها غذاء حسب حاجتها اليوم أو غداً ...

وقد أدرك الإنسان دقة ذلك النسيج وتكامله الهندسي ، وحاول أن يتدخل

---

(١) SPIDERS : BY RALPH WHITLOCK.
PRIORY PRESS LIMITED .

ليعرف أي خلية عصبية للعناكب عجيبة دقيقة تمكنها من صنع ذلك البيت ، واستخدم عقاقيره المختلفة عن طريق تقديم ذبابة للعنكبوت كطعام بعد حقنها بعقار محدد ، بدأت التجربة بعقار البرفيتين (BERVITIN) وهو عقار يقلل من المقدرة على الصبر ، نسج العنكبوت مساحة جانبية صغيرة من بيته واكتفى بذلك ... ضاق ذرعاً بالغزل ونفد صبره ذلك المعهود ، وعندما استخدم حامض من فصيلة عقار (L.S.D.) كانت النتيجة نسيج دقيق جميل ، فذلك عقار يزيد من درجة الوعي ،.. وأخيراً وباستخدام مادة هايدرات الكلور (CHLORAL HYDRATE) وهي عقار منوم مخدر مشهور ، غزل العنكبوت قليلاً ثم استسلم لثبات عميق ...

ولم يكتف الإنسان بتجاربه على الأرض ، بل أدخل معه العنكبوت في تجارب عصر الفضاء ... أخذت المجموعة الثانية من رواد المعمل الفضائي الأمريكي (SKYLAB) عنكبوتين معهم ، لتحديد مقدرة العنكبوت على صنع نسيجه ، تحت ظروف انعدام الوزن ... وحدث أن قامت (أنيتا وأرابيلا) بما أوكل إليهما من مهمة ، وكأنهما في ظروف أرضية ...

.. يقول الكسيس كاريل في تأملات خاصة بالنحل والعناكب[1] ...

« عندما يريد أخصائيو الجهاز العصبي أن يعطوا أمثلة أخاذة عن النظام المعجز الذي يتحكم في السلوك الحيواني ، فإن الحيوانات التي ربما تذكر أكثر الأمر هي النحل والعناكب والطيور (وخاصة الطيور المهاجرة) » ..

﴿ هذا خلق الله فأروني ماذا خلق الذين من دونه ﴾ (لقمان : ١١) .

وقد عرف الإنسان منذ القدم طبيعة بيت العنكبوت ودقته ، ولكنه لم

---

(١) الإنسان ذلك المجهول ص ٢١٩ .

يعرف عنه ماتوصل إليه علم اليوم ، فالعربي ، وقد نزل القرآن بلسانه ، عرف وهن بيت العنكبوت ، وهو يسير خلف حيواناته راعياً ، فيراه وهو يتهاوى أمام أخف اللمسات وهمس الرياح ، وقد يصطدم به وهو يجمع ثمار أشجاره إن كان زارعاً ،.. وفي ذهنه عالقة صورة بيت العنكبوت إدراكاً بحسِّه ، وعندما جاء خطاب القرآن صائغاً مثالاً مجسماً ضعف الولي من دون الله ، وجد الصورة واضحة في الأذهان دون إدراك المعنى والالتزام بالأمر ... قال : ـ إن مايلجؤون إليه هو ملجأ واه ضعيف ، وجاء بازدواجية في صورة الضعف ... عناكب واهنة ، وملجأ أوهن .. وجهل بهذه الحقيقة ... ليكمل المشهد أمام أعينهم : عناكب ضئيلة ، وملجأ أضأل ، وجهل وغفلة عما يدور ...

يقول الإمام سيد قطب ، وهو يستحضر ذات المعنى[1] ...

« وينسون أن الالتجاء إلى تلك القوى : سواء كانت في أيدي الأفراد أو الجماعات أو الدول ، كالتجاء العنكبوت إلى بيت العنكبوت ... حشرة ضعيفة رخوة واهنة ، لاحماية لها من تكوينها الرخو ، ولاوقاية لها من بيتها الواهن .. إنها العنكبوت ... وماتملك من القوى ليست سوى خيوط العنكبوت ﴿ وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لو كانوا يعلمون ﴾ ...

بيت العنكبوت والتفاسير العصرية ...

يقول الدكتور مصطفى محمود محاولاً إبراز الإعجاز العلمي لآية العنكبوت (٤١)[2] ...

« فأنث الفعل ـ يعني اتخذت ، ليدل على أن التي تصنع بيت العنكبوت

---

(١) في ظلال القرآن ...

(٢) محاولة لفهم عصري للقرآن : ص ٢١١ ، ٢١٢ .

أنثى .. وليس الذكر ، واختار التشبيه بيت العنكبوت لأنه أسوأ البيوت ، فالأنثى تقتل الذكر عقب تلقيحه لها إذا تمكنت منه ، ولذا فإنه يبادر بالهروب ، والبيض حين يفقس يأكل الصغار بعضها بعضاً ، كما يفترس العنكبوت كل حشرة تقع في شباك نسيجه ، وعبر الله عن الوهن ـ وهو الضعف ـ فنسبه إلى البيت لا إلى الخيط ، لأن خيوط العنكبوت أقوى من مثيله في السمك . لو صنعنا مثيله من الصلب ، فهو في متانة ثلاثة خيوط صلب ، وهو كذلك أكثر متانة ومرونة من خيط الحرير ، والعرب بل والعالم لم يكشف هذا إلا بعد نزول القرآن بمئات السنين .. » .

علق عبد المتعال الجبري عن هذه المحاولة[1] ...

« وقد أخذ على هذا التأويل أنه يمسخ الصورة الأدبية ، ويفقدها الأثر النفسي المراد في فساد ألوهية الأوثان ، كما أن اللغة تشترك في التسمية بلفظ النمل والنحل والعنكبوت بين الذكر والأنثى مما يبطل خيال الكاتب » ...

وعن ذات الموضوع تقول بنت الشاطئ[2] ...

« واكتشف المفسِّر العصري لبيولوجيا الحيوان وديناميكا الصلب أن القرآن إذ يقول : ـ ﴿ مثل الذين اتخذوا من دون الله أولياء كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً وإن أوهن البيوت لبيت العنكبوت لوكانوا يعلمون ﴾ فذلك من الإعجاز العلمي ..« لأن العلم كشف مؤخراً أن أنثى العنكبوت هي التي تنسج البيت وليس الذكر ، وهي حقيقة بيولوجية لم تكن معلومة أيام نزول القرآن » ...

ويعرف المبتدئون من طلاب العربية ، أن القرآن جرى هنا على لغة العرب الذين أنثوا لفظ العنكبوت من قديم جاهليتهم الوثنية ، كما أنثوا مفرد النمل

---

(١) شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن ـ ص ٣٨ ط ٢ ١٩٧٩ دار الاعتصام .

(٢) القرآن وقضايا الناس ... ص ٣٥٩ ، ٣٦١ ، ط٢ دار العلم للملايين ـ عائشة عبد الرحمن ...

والنحل والـدود ، فلم يقولوا في الواحـد منهـا إلا نملـة ونحلـة ودودة ، وهو تـأنيث لغوي لاعلاقة له بالتأنيث البيولوجي كما وهم المفسِّر العصري ، والنملة أو الـدودة أو العنكبوت ، قد تكون ذكراً كما قد تكون أنثى !...

وجرى لسانهم كذلـك على تـأنيث الشمس والأرض والسماء والـدار والسوق ، وكل مايعرف من المصطلح اللغوي بالتـأنيث المجـازي دون أن يتصور من لـه أدنى اتصال بالعربية ، أن التأنيث هنا يحمل على التأنيث البيولوجي !...

وقبل أن ينزل القرآن بآيات ...

﴿ وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ... ﴾

﴿ قالت نملة ياأيها النمل ادخلوا مساكنكم ... ﴾

﴿ كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً ... ﴾ .

﴿ إن الله لايستحيي أن يضرب مثلاً مابعوضة فما فوقها .. ﴾

كان أي عربي وثني (من أجلاف البـاديـة) ينطـق بهـا على التـأنيث ، فـلا نتصور أن في ذلك إشارة علمية إلى مااكتشفه عصرنا من بيولوجيا الحيوان !..

ثم تورط المفسر العصري من هـذا الـوهم ، إلى وهم أشنـع ، فـأضـاع كل السر البياني للآيـة تضرب المثل لأوهن البيوت ، بيت العنكبوت ، حين قرر مـاوصفـه بالحقيقة العلمية :

« وهي أن خيــط العنكبـوت أقـوى من مثيلــه من الصلب ثـلاث مرات ، وأقوى من خيط الحرير وأكثر مرونة » ص ٢١١ .

وعلى هـذا التفسير لايصلح بيت العنكبوت مضرباً للمثل على الوهن ، لأنـه ليس أوهن من بيت الصلب ، أو بيت الحرير اتخذته دودة القز ! » ...

ونرى أن محاولة مصطفى محمود بالرغم مما فيها من نظرة علمية إلا أن حقائق علمية أخرى لاتنقض ماذكره من نظرة علمية ، ولكنها تنقض ماتوصل إليه من نتيجة أراد إثباتها ، وقد يخطئ الاستنتاج مع حسن القصد وصحة مايورد من براهين وأدلة علمية ...

فمن حيث أن أنثى العنكبوت هي التي تقوم بغزل النسيج لابد أن نورد بعدها (عند اكتمال نمو العنكبوت) فالذكر قبل نضوجه ينسج الخيوط أيضاً ...

« وجد أن العنكبوت في أطوراه غير مكتملة النمو يقوم الذكر والأنثى معاً بغزل الخيوط العنكبوتية ، ولكن الذكر يتخلى عن ذلك بمجرد اكتمال نموه ويصير ذلك من اختصاص الأنثى[1] .. » ... وقد لوحظ في فصيلة العناكب (ARACHNIDS) ، والعنكبوت خاصة ، والعقارب وجود أنواع تطول فيها فترة ماقبل اكتمال النمو ، وقد وجد أن الفترة تلك قد تمتد لأربعة أعوام في العنكبوت غازل الخيط أتيباس أفنس (ATYPUS AFFINS)[2] .

وتعرض الدكتور أحمد زكي ، وهو يتحدث عن التناسل في العناكب ، لدور الذكر في نسج الخيوط فقال ...[3]

« دنيا العناكب لاحظ للذكر فيها إلا في تلقيح البيضة ، ثم هو لاشيء من بعد ذلك ، فالأنثى هي التي تنسج حول البيضة كساءً يقيها ، وهي التي تعنى بأطفالها ، وذكور العناكب بها غدد تفرز النسيج ، ولكن ماأقل ماتنسج ، وهي تصيد صيدها وحدها ، وهي أصغر من إناثها ، وكثير من الذكور يلقى حتفه بعد التلقيح .. » .

---

(١) ANIMAL DISPERSSION IN RELATION TO SOCIAL BEHAVIOR V. C. WYNNE - EDWARDS PAGE 115.

(٢) V. C. WYNNE PAGE Ś82 AND BRISTOWE 1958 PAGE 78.

(٣) الموسوعة العلمية . ص١٥٨ ، ١٥٩ .

ويقول هـ ـ مونرفوكس ...

« وتوجد في هذه البلاد ـ بريطانيا ـ نوع من العناكب قد تطور فيه الغزل تطوراً مستقلاً بالطبع ..، فأصبح من الطقوس والشعائر أن يقتنص الذكر حشرة ثم يلفها في نسيج من الحرير قبل أن يقترب من الأنثى ، وعليه أن يقدم لها هدية قبل أن تسمح له بالتزاوج ..[1] »

وأنثى العنكبوت قد تقتل ذكرها عقب التلقيح إذا ظفرت به ، ويوجد غيرها من الحشرات من لايفلت الذكر أبداً بعد تلقيحها مباشرة ، فكأن ذلك يكمل لذتها الجنسية ، ولن يهدأ لها بال إلا بعد أكل ذكرانها ، ومن ذلك إناث العقارب وخنفساء الأرض (CARAPUS AURATUS) ، وأنثى فرس النبي (الطَهَّارة) (« MANTIDS RELIGIOSA «PRAYING MANTES)[2] .. كما لوحظ أن قتل أنثى العنكبوت لذكرها قد يحدث من باب الخطأ ، أو عدم مقدرة الذكر على تعريف وتمييز نفسه عن الفريسة ...

« وبعض ذكور العناكب تقوم باستعراض أمام الأنثى ، إذ تلوح باطرافها وترقص ، وهذا الاستعراض ضروري جداً ولا غنى عنه لحياة الذكر ، وإلا فقد لاتستطيع الأنثى المفترسة أن تميز الذكر على أنه قرينها فتهجم عليه ، وقد تأكله .. »[3] .. مما يوضح أن قتل الذكر قد يكون قبل قيامه بعملية التلقيح ، وهو لم يحظ بعد بمكانة الزوج ...

« ولا يهدف استعراض ذكور العناكب إلى إشارة الأنثى إلى الحد الذي تسمح فيه بالجماع فحسب ، ولكنه يهدف أيضاً إلى حماية الذكور من الاغتيال ، ذلك أن

---

(١) شخصية الحيوان ـ هـ ـ مونروفوكس ترجمة د . فتحي القزاوي ص ١٩٣ .

(٢) ANIMAL DISPERSSION IN RELATION TO SOCIAL BEHAVIOR. V.C. WYNNE - EDWARDS - PAGE Ś78. AND . (FABRE, V. P. 330 AND X, PAGE 248)

(٣) شخصية الحيوان ـ هـ ـ مونروفوكس ص ١٦٩ ، ١٧٠ .

أنثى العنكبوت أشد شراسة من الذكر ، وإذا عجز أن يثبت بجلاء ووضوح شخصيته ، فقد تظنه الأنثى فريسة وقد تهجم عليه لتلتهمه .. » .[1]

وجاء في كتاب العناكب[2] ..

« تسيطر غريزة حب الأكل على العنكبوت ، فقد تأكل صغارها ، وقد يأكلونها ، وتأكل هي الذكر عقب اللقاح ، فهي أكبر حجماً من الذكر . ، وقد يأكل الصغار بعضهم بعضاً ، غير أن أنثى عنكبوت الماء أصغر حجماً من الذكر ، فهي لا تهاجمه .. » ..

توجد خاصية أكل الحيوان لبني جنسه (CANNIPALISM) في كل المملكة الحيوانية ، وقد توجد في الإنسان .. ، فالأسماك يأكل بعضها البعض ، والطيور تأكل بيضها وصغارها ، وبعض اللبونات تأكل صغارها كالهرة ، .. وتقوم الخنافس (BEETLES) بأكل بيضها ، والأطوار غير مكتملة النمو منها ..

وللعنكبوت نصيب من عاطفة الأمومة وتربية الصغار ورعايتهم ، وقد لمسنا ذلك فيما سبق ذكره من حديث للدكتور أحمد ذكي في مورد حديثه عن التناسل في العناكب ، .. كما نلمس ذلك في حياة العناكب المائية ، وجد « أن إحدى العناكب المائية (جمع عنكبوت) تصنع لنفسها عشاً في شكل منطاد (بالون) من خيط بيت العنكبوت وتعلقه بشيء ما تحت الماء .. ثم تمسك ببراعة فقاعة هواء في شعر تحت جسمها ، وتحملها إلى الماء ، ثم تطلقها تحت العش ، ثم تكرر هذه العملية حتى ينتفخ العش ، وعندئذ تلد صغارها وتربيها ، آمنة عليها من هبوب الهواء ، فهاهنا نجد طريقة للنسج ، مما يشمله من هندسة وتركيب

---

(١) شخصية الحيوان ـ هـ ـ مونروفوكس ص ١٧٧ .

(٢) SPIDERS , BY RALPH WHITLOCK

وملاحة جوية .. »[1] .

وهنالك خاصية تحطيم والتهام الصغار لبعضها البعض ، وهي غير خاصية أكل الحيوان لبني جنسه ، وغير الموت في الصغر . (JEUVENILE MORTALITY) ... وأحسن مثال لهذه الخاصية : هو نوع من القشريات يعرف بالسرطان العنكبوتي (SPIDER CRAB)[2] ، وهو سرطان طويل القوائم رفيعها .. ، فهذا الحيوان محصن ضد أسلحة بني جنسه بواسطة قشرته إلا أنه وفي أثناء عملية التطور وخاصة في الأيام الأربعة التالية لعملية طرح الإهاب (MOLTING) .. وهي عملية دورية تقوم بها الأطوار ناقصة النمو في الحيوانات المفصلية ، حيث يطرح كل طور الإهاب القديم ويجدده لطور تالي .. ، وفي هذه الفترة تكون صغار السرطان العنكبوتي ضعيفة واهية لا واقي لجسمها ، فتمارس أكل وأفتراس بعضها البعض إذا لم يتم فصلها في ذلك الطور من النمو ..

وبالتدقيق في ما سبق ذكره من أقوال لغوية ، وحقائق علمية نجد أن ورود بيت العنكبوت في الآية (٤١) من سورة العنكبوت لا يراد به الأسرار العلمية في كون الأنثى هي التي تنسج فالذكر ينسج أيضاً ، .. وبالعنكبوت عاطفة ومحبة وتربية وتوجيه لصغارها .. ، ولا نرى من مراد من آيتها إلا ما تبادر فهمه لذهن العربي الأول ، ولا زالت حقيقته تتجسد في الأذهان اليوم .. وهو وهن بيت العنكبوت وملجئها .. ، وقد صح مثالاً وتشبيهاً اتخاذ العنكبوت مأوى ضعيفاً للدلالة على وهن أولياء يلجأ إليهم من دون الله ..

﴿ وتلك الأمثال نضربها للناس وما يعقلها إلا العالمون ﴾ (العنكبوت : ٤٣) .

---

(١) العلم يدعو للإيمان - كريس موريسون ص ١١٩ .

(٢) ANIMAL DISPERSSION IN RELATION TO SOCIAL BEHAVIOR , PAGE 544 .

الباب الرابع

عالم البحار

﴿ وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتستخرجوا منه حِلْيةً تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ ...

(النحل : ١٤)

تبلغ المساحة التي تغطيها المياه ـ مالحة وعذبة ـ مايقارب ٣/٤ (ثلاثة أرباع) مساحة الكرة الأرضية ، تعيش فيها حيوانات بحرية تختلف نوعاً وشكلاً وأسلوباً في حياتها ومعيشتها ، وقد تكيف كل حيوان منها على بيئته تماماً ، فهنالك أسماك تتحمل درجة حرارة تبلغ (- ٧٣ , ١° م) تحت الصفر ، ونجد أن أسماك المياه العذبة والتي تعيش في البرك والمستنقعات التي تجف في الصيف ، تكيف خياشيمها ومثانتها الهوائية ، حتى تستطيع الحياة على اليابسة ، وتنتقل بين البرك المختلفة ، وتدفن السمكة الرئوية في المياه الأفريقية العذبة نفسها في الطين ، وتسكن كلية ، فكأنها تبيت بياتاً شتوياً ...

عرف من أسماك البحار والأنهار والمحيطات ماينوف على عشرين ألف نوع ، والأسماك العظمية هي أكثر أنواع الحيوانات البحرية تنوعاً وانتشاراً ...

تتحرك الأسماك بواسطة عضلات تنتشر على جانبي الجسم والذيل ، وبتمدد وتقلص هذه الحركة تنتج حركة تموجية تدفع السمكة فتتحرك ، وتستعين الأسماك صندوقية الشكل بزعانفها في الحركة ، وتتحرك الأسماك مستطيلة الجسم وأسطوانية الشكل (ثعبان الماء) بإحداث حركات تموجية لكل أجزاء الجسم ، ويعمل الكيس الهوائي لدى الأسماك العظمية على توازن ثقلها عند الغوص أو الطفو ، ومنها عرف الإنسان فكرة الغواصات وتصميها مقتبساً لها الشكل الإنسيابي لسمكة القرش ...

تقول مقدمة ابن خلدون في فصل بناء المراكب ...

« هي أجرام هندسية صنعت على قالب الحوت ، واعتبار سبحه في الماء

بقوادمه وكلكله ، ليكون ذلك الشكل أعون لها في مصادمة الماء ، وجعل لها عوض الحركة الحيوانية التي للسمك تحريك الرياح ، وربما أعينت بحركة المقاذيف كما في الأساطيل .. » ...

يتكون الغذاء الأساسي للحيوانات في البحر من البلانكتون النباتي[1] الذي يكون المواد العضوية بواسطة مادة الكلوروفيل الخضراء ، وضوء الشمس النافذ في الماء ، وثاني أوكسيد الكربون المذاب في الماء ، والأملاح غير العضوية الممتصة من ماء البحر ، ويتغذى البلانكتون الحيواني[2] على هذا الكائن الحي ، ويكون البلانكتون الحيواني مع القشريات الدقيقة غذاءً للأسماك الصغيرة ، والتي هي مصدر غذاءٍ للأسماك الكبيرة ، غير أن الحوت الأزرق ، وهو أكبر الحيوانات البحرية ، يعتمد في غذائه على البلانكتون النباتي ، والذي يتمكن من ترشيحه بتصفية مياه البحر بواسطة مصفاة في فكه ...

ومن الملاحظ في الأسماك العظمية سرعة تغييرها لألوانها ، ويرجع تنوع تلك الألوان لوجود الخلايا الجلدية حاملة الأصباغ (chromatophores) . كما هو الحال في الحشرات وبعض الحيوانات الأخرى (الحرباء) ، تتقلص هذه الخلايا وتتمدد تحت تأثير عصبي ، وتحت تأثير هرمونات الغدة النخامية ، فهي مملوءة بصبغ ذي لون أصفر أو أسود أو أزرق ، ويحدث أن يتمدد صبغ لون واحد وتتقلص صبغ الألوان الأخرى ، فينتج عن ذلك عدة ألوان مختلفة في وقت واحد ...

---

(١) كائنات دقيقة حية وحيدة الخلية تحتوي على مادة الكلوروفيل النباتية الخضراء وعلى صبغيات حمراء أو صفراء أو زرقاء أو بنية ، ويعيش في الطبقات العليا لمياه البحار والأنهار ...

(٢) حيوانات دقيقة عبارة عن الأطوار الأولى السابحة لكثير من الحيوانات اللافقارية في البحر ... « الحيوانات القشرية ، الجلد شوكية ، والرخويات والديدان ... » .

يقول القرآن ...

﴿ ومايستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (فاطر : ١٢) ...

فبالرغم من اختلاف بيئة الحيوانات البحرية نجد الوحدة في الهدف من خلقها ... نعمة لكسب العيش للإنسان وحلقة من حلقات دورة الوجود ، فلكي تعيش الحيوانات البحرية حياتها لابد من وجود توازن فسيولوجي للسوائل في جسمها وبيئتها ، فالأسماك العظمية تتخلص من الأملاح التي تزيد عن حاجتها عن طريق خلايا خاصة في خياشيمها ، أما الطيور البحرية فتتخلص من مازاد من أملاح بأنسجتها عن طريق الفم ، ولايلائم تركيب الحيوانات الفقارية الحياة في مياه البحر ، لأن نسبة تركيز الأملاح في دمها وأنسجتها أقل من نسبة تركيزها في مياه البحر ، وهي لاتملك خلايا لاستخراج الأملاح بخياشيمها كالأسماك العظمية ، ولاغدد عرقية لها ، ولايمكنها التخلص منها عن طريق الأنف أو الفم ، فهي تعتمد فقط على جهازها البولي ... لذا فقد كبر حجم كليتيها وزاد عدد العقد فيهما ، ليزيد سطحهما الخارجي ، كما أنها تفرز كمية من البول أكبر ...

ومن الأسماك مايهاجر طلباً للغذاء ، وجماعات أخرى تهاجر في موسم التناسل الجنسي ، وبالرغم من اختلاف درجة العذوبة والملوحة بين الأنهار والبحار إلا أن مقدرة التكيف مع البيئة ، قد مكنت الأسماك المهاجرة من القيام برحلاتها ، وبلا عناء كبير ، ففي المياه العذبة تكثر نسبة أيونات الكاربونيت (CO^3) ، وتكثر أيونات الصوديوم والكلور في مياه البحار ، لذا فإن أسماك المياه المالحة ـ عديمة المثانة البولية ـ تركز أيونات الصوديوم والكلور في دمها ، لكي توازن بين ضغطها

الأزموزي[1] في داخل أنسجتها وفي مياه البحر ، ولهذه الظاهرة وهجرة الأسماك قصة تتكرر كل عام في حياة الأسماك المهاجرة ...

أسماك السالمون تهاجر من البحار إلى الأنهار العذبة ، ففي زمن معلوم تتجمع حشودها في مصاب الأنهار الشمالية في أمريكا وأوربا والقارة الآسيوية ، لتصعد أعلى تلك الأنهار بادئة رحلة شاقة ... عابرة بيئة وعرة ، ولا تتذوق أثناء رحلتها طعاماً ، فهي تهاجر صائمة ، حتى إذا ماوصلت في حوض النهر لبقعة مختارة تؤدي فيها رسالة حب البقاء ، وحفظ النوع وضعت بيضها ، فإذا بالذكر منها يلقحه ، ثم يفنى ... وتفنى الأمهات بعده ، وتبدأ الصغار حياتها لتكون جيلاً ولد في الأنهار ، ولكنه يهاجر مع تياراتها للبحار حيث بيئة الأجداد الصالحة ، ومافيها من غذاء وفير ...

ويقوم ثعبان السمك (الأنجويلا) بهجرة معاكسة من المياه العذبة إلى مياه البحار المالحة ، تخرج هذه الأسماك في جماعات ، كبيرة ملبية غريزة التناسل ، من حوض النيل ومن الأنهار الأوربية شتاءً ... عابرة مياه البحر الأبيض المتوسط ... عبر مضيق طارق لمياه المحيط الأطلسي ... وبعيداً عن مصاب الأنهار العذبة تضع الإناث بيضها بالقرب من جزر برمودا ، فتلقحه الذكور ... ثم يفنى هذا الجيل ، فتعود صغاره سالكة نفس الطريق حتى تصل لأنهار منها خرج آباؤها الأولون ...

تهيئ ثعابين الأسماك نفسها لهذه الهجرة فسيولوجياً[2]... فتمتص خياشيمها وشعيراتها الدموية الدقيقة في الجلد أيونات الصوديوم والكلور من المياه المالحة ،

---

(١) الضغط الرشحي ، وقوة الرشح أو الانتشار الغشائي (osmosis) هي الخاصية التي تمر بها السوائل والمواد البلورية المذابة خلال الحواجز ذات المسام ...

(٢) تحت تأثير عصبي وهرموني عندما يحين أوان الهجرة ...

وتعادل تركيزها في دمها وأنسجتها مع تركيزها في مياه البحر ... حتى لاترشح سوائل أنسجتها تحت تأثير الضغط الأسموزي فتموت ضموراً ، ويحدث عكس ذلك تماماً عند سمك السالمون ، والذي تمتص خياشيمه وشعيرات جلده الدموية الدقيقة أيونات الكاربونيت ، وتتخلص من كميات متضاعفة من أيونات الصوديوم والكلور ، حتى تتكيف وبيئة المياه العذبة ، هذا بالإضافة إلى كبر حجم وعددية وحدات الترشيح الكلوية (nephrons) في أسماك المياه العذبة ، وصغرها وقلة عددها في أسماك المياه المالحة ...

لم ترد الإشارة أبداً لحيوانات البحر بلفظ السمك في القرآن ، ولكنها جاءت كلها بلفظ الحوت والنون في خمس سور : هي الكهف ، الأعراف ؛ الصافات ، القلم ، والأنبياء ...

﴿ فلما بلغا مجمعَ بَيْنِهِما نسيا حوتهما فاتخذ سبيله في البحر سرباً ﴾ (الكهف : ٦١)

﴿ قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة فإني نسيت الحوت وماأنسانِيهُ إلا الشيطان أن أذكره ، واتخذ سبيله في البحر عجباً ﴾ (الكهف : ٦٣) .

﴿ واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يَعْدُون في السبت إذ تَأتِيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نَبْلُوهم بما كانوا يفسقون ﴾ (الأعراف : ١٦٣) .

﴿ وإن يونس لمن المرسلين . إذ أبق إلى الفلك المشحون . فساهم فكان من المدحضين . فالتقمه الحوت وهو مليم . فلولا أنه كان من المسبحين . للبث في بطنه إلى يوم يبعثون . فنبذناه بالعراء وهو سقيم ﴾ (الصافات : ١٣٩ ـ ١٤٥) .

﴿ فاصبر لحكم ربك ولاتكن كصاحب الحوت إذ نادى وهو مكظوم . لولا أن تداركه نعمة من ربه لنبذ بالعراء وهو مذموم ﴾ (القلم : ٤٨ ـ ٤٩) .

﴿ وذا النون إذ ذهب مغاضباً فظن أن لن نقدر عليه فنادى في الظلمات أن لاإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك نُنجي المؤمنين ﴾ (الأنبياء : ٨٧ ـ ٨٨) .

تحكي الآيات السابقة ثلاث قصص ...

... قصة سيدنا موسى وفتاه والرجل الصالح ...

... قصة أصحاب القرية الساحلية اليهودية وحيتانهم ...

... وقصة جهاد ومجاهدة سيدنا يونس ...

كان السمك في قصة موسى وفتاه ـ وهو غداء ـ دليلاً على ماكان يبتغيه موسى حيث رأى فتاه الحوت يضطرب آخذاً طريقه إلى البحر مسرعاً ...

أما سمك القرية الساحلية ، فقد كان ابتلاءً واختباراً لطاعتهم لأوامر الله : أن جعل الأسماك تأتيهم في يوم سبتهم ، وهو يوم إجازتهم ، وتمنعها إرادة الله أن تأتيهم في غيره ، فاختلف القوم حول مصيرها .. ، فريق عصى أمر ربه واصطاد بالسبت .. ، وفريق التزم جانب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .. ، وثالث كان يحاول إقناع الفريق الثاني بأن يكف عن مجادلة الأول ، قالوا لهم : إن الله مهلك هؤلاء العصاة ، ولاحياة ولانداء لمن يعظون ... وأتاهم عذاب ربهم ، فجعل منهم القردة والخنازير ...

﴿ ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ (البقرة : ٦٥) .

﴿ فلما عتوا عما نهوا عنه قلنا لهم كونوا قردة خاسئين ﴾ (الأعراف : ١٦٦) .

﴿ قل هل أنبئكم بشرٍّ من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله وغضب عليه

وجعل منهم القردة والخنازير وعبد الطاغوت أولئك شر مكاناً وأضل عن سواء السبيل ﴾ (المائدة : ٦٠) .

أما القصة الثالثة فهي لصاحب الحوت ... ذي النون سيدنا يونس .. ، وقد أرسل لأهل نينوى بالموصل .. ، ولكنه لم يطق معهم صبراً .. ، فقد كانوا كفرة معاندين .. ، فغاضبهم وفارقهم بلاإذن من ربه منذراً لهم بعذاب واقع أليم .. ، غير أن مصيرهم كان حين خرج منهم أن آمنوا ، ودخلوا حظيرة الإيمان ، فكشف عنهم ربهم العذاب ...

﴿ فلولا كانت قرية آمنت فنفعها إيمانها إلا قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم عذاب الخزي في الحياة الدنيا ومتعناهم إلى حين . ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعاً أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين ﴾ (يونس : ٩٨ ـ ٩٩) .

وطفق يونس يبحث عن مكان يؤويه ، وكان له مع الله موعد ، ركب سفينة عند ساحل البحر ، وفي وسط لجج البحر وغضب أمواجه ، ساهم كل من في السفينة لتخفيف وزنها ، فكان يونس من المدحضين ... جَنَّ عليه الليل وهو يكابد مياه البحر وظلماته ، وفي ظلمة ثالثة التقمه الحوت في بطنه ، وهنا تذكر ذو النون ربه فنادى ...

﴿ ... أن لاإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين ﴾

واستجاب له ربه ونجاه ، فلفظه الحوت بالساحل ...

روى سعيد بن المسيب ، قال : سمعت سعد بن مالك يقول : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« اسم الله الذي إذا دعي به أجاب ، وإذا سئل به أعطى ، دعوة يونس بن

متى ... قال : قلت : ـ يارسول الله هي ليونس خاصة ، أم لجماعة المسلمين ؟ قال : ـ هي ليونس بن متى خاصة ، ولجماعة المسلمين عامة ، إذا دعوا بها ، ألم تسمع قوله تعالى : ﴿ فنادى في الظلمات أن لاإله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين . فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجي المؤمنين ﴾ فهو شرط من الله لمن دعاه به ...

وتساءل البعض عن نوعية حوت يونس : هل هو سمكة عادية مما نألف ، أم هو حوت أزرق ، أم من الدلافين ؟ ونقول ...

أي نوع من الحيوانات البحرية كان حوت ذي النون ، لايهم ، فمن الثابت ابتلاع النبي يونس ... وتلك معجزة تمت ، ومكث بجوفها في داخل الماء بطبيعته البشرية في بيئة غير صالحة لتنفسه ، هي المعجزات تخرق مايعرف العقل البشري من نواميس كونية ، هي من عند ربنا ، ونحن به مؤمنون ...

الحيتان حيوانات ثديّة من ذوات الدم الحار ... ترضع صغارها ... وتتنفس تنفساً رئوياً بفتحة أنفية واحدة في أعلى الرأس .. ، أكبرها حجماً هو الحوت الأزرق ، والذي يبلغ طوله (٣٣) متراً ، وقد يزيد وزنه عن (١٢٠) طناً ، يتحصل على الأوكسجين بظهوره على سطح الماء مرة كل عشرين دقيقة ، بمساعدة ذنب أفقي الاتجاه ، يعوم بواسطته إلى أعلى وأسفل ، وذلك عكس ذنب الأسماك الرأسي ، والذي يمكنها من العوم يميناً ويساراً ...

عند ولادة الحيتان يحضر عدد من الحيتان عند الأم ساعة مخاضها لمراقبتها ومساعدتها ، وعلى عكس الكثير من الحيوانات اللبونة يخرج جنين الحوت بذنبه أولاً .. ، ويقطع حبله السري قريباً من البطن ، ولايتم ذلك إلا بعد خروج الجنين تماماً تفادياً للاختناق ، ثم يدفع الجنين مباشرة لسطح الماء ليتنفس أول

كمية من الهواء تدخل رئتيه ، وكذلك تفعل الدلافين بصغارها ، وهي تحملهم تابعة السفن في البحار .. تدفعها بين حين وآخر لسطح الماء لتتنفس ، وقد يكون ذلك مصدر قصص الإنسان عن خدمة الدلافين للغرقى ، فقد يحدث ذلك وبلا قصد ، وإنما تلبية لدافع غريزة الأمومة لتشبعها ...

☆ ☆ ☆

اللؤلؤ والمرجان

جاء ذكر المرجان في سورة الرحمن فقط وفي موضعين هما : (الآيات : ٢٢ و ٥٨) ...

﴿ مرج البحرين يلتقيان . بينهما برزخ لايبغيان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان . فبأي آلاء ربكما تكذبان ﴾ (الرحمن : ١٩ ـ ٢٣) .

﴿ فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولاجان . فبأي آلاء ربكما تكذبان . كأنهن الياقوت والمرجان ﴾ (الرحمن : ٥٦ ـ ٥٨) .

أما اللؤلؤ فقد ذكر في كل من : الرحمن ، والطور ، والواقعة ، والحج ، وفاطر ، والإنسان ...

﴿ ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون ﴾ (الطور : ٢٤) .

﴿ وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ﴾ (الواقعة : ٢٣) .

﴿ ويطوف عليهم ولدان مخلدون إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً ﴾ (الإنسان : ١٩)

﴿ جنات عدن يدخلونها يُحَلَّوْنَ فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ﴾ (فاطر : ٣٣) .

﴿ إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار

يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً ولباسهم فيها حرير ﴾ (الحج : ٢٣) .

اللؤلؤ حيوان بحري من الرخويات ... يعيش في أعماق البحار محاطاً بصدفة من المواد الجيرية لتحميه من أخطار تحيط بحياته ، ويختلف عن حيوانات البحار الأخرى ، تركيباً وأسلوب معيشة ، وله مصفاة شبكية أمام أفواهه ، تمكنه من الحصول على الماء والهواء والغذاء ، ولكنها لاتسمح بدخول غريب الأجسام كالرمل والحصى ، وإذا حدث أن دخلت مادة غريبة لجوفه ، وحتى لاتهيج أنسجته ، فإنه يجعل منها نواة للؤلؤة آتية ... ويفرز عليها مادة صدفية متراصة في شكل طبقات متتالية ، ولهذه المادة البلورية الصدفية يرجع بريق اللآلئ ...

يعتبر اللؤلؤ الطبيعي أعظم منتجات البحار ، أما أفخر وأغلى أنواع اللآلئ فهو ماكان مصدره محار اللؤلؤ الذي ينتمي لجنس أوستريا (OSTREA)[1] .. وتوجد مصائد هذا النوع من اللؤلؤ في استراليا ، وسيلان والملايو وساحل شرق أفريقيا والخليج العربي ، وكل هذه من لآلئ المياه المالحة ، وهنالك لآلئ ثمينة تستخرج من محارها في المياه العذبة لأنهار أوربا وأمريكا وآسيا ، ويكون حجم اللؤلؤة المتكونة على حسب حجم الجسم الغريب الذي دخل في التجويف البطني لحيوان اللؤلؤ ...

والمرجان هو من بين أهم الحيوانات التي تكون الحجر الجيري ، وهو من عجائب مخلوقات الكون ، فهو يعيش مثبتاً طرفه الأسفل بصخر أو عشب في أعماق البحار ، وله فتحة في أعلى جسمه تحيط بها زوائد تصيب البراغيث المائية ، والأحياء البحرية الدقيقة ، فتشلها وتلتصق بها ، وترمي بها داخل قناة المرجان الهضمية ...

---

(١) هنالك أنواع أخرى من المحار تنتمي لجنس مارقاريتيفيرا (MARGARITIFERA) .

يتكاثر حيوان المرجان عن طريق تلقيح البويضات ، أو عن طريق التزرر ، وعن كل تنتج شجرة مرجان سميكة الساق رفيعة الفروع ، فتتكون حديقة مرجانية ذات لون أصفر برتقالي ، أو أحمر قرنفلي ، أو أزرق زمردي ، وقد يكون أغبر باهتاً ، ويحدث أن تكون هذه الشعب المرجانية جزراً مرجانية حية ، وتوجد كل الشعب المرجانية في المناطق الحارة ، وهي تأخذ شكل حلقات تسمى آتول (ATOLL)[1]... وأكبر حاجز مرجاني معروف اليوم ، هو الحاجز المرجاني في شمال شرق استراليا ، والذي يبلغ طوله ١٣٥٠ ميلاً ، وعرضه ٥٠ ميلاً ...

أما المرجان التجاري ، وهو المرجان الأحمر ، والذي يستخدم في صناعة الحلي ، فهو يعيش في البحار المعتدلة ، ولادخل له بالجزر المرجانية في البحار الاستوائية الحارة ، وتوجد مادة المرجان الأحمر في الداخل محاطة من الخارج بالمادة الحية ، وتظهر مستعمرته بلون أحمر ، وزهور بيضاء ...

توجد أهم مصائد المرجان الأحمر (CORALLIUM RUBRUM) في البحر الأبيض المتوسط ، وهو ذو لون أحمر براق ، أو أورجواني داكن ، ويستخدم في صناعة الحلي المختلفة ، فيعطيها بريقاً ورونقاً وجمالاً ، وهنالك نوع آخر من المرجان الأسود نجده في البحر الأبيض المتوسط والبحر الأحمر والخليج الفارس ، وقد استخدم أيضاً في صناعة الحلي من أساور وعقود وأقراط ومشابك وغيرها ...

☆ ☆ ☆

---

(١) حلقة .. أو جزيرة مرجانية تتوسطها بحيرة .

صيد البحر

﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾ (المائدة : ٩٦) .

الحيوانات البحرية كلها يحل أكلها ، ولا يشترط فيها تذكية أو كيفية وجود ، ولا يشترط أيضاً عقيدة من صادها أو التقطها من النهر أو البحر .

روى البخاري ومسلم في الصحيحين عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن النبي ﷺ : بعث سرية من أصحابه فوجدوا حوتاً كبيراً قد جذر عنه البحر ـ أي ميتاً ـ فأكلوا منه بضعة وعشرين يوماً ، ثم قدموا المدينة ، فأخبروا رسول الله ﷺ فقال : ـ « كلوا رزقاً أخرجه الله لكم ، أطعمونا إن كان معكم » فأتاه بعضهم بشيء فأكله ...

☆ ☆ ☆

الباب الخامس
في مصانع الخلايا الحية

﴿ مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمرة لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات ومغفرة من ربهم كمن هو خالد في النار وسقوا ماءً حميماً فقطع أمعاءهم ﴾ .

(محمد : ١٥)

الحيوان منه طعام للناس ، وبعضه يصنع طعاماً للناس مستجيباً لغريزة حب البقاء وحفظ النوع والذات ، فهو يسبح الله ولا يعصي له أمراً ...

وقد ثبت علمياً أن أعظم أنواع الغذاء هو ما كان مصدره نباتاً ، واكتمل صنعه في خلايا الحيوان .. كالعسل واللبن ، كما يصنع الحيوان روائح كالعنبر والمسك ، ومنه تخرج حلية يلبسها الناس كاللؤلؤ والمرجان ..

﴿ وسخر لكم مافي السموات ومافي الأرض جميعاً منه إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون ﴾ (الجاثية : ١٣) .

عسل النحل

مامن أمة إلا وكان للعسل موضع في غذائها ، أو دوائها أو معتقداتها ...

... ذكرته أناشيد وأشعار الهنود الدينية القديمة ...

... ووجد في الحفريات الفرعونية مستخدماً في تحنيط الأجساد ، وحفظها من التحلل والتعفن ...

... وأرسلت جثة الاسكندر الأكبر إلى مكدونيا ، وهي مطمورة بالعسل ...

... وسمته العرب بالحافظ الأمين ...

.. وتناوله الهندوس فشعروا بقوة هالتهم ، فاعتبروه في عداد المعجزات ...

... ويعتبره الهنود الحمر .. (والانكا) منهم خاصة .. أنه غذاء الآلهة ، ولعل ذلك مصدر تقديمه لآلهتهم كقرابين ...

.. وقد ذكر العسل في التوراة عند وصف الكتاب المقدس .. « أحلى من العسل وقطر الشهاد »[1] .

ولا يخلو قانون ابن سينا من وصفات عديدة يدخل العسل في تركيبها ، ففي حديثه عن طعام الفلاسفة وصف العسل قائلاً .. « إن العسل يقوي الروح ، ويحرك الشهية ، ويحفظ الشباب ، ويؤدي إلى انطلاق اللسان .. » وقد اعتمد أبو الطب ، أبو قراط (HIPPOCRATES) في غذائه الخاص على العسل ، كما داوى

(١) مزمور ١٩ ، ١٠

به الكثير من الأمراض ، وكان يطلي به الجروح ، واستخدمه في علاج التهابات البلعوم والحنجرة ، وله من العسل شراب محضر ، يصفه كمهدئ للسعال ، وكما صٍ لرطوبة الصدر .

ولعله نفس السبب الذي قاد المصريين واليونانيين القدامى لاستخدام عسل النحل في حفظ جثث الموتى ، هو أيضاً يهدي اليوم العائلات الفقيرة في بورما لحفظ جثث موتاهم في العسل ، ريثما يتحصلون على المبالغ اللازمة لدفنها ... وحين ينتشلونها ، يبيعون العسل لاعتقادهم ببقائه صالحاً للأكل دائماً ...

وفي الاتحاد السوفيتي توضح سجلات حياة المعمرين ، والتي دونت في عام ١٩٥٠ ، أن أغلبهم نحالة ، أو ممن يسكنون الجبال حيث تكثر مستعمرات نحل العسل ، .. وفي حديثه عن الدنيا يقول سيدنا علي رضي الله عنه .. « أشرف لباس ابن آدم لعاب دودة (الحرير) ، وأشرف شرابه رجيع نحلة (العسل) .. » ...

وقد ذكر عسل النحل في سورة النحل كشفاء للناس ، وهو الموضع الوحيد الذي وصف فيه دواء في القرآن[1] ... ووصفه هكذا كان مصدر غيظ وحقد شديد لكثير ممن يعادون الله وبيانه ، فقد قال الدكتور صمويل زويمر : الرسول المختار للعالم الإسلامي - وهو يتحدث أمام جماعات التبشير ويتكفل لهم بتحويل العالم الإسلامي عن عقيدته[2] ..

« إن الشهد لم يزل معدوداً كالترياق في بلاد العرب استناداً إلى القرآن والحديث ، وقد كانت الإشارة الوحيدة إلى الطب في وحي محمد هذه الكلمة الغبية

---

(١) وصف القرآنُ القرآنَ بأنه شفاء لما في الصدور ، وهو شفاء ورحمة للمؤمنين ، وهو هدى وشفاء لمن آمن في كل من .. يونس : ٥٧ ، الإسراء : ٨٢ ، فصلت : ٤٤ ..

(٢) المبشرون نقاد القرآن .. العقاد ص ٤٢٧ ..

التي يقول فيها عن النحل إنه ﴿ .. يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس .. ﴾ » .

وفي حديثه يشتم رائحة الغرض ، وإنه لأحمق من يحاول أن يضع الحقد مكان الحقائق الطبية العلمية المؤكدة بكل نتائج البحوث في استخدام العسل كشفاء للناس بأنه دائماً الأنفع والأمثل .. ولكن أكثر الناس لا يعلمون ...

﴿ ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إن في ذلك لآية لقوم يتفكرون ﴾ (النحل : ٦٩) .

تختلف ألوان العسل باختلاف التركيب الكيميائي لتربة الأرض ، وتبعاً لاختلاف المكان تختلف نباتات الأرض وأزهارها ، ومنها غذاء النحل ، فيجيئ اختلاف الألوان تبعاً لاختلاف المرعى ورحيق الأزهار ، وجد أن مادة البوتاسيوم والحديد والمانجنيز أوفر في العسل الضارب للسواد من غيره ..

وتفيد (فيه شفاء) العمومية المطلقة ، فهي لم تقرن بأداة استثناء أو تعريف ، والعسل صيدلية تحتوي على عقاقير علاجية ووقائية ، وفيها مواد قاتلة للجراثيم ومضادة للعفونة ...

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي (ﷺ) قال : ـ

« الشفاء في ثلاثة : في شرطة محجم ، أو شربة عسل ، أو كية من نار ، وأنهى أمتي عن الكي .. »[1] ...

وروي عن ابن مسعود رضي الله عنه قال : ـ « قال رسول الله (ﷺ) عليكم بالشفاءين : العسل والقرآن »[2] ..

---

(١) صحيح البخاري .

(٢) رواه ابن ماجه في سننه ، وابن مردويه والحاكم وصححه البيهقي في شعب الإيمان .

وروى البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري أن رجلاً جاء إلى رسول الله (ﷺ) فقال : ـ إن أخي استطلق بطنه ، فقال له رسول الله (ﷺ) « اسقه عسلاً » فسقاه عسلاً ثم جاء فقال : يا رسول الله سقيته عسلاً فما زاده إلا استطلاقاً قال : « اذهب فاسقه عسلاً » فذهب فسقاه عسلاً ثم جاء فقال يا رسول الله ما زاده ذلك إلا استطلاقاً . فقال رسول الله (ﷺ) « صدق الله وكذب بطن أخيك ، اذهب فاسقه عسلاً . » فذهب فسقاه عسلاً فبرئ ...

يقول الدكتور محمد ناظم القسيمي ..[1]

« إن الإسهال الحاد الذي وصف له رسول الله (ﷺ) العسل كما يحتمل أن يكون ناتجاً عن تخمة . كما قال العلامة الطبيب الكحال ، وأيده الطب الحديث .. فإنه ونتيجة لبحثي يحتمل أن يكون ناتجاً من عفونة ببرهانين ...

أولاً .. إن كلاً من التخمة وعفونة الأمعاء سبب لفساد الهضم .

ثانياً ... إن الطب الحديث يداوي إسهال العفونة ، بمسهل أحياناً ...

وإن للوصفة النبوية هذه ميزات ثلاث ...

(١) المعالجة المثلية بمعالجة الإسهال بمسهل ، وذلك لدفع الإسهال ، ومحتوى الأمعاء الفاسدة والانسمام الغذائي من التخمة أو طرد المحتوى المتعفن بتكاثر الجراثيم في عفونة الأمعاء ..

(٢) اختيارالعسل وهو ملين على المسهلات الشديدة التي تخرش الأمعاء ، وأكثر الدوائيين اليوم إذا رغبوا بإعطاء مسهل في حوادث الإسهال عند الشباب والكهول ـ غير الطفلية المنشأ ، فإنهم يفضلون الملين ..

---

(١) عن مجلة حضارة الإسلام ، المجلد (١٣) العدد ٧ / ٨ ، ١٩٧٥ .

(٣) اختيار العسل من بين الملينات لأن في العسل مواد مطهرة تؤثر على الجراثيم فتثبط نموها وتقتل بعض أنواعها ... » ...

وقد أدخل العلماء الألمان والسوفيت الغذاء الملكي[١] للنحل في صناعة كثير من الأدوية ، وفي مستشفى تورفولك بانجلترا استخدمه أحد كبار الجراحين ولمدة عشرين عاماً في التئام الجروح وإزالة آثارها ، وقد تبين له أن العسل يساعد على نمو الأنسجة وتجديدها ، وسرعة التئامها وإزالة آثارها ، وفي مجال جراحة التجميل ومحاولات إعادة الحيوية والشباب استخدم علماء التجميل العسل ، وقد لاحظوا أنه يحمي شباب البشرة ، ويزيل تجاعيدها ، وفسروا ذلك باحتوائه على أحماض أمينية يمكنها تكوينها الجاهز من الاندماج الفوري ، ليتم بناء خلايا للبشرة جديدة ، كما أنه يحتوي على فيتامينات $ب_{٢}$ ، و $ب_{٥}$ المساعدة على عملية البناء ، ويحتوي على معدن الكالسيوم والماغنزيوم والبوتاسيوم ..

ومن السكريات الآحادية[٢] يحتوي العسل على سكر الفركتوز وسكر الجلوكوز ، وثبت أن عسل النحل يعادل قلوية الدم تماماً ، كما تفعل الموالح ، فعندما يبذل الجسم مجهوداً تتكون في أنسجته أحماض اللاكستيك والكربونيك ، والتي يجب أن تتعادل وتتناسب مع قلويات الدم ، وإلا نتج الشعور بالتعب والإرهاق ، وقد ثبت أن أفضل الطرق للوقاية والعلاج من ذلك هو تناول الأطعمة القلوية : كالفاكهة والبقوليات الخضراء ، والعسل يفعل مثل ذلك ، غير أن تأثير العسل الداكن في معادلة حموضة الدم أقوى من العسل ذي اللون الفاتح ...

---

(١) عسل نحل مركز يحتوي على حبوب لقاح مكثفة التركيز ..

(٢) يمتصها الجسم أسرع من السكريات الثنائية (سكر القصب) والتي يجب امتصاصها كسكريات أحادية .

وعن استخدامات عسل النحل في الطب الحديث يقول د . محمد نزار الدقر ...[1]

« الجراح العالمي شويتيزر (١٩٦٥) والحائز على جائزة نوبل عدل عن استعمال كافة المطهرات في مستشفاه بالجابون ، واعتمد في شفاء الجروح السريعة على شاش معقم مغمس في العسل . وتشير مشاهدات (لوك « LÜKE » ١٩٣٣) ، وديوفتش (١٩٦٠) زيادة على مشاهداتنا السريرية الخاصة إلى أن قرحات جلدية دهنية استمر سيرها وعنادها أشهراً وسنوات عدة ، تم شفاؤها بتطبيق مرهم عسلي ، وفي مجال العلاجات التجميلية اثبتت الدراسات الحديثة (ايوريش N . IORISH ، كارتامبيشف ، وكالغوتيكو وغيرهم) مالأقنعة العسل ومراهمه من تأثير ممتاز على الجلد ، فهي تنشطه وتطريه وتغذيه فتعطيه بذلك النضارة والنعومة والحيوية ، وتسوي ـ أو على الأقل ـ تخفف من تجعداته وخشونته ، فتعيد إليه بذلك رونقه وشبابه ، وفي أمراض العيون نجح العسل حين أخفق غيره ، وعالج ماكسينكو MAXIMENIKO بالعسل العيون التي تصاب بحروق مختلفة من العمى المطلق ، وعالج به أوسايلكو OSAYLKO في مستشفى أوديسا الاقليمي (الذي يعتبر من أشهر مستشفيات العيون في العالم) كثيراً من التهابات القرنية وتقرحاتها ، وفي أمراض الهضم أصلح العسل كثيراً من الاضطرابات الهضمية المزمنة من إمساك وفرط أو نقص في الحموضة المعدية ، واثبتت البروفسير خوتكينا KHOTKINA بعد دراسة قامت بها على أكثر من ٦٠٠ مريض أن نسبة شفاء القرحة المعدية والعفجية بالعسل ضعفا نسبة الشفاء بأي من العلاجات الأخرى ، علاوة على أن العسل يعجل في شفاء المرض في فترة زمنية وجيزة ، كما أثبت الكثيرون أمثال ميسانكوف MIASINKOV ولوقينوف

---

(١) العسل فيه شفاء للناس ، ص ٦ / ٨ ، ط ١٩٧٣ .

LOGINOV وشيرم SCHIRM الأثر الحسن لمحاليل العسل في شفاء الآفات الكبدية المختلفة .

والنزلات الشعبية تشفى بالعسل خلال ثلاثة أيام . وعالج به ستولت STOLTE التهاب اللوزتين : دهناً موضعياً . وهناك وصفات عسلية لمعالجة التهاب الجيوب ، أما كولتزشتاين فيعالج بالعسل بنجاح منقطع النظير التهابات المجاري التنفسية العلوية ، بتطبيقه على شكل أرذاذ ، كما أعطت هذه الطريقة نتائج جيدة في معالجة التهاب الأنف الضموري ، وأدخلت بعض معامل الأدوية العسل في تركيب الأشربة المسكنة للسعال ، وثبت أثره الفعال في هذا المجال .

والأطباء من كافة الاختصاصات ، الذين عالجوا مرضاهم بالعسل لاحظوا أثره الممتاز على زيادة الكريات الحمراء ، وارتفاع نسبة الخضاب في دماء أولئك المرضى ، وقد دلت الأبحاث التي جرت في السنوات العشر الأخيرة أن العسل يعتبر من أفضل العلاجات في قصور القلب ، ومن أجل توسيع الأوعية الإكليلية ، ولزيادة تروية القلب ، (أيوريش ، شيلر ، شيرت ، كولتزبوشر وغيرهم) .

كما ويعتبره الكثيرون من أفضل المهدئات للجهاز العصبي وخير دواء للأرق ...

وأثبتت فعالية العسل في حالات معنّدة من إقياء الحمل فشلت فيها كل العلاجات الأخرى ، كما يبين ايميش AMMICH فعاليته في حالات عديدة من حكات مجهولة السبب ، وطبقه SCH . RHONLOF موضعياً في حالات معنّدة جداً من الحكة الفرجية بالخاصة ..

وللعسل ـ خلافاً لما هو شائع ـ أثر حسن على سير الداء السكري ، كما ويساعد على نمو العضوية ، وخاصة الفتية منها ، وله أثر وقائي هام عند الأطفال ، إذ إن وجوده في طعامهم اليومي يقيهم من مختلف آفات الطفولة : من

إسهالات وأنتانات معوية متكررة ، ومن الخرع وغيره من أسواء النمو ، وله فائدة لاتنكر في الوقاية والمعالجة من عوارض الشيخوخة ، وخصوصاً المبكرة منها .. » .

ومن خواص عسل النحل قدرته على الاحتفاظ برطوبته ، وماله من مناعة ضد الفساد ، وامتصاصه للرطوبة بمقدرة فائقة ..

وقد لوحظ أن جميع الكائنات الدقيقة الحية والتي وضعت في العسل أو أدخلت عليه ، ماتت في بضع ساعات ، أو أيام ، وذلك لأنه يمتص كل الرطوبة من الكائن الحي ، والذي لابد لحياته من وجود نسبة معينة من الرطوبة على جسمه .. فقد جعل الخالق من الماء كل شيء حي .. وعسل النحل يمتص هذه الرطوبة فهو حافظ أمين ...

☆ ☆ ☆

اللبن

﴿ وإن لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ﴾ (النحل : ٦٦) .

روى ابن عباس رضي الله عنهما عن النبي ﷺ قوله في فضل اللبن على أنواع الغذاء الأخرى :

« من أطعمه الله طعاماً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه ، ومن سقاه لبناً فليقل : اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ، فإني لاأعلم مايجزي من الطعام والشراب إلا اللبن .. »[1].

عرف اللبن بالتجربة منذ قديم الزمان بأنه غذاء كامل ... وأكدت البحوث العلمية حقيقة كماله : كغذاء ... يستخدم منه البشر أنواعاً : هي ألبان الفرس ، والأتان ، ولبن النوق والشياه والأغنام والماشية بأنواعها ...

وكما بدأ الإنسان حياته معتمداً على الأغذية الطبيعية بدأ اليوم رحلة العودة إليها من جديد ... بعد أن جرب طرق حفظ وتعليب الأغذية فجرت عليه من الأدواء والأسواء والسقام ماأعياه دواؤه ، فهنالك الكثيرون ينادون بالرجعة إلى الغذاء والطعام الطبيعي لمعالجة بعض الأمراض ، ومنهم : مكفادن[2] الذي نادى بالرجوع إلى استخدام الأطعمة الطبيعية الطازجة ، والذي يستخدم في معالجاته

---

(١) رواه أبو داود والترمذي وابن ماجه ...

(٢) يعرف بأبي التربية والعلاج الطبيعي في أمريكا ...

الطرق الطبيعية من صيام ، وشرب للبن والمشي لمسافات طويلة ، واتباع نظام غذائي خاص في العلاج ، ولكي يحقق فكرته هذه فقد أنشأ لخدمتها صحفاً ومجلات ودوراً للعلاج ...

يقول مكفادن عن اللبن ...

« إنه هدية من السماء إلى الأرض أعظم من المن والسلوى ، إنه أعظم مغذ وأعظم مقو بل هو الدواء الوحيد الخليق بالاحترام في هذا الوجود .. » ...[1]

وكما وصفه القرآن من قبل بأنه يخرج من بين فرث ودم ، وخالصاً يلذ شرابه ومذاقه ، فإن كيمياء اللبن تثبت حقيقة ماذكر ... ويسبق تكوين اللبن عمليات بيوكيميائية دقيقة داخل الخلايا والأنسجة المختصة ، يشارك فيها الجهاز العصبي وكثير من الهرمونات والأنزيمات ...

تتكون المواد البروتينية من الألياف النباتية ، السليلوز ، بعد أن تقوم البكتيريا والبروتوزوا داخل المعدة بتحويلها إلى مواد بروتينية تبني منها جسدها ، كما تتكون أيضاً من المواد البروتينية الأخرى ، والتي يتناولها الحيوان اللبون ، وعند موت الحيوانات الدقيقة والأولية تهاجمها العصارة الهاضمة ، وتحولها إلى أحماض أمينية ، ينقلها الدم إلى الغدد اللبنية في الثدي حيث ينتج الكازين (casien) من اتحاد الأحماض الأمينية ، أو فتات البروتينات التي يحملها الدم ، أما الألبيومين (albumin) فصورته واحدة في الدم واللبن ، أما القلوبيولين (globulin) فيتم ترشيحه من الدم إلى اللبن ...

وتأتي المواد النشوية من السليلوز أيضاً ، والذي يتحول إلى جلوكوز عبر

---

(١) لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب ، أحمد موسى سالم . ص ١٦٢ ط ١٩٧٢ دار الجيل بيروت ...

عمليات بيوكيميائية معقدة ، ثم يمتص الجلوكوز في الدم ويمر للغدد اللبنية ، والتي تستطيع أنزيماتها تحويل الجلوكوز إلى سكر كثير الشبه به ، وهو سكر الجلاكتوز ، وباتحاد جزيئات الجلوكوز والجلاكتوز يتكون اللاكتوز (سكر اللبن) ، وقد وجد أن ٨٥ ٪ من شارد الكربون في اللاكتوز ـ والذي يوجد في اللبن فقط ـ من جلوكوز الدم ...

وجزيئات حامض الخليك هي أهم الأحماض الدهنية في الدم ... تنتقل هذه الجزيئات وتتحد مع بعضها مكونة الأحماض الدهنية الأكبر ، وتتحدد هذه الأحماض الدهنية مع الجليسرول عبر عمليات بيوكيميائية كثيرة في داخل الأنسجة ، ينتج عنها دهن الزبد (butter fat) وهو مايصعد لسطح اللبن إذا ترك لفترة من الوقت ...

وقد وجد أنه لوجود الأحماض الدهنية المتطايرة في المعدة الأولى للمجترات ـ حيث الفرث ـ والتي تلعب البكتريا والبروتوزوا دوراً كبيراً في تشبيعها (saturation) ، وجد أن لهذه الأحماض الدهنية المتطايرة علاقة كبيرة بتكوين الخلات (acetates) ، والبروبيونات (propionates) ، والبيوتيرات (butyrates) ... وجزيء الدهنيات الحقيقي يتكون من جزيء جليسرول بالإضافة لثلاث جزيئات من أي حامض دهني آخر ، قد يحتوي عدداً من شوارد الكربون ، يتراوح من اثنين إلى عشرين ، وقد وجد أن بعض هذه الأحماض الدهنية خاص باللبن ، فهي لاتوجد في أي دهن طبيعي غيره ، والأحماض تلك هي التي يحتوي جزيئها على أعداد قليلة من ذرات الكربون ... كحامض الخليك (acetic acid) والذي يحتوي على ذرتين كربون ، وحامض البروبيونك (propionic acid) ، يحتوي على ثلاث ذرات كربون ، وبالأخص حامض البيوتيرك (putyric acid) والذي يحتوي على أربعة ذرات كربون ... بالإضافة

إلى الأحماض الدهنية التي تحتوي على عدد يتراوح بين سبع وعشر ذرات كربون ...

أما الأحماض الأخرى ... وهي الأكثر عدداً وكمية في اللبن ، فهي تلك التي تحتوي على ١٦ أو ١٨ ذرة كربون ... ومصدرها هو مواد الجليسرايدات الثلاثية (triglycerides) التي يحتويها بلازما الدم ...

وبعبارة أخرى تتكون الأحماض الدهنية في دهن اللبن من بلازما الدم ، ويتم تصنيعها في خلايا الغدد اللبنية ، فإن كان حامض الدهن يحتوي على عدد ٤ ـ ١٠ ذرات كربون يكون مصدره الخلات (acetate) أو حامض هايدوكس بيوترك (B - Hydroxy butyric acid) ... أما إن كان يحتوي على ١٨ ذرة كربون فمصدره هو الجليسيرايدات الثلاثية ، (triglycerides) ... أما تلك التي تحتوي على ١٢ ـ ١٦ ذرة كربون فمن المصدرين معاً ... وكلاهما من بلازما الدم ...

ويتم امتصاص الماء في اللبن من الدم مباشرة وكذلك المواد المعدنية ، والفيتامينات التي تذوب في الماء توجد في اللبن كما هي في الدم ، ويحتوي اللبن على بعض الكرويات الحمراء وغيرها من خلايا الجسم كنتيجة لعمليات التآكل في الخلايا ، وعمليات التحويل في الغدد اللبنية ، ويكون الناتج خليطاً من مكونات اللبن المختلفة بعضها يتم تحويله بواسطة الغدد اللبنية ، وجزء آخر يتم ترشيحه من بلازما الدم مباشرة فيظهر بنفس صورته في اللبن ... والذي خرج سائغاً من بين فرث ودم .

﴿ تسبح له السموات السبع والأرض ومن فيهن وإن من شيء إلا يسبح بحمده ولكن لاتفقهون تسبيحهم إنه كان حليماً غفوراً ﴾ (الإسراء : ٤٤) .

☆ ☆ ☆

روائح ... وحلي ...

لبعض الحيوانات غدد تفرز روائح طيبة استفاد منها الإنسان في حياته وزينتها ، ففي الحبشة يستخرج الزبَّاد من غدده العطرية في بطن قط الزباد أنثاه وذكره ...

والعنبر يتقيؤه حوت العنبر (sperm-whale) في البحر ، فعندما يبتلع الحوت شيئاً لاينهضم فإنه يهيج أمعاءه ، وحتى لايتم ذلك فإنه يحيط ذلك الجسم الغريب بمادة يفرزها ... هي العنبر ...

﴿ الله الذي سخر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ، ولتبتغوا من فضله ، ولعلكم تشكرون ﴾ (الجاثية : ١٢) .

وقال تعالى مقرباً رائحة أصحاب النعيم في يوم القيامة لأذهان عباده ...

﴿ تعرف في وجوههم نضرة النعيم . يسقون من رحيق مختوم ... ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ (المطففين : ٢٤ ـ ٢٦) .

والمسك تفرزه غدد الذكر لغزال المسك Musk deer (Muschus moschiferus) ، في كيس له عند فتحته القلفية ، وعند قبض الأيل الذكر يجمع هذا المسك بعد تجفيفه في الشمس ، أو بتغطيسه في زيت ساخن ، ويوجد غزال المسك في هضبة جبال الهملايا ، والتبت ، وفي صحراء سيبيريا وفي أواسط آسيا ، وفي شمال غرب الصين ، وتستخدم الروائح الحيوانية هذه في تثبيت العطور النباتية ...

ورأينا في « عالم البحار » من قبل كيف يستخرج اللؤلؤ والمرجان من حيوان اللؤلؤ وحيوان المرجان في البحار والأنهار ...

﴿ ومايستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون ﴾ (فاطر : ١٢) .

☆ ☆ ☆

الباب السادس

الحيوان وقصص القرآن

﴿ لقد كان في قصصهم عِبْرة لأولي الألباب ماكان
حديثاً يفترى ولكن تصديق الذي بين يديه
وتفصيل كل شيء وهدىً ورحمةً لقوم يؤمنون ﴾

(يوسف : ١١١)

(أ) أصحاب الفيل

﴿ ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل . ألم يجعل كيدهم في تضليل . وأرسل عليهم طيراً أبابيل[1] . ترميهم بحجارة من سجيل[2] . فجعلهم كعصف مأكول ﴾ (الفيل : ١ ـ ٥) .

لما كان طريق التذكير والدعوة عند الأنبياء يحتاج إلى زاد معنوي عظيم ، وقوة تحمل خاصة ، فقد جاء البيان القرآني يحمل بعضاً من تجارب الأنبياء والرسل ونتائجها ، فيما مضى من الزمان إيناساً لرسول الله ﷺ ولتكون زاداً لدعاة رسالته من بعده ...

وجاءت سورة الفيل تحكي عن قصة أبرهة ملك اليمن ، والذي بنى كنيسة بصنعاء سماها القليس ، وحتى يصرف الناس عن الكعبة لكنيسته أراد هدم بيت الله الحرام ، فسار بجيشه حتى إذا ما وصل ضواحي مكة المكرمة بوادي محسَّر ، جاءته معجزة الطير الأبابيل وحجارتها الثاقبة ، فأهلكتهم وصار كأوراق شجر مأكول ...

قال بعض المفسرين بوجود جراثيم في الحجارة التي استخدمتها الطيور في هجومها مما أدى إلى تفشي المرض بين جيش أبرهة فهلك ، وقد يكون ذلك محاولة فهم لإيجاد المبرر للفعل مع حسن النية ، ولكن ذلك فعل الله ، وقد حدد القرآن الحجارة التي استخدمت بالسجيل ، ومهما كان نوع الحجارة المستخدمة فهي تحمل إرادة الله .. وفيها وضع الهلاك .. والله قادر أن يسحب صفة أو يضيفها

(١) الأبابيل : فِرَقٌ ، وهي جمع لامفرد له .. وطيراً أبابيل : متتابعة متجمعة .

(٢) السجيل : حجارة كالطين اليابس ، وأصلها كلمة فارسية .

لما خلق من مواد ، وقادر على أن يخرق لحظة قوانين الكون ونواميسه المعروفة لعلم البشر ، فيفعل بها مايريد ... فعصاة موسى صارت حية أفسدت مجهودات سحرة فرعون ، وهي تلقف مايأفكون ، والنار فقدت صفة الإحراق وهي تستقبل إبراهيم برداً وسلاماً ، ومياه البحر خرقت قانون الاستطراق للسوائل لحظة بإذن الله ، فخرج موسى وجمعه وهلك فرعون وجنوده غرقاً ، هكذا شأن المعجزات تسير بإرادة موجد الكون وخالقه ، ومع التفكر والبحث من أجل الاستزادة في العلم ، على المؤمن أن يعتقد بما أخبر به القرآن : وهو طير أبابيل بحجارة من سجيل[1] ، صيرت أبرهة الأشرم وجنده كهشيم زرع مأكول ...

(ب) ذئب يوسف

يقول القرآن عن الحوار بين يعقوب والأسباط بشأن يوسف ...

﴿ قال إني ليحزنني أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غافلون . قالوا لئن أكله الذئب ونحن عُصبة إنا إذاً لخاسرون ﴾ (يوسف : ١٣ ـ ١٤) .

وذهب إخوة يوسف به ، ولم يتركوه ومأأكله الذئب ، وإنما ألقي في الجب ، وجاء أخوته أباهم عشية يبكون ، وماكانوا صادقين ..

﴿ قالوا ياأبانا إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متاعنا فأكله الذئب ومأأنت بمؤمن لنا ولو كنا صادقين . وجاؤوا على قميصه بدم كذب قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل والله المستعان على ماتصفون ﴾ (يوسف : ١٧ ـ ١٨) .

---

(١) من قبل استخدمت لتدمير قرى قوم لوط :

﴿ فلما جاء أمرنا جعلنا عاليها سافلها وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود . مسوَّمة عند ربك وماهي من الظالمين ببعيد ﴾ (هود : ٨٢ ـ ٨٣) .

والسجيل هو السجين المذكور في سورة المطففين أبدل النون لاماً .

وكان الذئب بريئاً من تهمة ألحقها به الإنسان ، وبانت الحقيقة لأخوة يوسف لما جاؤوا من البدو لمصر ... فتبين الناس براءة ذئب يوسف ، وصارت مثلاً ... « برئ براءة الذئب من دم ابن يعقوب » .. غير أن بعضاً منهم صار يبحث للذئب عن اسم ، ويدخل في تفاصيل ماهي من أغراض القرآن في شيء . فمثلاً قيل :

إن أبا دحية القاص كان من أكذب الرواة ، وقد قال يوماً في قصصه : كان اسم الذئب الذي أكل يوسف هملاجاً ... قالوا : ولكن يوسف لم يأكله الذئب ... فقال : إذن فهذا اسم الذئب الذي لم يأكل يوسف ...

وكثيراً ماينهمك الناس في الجدل والمساءلات عن القصص القرآني ، ويدخلون في تفاصيل لافائدة منها ، تنسيهم المراد من المثل نفسه ...

(جـ) عصاة موسى

﴿ قال إن كنت جئت بآية فأت بها إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴾ (الأعراف : ١٠٦ ـ ١٠٧) .

هنا موسى يلقي عصاه فإذا هي حية تسعى ...

﴿ قال ألقها ياموسى . فألقاها فإذا هي حية تسعى . قال خذها ولاتخف سنعيدها سيرتها الأولى ﴾ (طه : ١٩ ـ ٢١) .

... موسى يلقي عصاه فإذا هي ثعبان مبين بائن الثعبانية ...

﴿ قال أو لو جئتك بشيء مبين . قال فأت به إن كنت من الصادقين . فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين ﴾ (الشعراء : ٣٠ ـ ٣٢) .

... ثم موسى يلقي عصاه فإذا هي جان نشط[1]...

﴿ فلما أتاها نودي من شاطئ الواد الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن ياموسى إني أنا الله رب العالمين . وأن ألقِ عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ياموسى أقبل ولاتخف إنك من الآمنين ﴾ (القصص : ٣٠ ـ ٣١) .

و﴿ ياموسى إنه أنا الله العزيز الحكيم . وألق عصاك فلما رآها تهتز كأنها جان ولى مدبراً ولم يعقب ياموسى لاتخف إني لايخاف لدي المرسلون ﴾ (النمل : ٩ ـ ١٠)

عصاة موسى ... الحية ، الثعبان ، الجان ... فيها حيوية وخفة ونشاط .. وبالرغم من ضخامتها فهي تهتز كأنها جان مثيرة فزعاً وهلعاً بين سحرة فرعون وجمهرة تابعيه ، فقد لقفت مايأفكون ...

أما الوظيفة التي كان يدركها موسى لعصاه من قبل ، فهي تتمركز في الاتكاء عليها وهو يراقب أغنامه ترعى ، هو يهش[2] بها على غنمه وشياهه ، شأنه معها شأن كل الرعاة ، يتفننون في وضعها على أكتافهم ، أو غرزها في الأرض والاتكاء عليها ، هي أداة الراعي يقذفها ليزجر بها من بعدت من شياهه عنه ، ولجأت لمكان لايريدها أن تقصده ، وهو سجين تعب يومه ، ولم يبق من قواه شيئاً .. إذاً فليقذف بعصاته ، هي تزجر الأغنام ، وليتبعها هو في تؤدة ومهل ... وظيفتها عند موسى ، يهش بها على غنمه ، ويتوكأ عليها ، وفيها مآرب أخرى ...

فأجرى له ربه تجربة لإحدى وظائف عصاه ليكون بها على علم قبل اليوم

---

(١) الجان هو فرخ الحيات ... القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ، عبد الكريم الخطيب ، ص ٦٤ دار الفكر .

(٢) معنى (يهش) : يضرب بها أوراق الشجر لتسقط لأغنامه .

المعهود : وكانت التجربة ، فأوجس خيفة في نفسه موسى ، وأخيراً كان الثبات ، وهزم سحرة فرعون ، فآمنوا واستكبر فرعون وعصى ، فكان من المغرقين ، ولكنه نجي ببدنه[1] ليكون عظة لمن يتعظ ...

(د) ذِبْح الفداء

﴿ فلما بلغ معه السعي قال يابني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ماتؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين . فلما أسلما وتله للجبين . وناديناه أن ياإبراهيم . قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين . إن هذا لهو البلاء المبين . وفديناه بذبح عظيم . وتركنا عليه في الآخرين ﴾

(الصافات : ١٠٢ ـ ١٠٨)

موقف مليء بالإيمان والطاعة والتسليم لرب العالمين من أبينا إبراهيم ، ومن ابنه إسماعيل ... ﴿ فلما أسلما ﴾ ... كاد الأب أن يذبح ابنه فإذا بإرادة الله تأتي الأب بكبش يقوم مقام ابنه ...

عندما قال فِعْلُ سيدنا إبراهيم : ﴿ وعجلت إليك رب لترضى ﴾ ... أجابته عظمة مولاه : ﴿ وفديناه بذبح عظيم ﴾ ... ومضت بذلك سنة نحر الأضحية ... ﴿ فصلِّ لربك وانحر ﴾ ... في كل عام تتبصر أمة الإسلام في حادثة تلخص طبيعة عقيدتها التي تقوم على الاستسلام لله كلية ، والرضا والثقة في إرادته .. وطاعته فيما أمر به من دون تلكؤ ، وبلاتساؤل عن الكيفية والسببية لما وجهت إليه ...

---

(١) يجري التحقيق العلمي من شخصية الفرعون (منتاح) إن يكن هو فرعون موسى .

(هـ) الضأن والمعز

جاء ذكر الأغنام في القرآن الكريم في قضايا التحليل والتحريم والأحكام ... وفي القصص القرآني في قصة سيدنا موسى ، وفي حكم سيدنا سليمان وداوود ، وماقضوا فيه من خصومات قومهم ...

﴿ ثمانية أزواج من الضأن اثنين ومن المَعْزِ اثنين قل آلذكرين حرم أم الأنثيين أمَّا اشتملت عليه أرحام الأنثيين نبئوني بعلمٍ إن كنتم صادقين ﴾ (الأنعام : ١٤٣)

﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظُفُر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو مااختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم وإنا لصادقون ﴾ (الأنعام : ١٤٦) .

وفي قصة موسى وعصاه ...

﴿ وماتلك بيمينك ياموسى . قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهُشُّ بها على غنمي ولي فيها مآرب أخرى ﴾ (طه : ١٧ ـ ١٨) .

وعن حكم داوود وسليمان في الحرث الذي رعته غنم القوم المهملة ليلاً ...

﴿ وداوود وسليمان إذ يحكمان في الحرث إذ نفشت فيه غنم القوم وكنا لحكمهم شاهدين . ففهمناها سليمان وكلاً آتينا حكماً وعلماً وسخرنا مع داود الجبال يسبحن والطير وكنا فاعلين ﴾ (الأنبياء : ٧٨ ـ ٨٩) .

والقصة تقول : بأن رجلين دخلا على سيدنا داود . وادعى صاحب الحقل منهما بأن غنم أخيه لم تبق ولم تذر من حرثه عندما انفلتت ليلاً ونفشت فيه ،

فقضى داود بأن تكون الغنم مقابل الحرث ، وعرف سليمان حكم أبيه من صاحب الغنم فاعترض أباه قائلاً : إن الحكم بغير ماقضيت ...

وقضى سليمان بحكم من عند ربه أُفهمه : قضى بانتفاع كل من الخصمين بما هو لصاحبه إلى أمد حدده بعودة الحرث إلى ماكان عليه يوم أن نفشت فيه الغنم ، فماكان من الأب إلا أن أجاز ابنه وأمضى حكمه ...

يقول الدميري[1] ...

« عن ابن عباس وقتادة والزهري ... أن رجلين دخلا على داود : أحدهما صاحب حرث ، والآخر صاحب غنم ، فقال صاحب الزرع : - إن هذا تفلتت غنمه ليلاً فوقعت في حرثي فأفسدته ولم تبق منه شيئاً ، فأعطاه داود رقاب الغنم بالحرث ، فخرجا من عنده فمرا على سليمان عليه السلام . فقال : كيف قضى بينكما ؟ فأخبراه فقال سليمان : لو وليت أمركما لقضيت بغير هذا ، فدعاه داود فقال له : بحق النبوة والأبوة يابني إلا ماحدثتني بالذي هو أرفق بالطريقتين ؟ فقال سليمان : أدفع الغنم إلى صاحب الحرث ينتفع بدرها ونسلها وصوفها ومنافعها ، وليبذر صاحب الغنم لصاحب الحرث مثل حرثه ، فإذا صار الحرث كهيئته يوم أكل ، دفع إلى أهله وأخذ صاحب الغنم غنمه ، فقال داود القضاء كما قضيت ، وكان عمر سليمان يوم حكم هذا الحكم إحدى عشرة سنة . والنفش : الرعي بالليل ، والهمل : الرعي بالنهار ، وهما الرعي بلاراع ... » ...

وجاء عن الخصمين الذين تسورا محراب سيدنا داوود ...

﴿ وهل أتاك نبأ الخصم إذ تسوروا المحراب . إذ دخلوا على داوود ففزع منهم قالوا لاتخف خصمان بَغَى بعضنا على بعض فاحكم بيننا بالحق ولاتُشْطِطْ واهدنا إلى

---

(١) حياة الحيوان الكبرى ١٢٧ / ٢ .

سواء الصراط . إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفِلْنيها وعزني في الخطاب . قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه وإنَّ كثيراً من الخلطاء ليَبْغي بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ماهم وظَنَّ داوود أنَّما فتناه فاستغفر ربه وخَرَّ راكعاً وأناب ﴾ (ص : ٢١ / ٢٤) .

اعتاد سيدنا داود أن يتفرغ يوماً يصرف فيه شؤون رعيته ويقضي فيه بينهم ، ويخلو لنفسه مردداً مزاميره أناشيد داخل محرابه في يوم آخر ، وبينما هو ساكن إلى نفسه هاله منظر دخول الخصمين تسوراً ، وحتى يطمئن ويهدأ روعه بادراه بأنهما خصمان بَغَى بعضهم على بعض ، وعرض الأول خصومته وهي مطالبة صاحبه بشدة وغلظة وإلحاح بأن يضم نعجته إلى نعاجه ، ولم يتأكد داود من طبيعة خصومة الخصم الآخر وقضى : ﴿ .. قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك إلى نعاجه ﴾ ثم اختفى الخصمان ، فقد كان ذلك ابتلاءً وتبييناً لإحدى طبائع عدالة القضاء ، وهي الاستماع لكل الخصوم قبل إصدار الحكم في الخصومة ...

وعندما استغفر داود ربه ، وخر راكعاً وأناب ... قال ربه :

﴿ فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزُلفى وحُسْنَ مآب ﴾ (ص : ٢٥) .

فهو نبي من أنبيائه المخلصين ...

﴿ وشددنا ملكه وآتيناه الحكمة وفصل الخطاب ﴾ (ص : ٢٠) .

الباب السابع

مواضع يتبادر فيها الحيوان للذهن

بالإضافة إلى الآيات التي ورد فيها أسماء للحيوان تصريحاً يحتوي القرآن على مواضع أخرى يلمس فيها معنى يتبادر للذهن ، أو يفهم من سياق الحديث عن موضوع ارتبط بتصريح صريح لاسم حيوان بعينه في موضع آخر : أي إشارة لمعنى يعلمه ذهن المخاطب ، لذكره سابقاً في مواضع أخرى من القرآن ...

﴿ ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون ﴾[1] (المائدة : ١٠٣) .

روى الزهري عن سعيد بن المسيب قال[2] :

« البحيرة من الإبل يمنع درها للطواغيت (أي يحجر لبنها ويخصص للآلهة ، فلا يطعمها الناس . وكهنة الآلهة هم الذين يأخذونه طبعاً !) .

والسائبة من الإبل كانوا يسيبونها لطواغيتهم . والوصيلة كانت الناقة تبكر بالأنثى ثم تثني بالأنثى فيسمونها الوصيلة : يقولون : وصلت اثنين ليس بينهما ذكر ، فكانوا يذبحونها لطواغيتهم . والحامي : الفحل من الإبل كان يضرب الضراب المعدود (أي يقوم بتلقيح عدد من النوق) فإذا بلغ ذلك يقولون : حمى ظهره ، فيترك فيسمونه الحامي ..

وقال أهل اللغة[3] ...

« البحيرة الناقة التي تشق أذنها ، يقال : ـ بحرت أذن الناقة ، أبحرها بحراً ،

---

(١) الحيوان هنا ذكر بالصفة التي خلعها عليه الجاهليون فهو معروف لديهم .

(٢) في ظلال القرآن تفسير سورة المائدة .

(٣) في ظلال القرآن ـ عن كتاب أحكام القرآن للجصاص ٥٩١ / ٢ طبعة البهية المصرية .

والناقة مبحورة وبحيرة ، إذا شققتها واسعاً ومنها البحر لسعته . وكان أهل الجاهلية يحرمون البحيرة وهي أن تنتج خمسة أبطن يكون آخرها ذكراً ، بحروا أذنها وحرموها وامتنعوا من ركوبها ونحرها ، ولم تطرد عن ماء ، ولم تمنع عن مرعى ، وإذا لقيها ألمعي لايركبها . قالوا : السائبة المخلاة ، وهي المسيبة ، وكانوا في الجاهلية إذا نذر الرجل لقدوم من سفر ، أو برئ من مرض ، أو ماأشبه ذلك ، قال : ـ ناقتي سائبة ، فكانت كالبحيرة في التحريم والتخلية ، فأما الوصيلة : فإن بعض أهل اللغة ذكر أنها الأنثى من الغنم إذا ولدت مع ذكر ، قالوا وصلت أخاها وقال بعضهم : كانت الشاة إذا ولدت أنثى فهي لهم ، وإذا ولدت ذكراً ذبحوه لآلهتهم في زعمهم . وإذا ولدت ذكراً وأنثى قالوا : وصلت أخاها فلم يذبحوه لآلهتهم . وقالوا الحامي الفحل من الإبل إذا نتجت من صلبه عشرة أبطن ، قالوا حمى ظهره فلا يحمل عليه ، ولا يمنع من ماء أو مرعى » ..

﴿ ولاتصعر خدك للناس ولاتمش في الأرض مرحاً إن الله لايحب كل مختال فخور ﴾ (لقمان : ١٨) .

والصعر داء يصيب الإبل فتلوي أعناقها ...

﴿ ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع إلا دعاءً ونداءً صم بكم عمي فهم لايعقلون ﴾ (البقرة : ١٧١) .

ينعق : يصوت بالغنم وهو النعيق والنعاق ، ونعق الراعي بغنمه : أي صاح بها وزجرها .. يقول الأخطل :

فانعق بضأنك ياجرير فإنما منتك نفسك في الخلاء ضلالاً

والآية ترسم الكافرين في ضلالهم بصورة البهائم السارحة ، والتي يصيح بها راعيها وهي لاتفقه للصوت معنى بالرغم من أنها تسمعه وتنظر مصدره ، فهي تسمع

وتنظر ، ولاتفقه ، ولكن الكافرين أضل ... هم لاينتفعون بآذانهم وألسنتهم وأعينهم .. إنهم صم بكم عمي لايعقلون ... وقد قيل : إن المعنى : ـ مثل الذين كفروا في دعائهم آلهتهم وأوثانهم وهي لاتفقه كمثل الناعق بما لايسمع إلا دعاءً ونداءً ... وكانت العرب تحذف إذا دل المعنى على المراد ، فالمثل مضاف للكافرين ، ثم التشبيه بالراعي وتقديره (ومثل واعظ الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لايسمع) فصار المعنى : مثل الذين كفروا فيما يوعظون به كالبهائم التي لاتفقه مايقول الراعي أكثر من الصوت ، فتتضح صورة الكافرين ... « بل[1] قد يصل الموت الأدبي بهؤلاء الجاحدين المذهولين أن تصل صدى الدعوات إلى آذانهم ، فلا يفقهون منها ـ على شدة وضوحها ـ إلا ماتفقه القطعان عندما يصفر لها الراعي لتشرب أو لتسير ... » ...

﴿ إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المُحْتَظِر ﴾ (القمر :٣١) .

والمحتظر : هو صانع الحظيرة .. والهشيم : هو ماتبقى من عشب ناشف ، وأعواد صغيرة جافة مفتتة مختلطة بزبالة الحظيرة ، ومايراد من معنى في الآية هو أن الصيحة قد صيرتهم هشيماً كهشيم المحتظر . وقال السدي : ـ المحتظر : هو المرعى بالصحراء حين ييبس ويحترق وتسفيه الريح ...

ويقول القرآن ...

﴿ عتل بعد ذلك زنيم . أن كان ذا مال وبنين . إذ تتلى عليه آياتنا قال أساطير الأولين . سنسمه على الخرطوم ﴾ (القلم : ١٣ ـ ١٦) .

والخرطوم هو أنف الخنزير البري ... والعرب تكني بالأنف عن الأنفة ،

---

(١) مع الله . محمد الغزالي ص ٩٨ ط / ٣ دار الكتب الحديثة .

فتقول : ـ أنف أشم ، وأنف في الرغام : إشارة للعزيز والذليل . وتقول : ورم أنفه وحمي أنفه إشارة للافتراء ...

والآية تتحدث عن الوليد بن المغيرة وكان يعيش في مجتمعه معززاً ، وتريد الآية إذلاله ، فوصف أنفه بخرطوم الخنزير البري وبه وسم يماثل وسم العبيد عندهم حينها ، واستخدم التعبير القرآني حاسة النظر ليكمل صورة المعنى الذهني لاذلال الوليد حين صوره في أرذل حيوان مستحقر لديهم .. تقول أمثالهم : ـ أقبح من خنزير ... وأطيش من عضر[1] ..

ويقول تعالى في وصف طعام أهل النار في الجحيم ، ومنه شجرة الزقوم .. وهي الشجرة الملعونة في القرآن ...

﴿ إنها شجرة تخرج في أصل الجحيم . طلعها كأنه رؤوس الشياطين ﴾

(الصافات : ٦٤ ـ ٦٥)

وقد كانت العرب تسمي الحية شيطاناً .. وهم يعيشون في الصحراء ، عرفوا وأدركوا لدغات الحيات ولسعات العقارب ومالها من ألم ...

قال أحدهم يصف ناقته ...

تلاعب متني حضرميٍّ كأنه تعمج شيطان بذي خروع قفرِ

أي تلاعب رسناً لها أملس كأنه حية تتلوى في رملة قفراء ...

..وفي فقه اللغة وسر العربية[2] ...

« الحباب والشيطان الحية الخبيثة والثعبان هو العظيم منها »

---

(١) العضر هو ولد الخنزير وهو أيضاً الشيطان والعقرب .

(٢) للإمام أبي منصور الثعالبي النيسابوري ص ١٦٢ ـ دار الباز بمكة المكرمة .

.. وجاء في دائرة المعارف للبستاني[1] ...

« قال الفراء : فيه من العربية ثلاثة أوجه : أحدها أنه يشبه طلعها في قبحه برؤوس الشياطين ، لأنها موصوفة بالقبح ، والثانية أن العرب تسمي بعض الحيات شيطاناً ، وهو ذو العرف القبيح الوجه ، والثالثة أنه نبت قبيح يسمى رؤوس الشياطين » .

وصورة الشيطان القبيحة المفزعة راسخة في نفسية العربي المخاطب ، ومنها استقى القرآن الكريم تشبيهه في الوعد والإيعاد ، فذلك منظر يهول العربي ويفزعه ويخيفه ، وبالمثل غيره من النفوس البشرية .. تقول أمثالهم : ـ « لهو أقبح من الشيطان » وكانت العرب تسمي كل مايعظم في نفوسهم شيطاناً ، ويشبهون بالشيطان للتهويل بالرغم من أنهم لم يروه ، ولكن طباعهم تستقبحه ، وتجعلها صورته المطبوعة في نفوسهم ، تنفر منه وتخافه ...

قال ابن عباس رضي الله عنهما :

« كان لأهل مكة جبال قبيحة المنظر ، وكانوا يسمونها رؤوس الشياطين ، فشبه لهم شجر الزقوم في المنظر بتلك الجبال » ..

ويقول القرآن ...

﴿ وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاءً وتصدية فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ﴾ (الأنفال : ٣٥) .

مكأ الطير مكاءً صفر ... والآية تقول : إن مايفعلون في صلاتهم جارٍ منهم مجرى مكاء الطير في قلة الغناء[2] ...

---

(١) ٦٦٠ ، ٦٦١ / ١٠ مادة الشيطان ...

(٢) المفردات في غريب القرآن ـ أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني ...

وعن الأضحية يقول القرآن :

﴿ إنا أعطيناك الكوثر . فصل لربك وانحر . إن شانئك هو الأبتر ﴾

(الكوثر : ١ : ٣)

وجاء في وصف نعيم أهل الجنة ..

﴿ يسقون من رحيق مختوم . ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون ﴾ (المطففين ٢٥ ـ ٢٦) .

والمسك : الرائحة المثالية للذكور ، يفرز من غدد خاصة تجاور الأعضاء التناسلية لذكور غزلان المسك (ظباء المسك) البالغة ..

﴿ وعندهم قاصرات الطرف عين . كأنهن بيض مكنون ﴾[1]

(الصافات : ٤٨ ، ٤٩)

يقول تعالى ...

﴿ والأرض بعد ذلك دحاها ﴾ (النازعات : ٣٠)

والدحية : هي البيضة .. وعندما يوجد البيض في مكان أمين ، يقال عنه ، إنه بيض مكنون ...

وقال تعالى ...

﴿ فلا أقسم بالخنس . الجواري الكنس ﴾ (التكوير : ١٥ ، ١٦)

والكناس : هو مكن الظباء ، وقيل : إن الجواري الكنس : هي النجوم ، أو بقر الوحش وظباؤه ..

كما أن معنى الحيوان يتبادر إلى الذهن عندما تتحدث الآيات عن المرعى ،

---

(١) روى الشافعي عن سفيان بن عيينة عن عبد الله بن أبي يزيد عن سباع بن ثابت عن أم كرز قالت : ـ أتيت النبي (ﷺ) فسمعته يقول : « أقروا الطير على مكناتها ، وفي رواية : في وكناتها » ..

والرعي والرعاء ، وفعل الأمر : ارعوا .. وعند الأفعال نسقي ، ويسقون ، وسقى ، وسقيت ..

قال تعالى ...

﴿ والذي أخرج المرعى . فجعله غثاءً أحوى ﴾ (الأعلى : ٤ ، ٥)

﴿ والأرض بعد ذلك دحاها . أخرج منها ماءها ومرعاها ﴾

(النازعات : ٣٠ ، ٣١)

﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾ (طه : ٥٣ ، ٥٤) .

﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم امرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لا نسقي حتى يصدر الرعاء وأبونا شيخ كبير . فسقى لهما ثم تولى إلى الظل فقال رب إني لما أنزلت إلي من خير فقير . فجاءته إحداهما تمشي على استحياء قالت إن أبي يدعوك ليجزيك أجر ماسقيت لنا فلما جاءه وقص عليه القصص قال لاتخف نجوت من القوم الظالمين ﴾

(القصص : ٢٣ ، ٢٥)

ويقول تعالى ..

﴿ والأرض وضعها للأنام ﴾ (الرحمن : ١٠)

والأنام : هو ماعلى ظهر الأرض من جميع الخلق ومنها الحيوان .

ويقول ناهياً عن قتل صيد البر للمحرم بحج أو عمرة ...

﴿ ومن قتله منكم متعمداً فجزاء مثل ما قتل من النَّعَم ﴾ (المائدة : ٩٥)

وفي وصف ما يسبق قيام الساعة من هول واضطراب يقول القرآن : ..

﴿ يوم تكون السماء كالمهل . وتكون الجبال كالعهن ﴾ (المعارج : ٨ ، ٩)

﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ (القارعة : ٤ ، ٥)

وقد استخدم التعبير القرآني كلمة العهن للدقة في تصوير هشاشة الجبال يومئذٍ ، ولا يقال : عهن إلا إذا كان مصبوغاً وإلا فهو صوف[1] ..

ويطوف الخيال بصورة الحمار عندما يتحدث القرآن عن صوت النار وهي تستقبل أهلها من الكفار ... وعند سماع كلمة شهيق وهو نهيق الحمار ، وعند الفراء أن الزفير هو أول صوت الحمار ، والشهيق آخره ، وبذلك يقول المنجد في اللغة العربية ...

﴿ فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق ﴾ (هود : ١٠٦)

﴿ إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور ﴾ (الملك : ٧)

﴿ لهم فيها زفير وهم فيها لا يسمعون ﴾ (الأنبياء : ١٠٠)

﴿ إذا رأتهم من مكانٍ بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً ﴾ (الفرقان : ١٢)

وهنالك كلمات ارتبطت في أذن السامع بالحيوان : كالبدو ، والأعراب .. بحكم ما يغلب من مهنة وعمل في حياتهم

جاء في سورة يوسف .. ﴿ ورفع أبويه على العرش وخروا له سجداً وقال يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً وقد أحسن بي إذ أخرجني من السجن وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي إن ربي لطيف لما يشاء إنه هو العليم الحكيم ﴾ (يوسف : ١٠٠) .

---

(١) فقه اللغة العربية ، للنيسابوري ص ١٦ .

وعن الأعراب ...

﴿ وجاء المَعذِّرون من الأعراب ليؤذن لهم وقعد الذين كذبوا الله ورسوله سيصيب الذين كفروا منهم عذاب أليم ﴾ (التوبة : ٩٠) .

﴿ الأعراب أشد كفراً ونفاقاً وأجدر ألا يعلموا حدود ما أنزل الله على رسوله والله عليم حكيم . ومن الأعراب من يتخذ ما ينفق مَغْرماً ويتربص بكم الدوائر عليهم دائرة السَّوْءِ والله سميع عليم . ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ويتخذ ما ينفق قُرُبات عند الله وصلوات الرسول ألا إنها قُرْبة لهم سيدخلهم الله في رحمته إن الله غفور رحيم ﴾ (التوبة : ٩٧ ، ٩٩) .

﴿ وممن حولكم من الأعراب منافقون ومن أهل المدينة مَرَدوا على النفاق لا تعلمهم نحن نعلمهم سنعذبهم مرتين ثم يُرَدُّون إلى عذاب أليم ﴾ (التوبة : ١٠١) .

﴿ ما كان لأهل المدينة ومن حولهم من الأعراب أن يتخلفوا عن رسول الله ولا يَرْغبُوا بأنفسهم عن نفسه ذلك بأنهم لا يصيبهم ظمأ ولا نَصَبٌ ولا مَخْمصة في سبيل الله ولا يطؤون موطئاً يغيظ الكفار ولا ينالون من عدو نيلاً إلا كتب لهم به عمل صالح إن الله لا يضيع أجر المحسنين ﴾ (التوبة : ١٢٠) .

﴿ يحسبون الأحزاب لم يذهبوا وإن يأت الأحزاب يودوا لو أنهم بادون في الأعراب يسألون عن أنبائكم ولو كانوا فيكم ما قاتلوا إلا قليلاً ﴾ (الأحزاب : ٢٠) .

﴿ سيقول لك المخلفون من الأعراب شغلتنا أموالنا وأهلونا فاستغفر لنا يقولون بألسنتهم ما ليس في قلوبهم قل فمن يملك لكم من الله شيئاً إن أراد بكم ضراً أو أراد بكم نفعاً بل كان الله بما تعملون خبيراً ﴾ (الفتح : ١١) .

﴿ قل للمخلفين من الأعراب ستدعون إلى قومٍ أولي بأس شديد تقاتلونهم

أويسلمون فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً وإن تتولوا كما توليتم من قبل يعذبكم عذاباً أليماً ﴾ (الفتح : ١٦) .

﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم وإن تطيعوا الله ورسوله لا يَلِتْكُم من أعمالكم شيئاً إن الله غفور رحيم ﴾ (الحجرات : ١٤)

ومما عرف من معان للذرة نجد معنى خفيفاً للحيوان في الآيات التي ذكرت فيها . قال ابن عباس : « الذرة رأس النملة » ... وقيل إن الذَرَّ : هو أجزاء الهباء المنتشر في الهواء ويظهر عند الكوة ، والمراد جزء متناه في الصغر ، وكل جزء منها ذرة ، ولايكون له وزن محسوس ، وقيل : إن الذرة هي صغار النمل ، والله أعلم بمراده ...

﴿ إن الله لايظلم مثقال ذرة وإن تك حسنة يضاعفها ويؤت من لدنه أجراً عظيماً ﴾ (النساء : ٤٠) .

﴿ وماتكون في شأن وماتتلوا منه من قرآن ولاتعملون من عمل إلا كنا عليكم شهوداً إذ تفيضون فيه ومايَعْزُبُ عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولافي السماء ولاأصغر من ذلك ولاأكبر إلا في كتاب مبين ﴾ (يونس : ٦١) .

﴿ وقال الذين كفروا لاتأتينا الساعة قل بلى وربي لتأتينكم عالم الغيب لايعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولافي الأرض ولاأصغر من ذلك ولاأكبر إلا في كتاب مبين ﴾ (سبأ : ٣) .

﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لايملكون مثقال ذرة في السموات ولافي الأرض ومالهم فيهما من شِرْكٍ وماله منهم من ظهير ﴾ (سبأ : ٢٢) .

﴿ يومئذ يصدر الناس أشتاتاً ليروا أعمالهم . فمن يعمل مثقال ذرة خيراً يره . ومن يعمل مثقال ذرة شراً يره ﴾ (الزلزلة : ٦ ـ ٨) .

وعندما يذكر « السبت »[١] يطل على الأفق أصحاب القرية الساحلية وحيتانهم ، ومصيرهم قردة وخنازير ...

﴿ ياأيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقاً لما معكم من قبل أن نطمس وجوهاً فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولاً ﴾ (النساء : ٤٧) .

﴿ ورفعنا فوقهم الطور بميثاقهم وقلنا لهم أدخلوا الباب سجداً وقلنا لهم لاتعدوا في السبت وأخذنا منهم ميثاقاً غليظاً ﴾ (النساء : ١٥٤) .

﴿ إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه وإن ربك ليحكم بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ﴾ (النحل : ١٢٤) .

وكثيراً مايرجع الذهن للتبصر في الحيوان عند آيات الرزق والطعام والشراب ، والحلال والحرام ...

﴿ قل أرأيتم ماأنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حلالاً وحراماً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ (يونس : ٥٩) .

﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (النحل : ١١٨) .

﴿ ومصدقاً لما بين يَدَيَّ من التوراة ولأحل لكم بعض الذي حرم عليكم وجئتكم بآية من ربكم فاتقوا الله وأطيعون ﴾ (آل عمران : ٥٠) .

---

(١) والسبت عند اليهود هو يوم راحتهم ... وقد أخذت كلمة السبت من فعل في اللغة العبرية يعني الارتياح ...

﴿ هو الذي جعل لكم الأرض ذلولاً فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾ (الملك : ١٥) .

﴿ وقال الملأ من قومه الذين كفروا وكذبوا بلقاء الآخرة وأترفناهم في الحياة الدنيا ماهذا إلا بشر مثلكم يأكل مما تأكلون منه ويشرب مما تشربون ﴾ (المؤمنون : ٣٣)

ويقول تعالى ...

﴿ كل الطعام كان حلاً لبني إسرائيل إلا ماحرم إسرائيل على نفسه من قبل أن تنزل التوراة قل فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين ﴾ (آل عمران : ٩٣) .

قال ابن عباس : ...[١]

« لما أصاب يعقوب عليه السلام عرق النساء ، وصف له الأطباء أن يتجنب لحوم الإبل فحرمها على نفسه وحرم العروق ... فقالت اليهود : إنا نحرم على أنفسنا لحوم الإبل ، لأن يعقوب حرمها ، وأنزل الله تحريمها في التوراة ، وقد جاؤوا إلى رسول الله ﷺ يختبرونه في ذلك فكذبهم الله ورد عليهم وتحداهم بالإتيان بالتوراة وتلاوتها ولم يستطيعوا وكابروا وافتروا ﴿ فمن افترى على الله الكذب من بعد ذلك فأولئك هم الظالمون ﴾ (آل عمران : ٩٤) .

﴿ ولاتقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لايفلحون . متاع قليل ولهم عذاب أليم . وعلى الذين هادوا حرمنا ماقصصنا عليك من قبل[٢] وماظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون ﴾ (النحل : ١١٦ ـ ١١٨) .

---

(١) فيما رواه الترمذي وسار عليه المفسرون وخاصة الطبري ، والقرطبي ...

(٢) آية ﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ﴾ ... (٦ : ١٤٦) .

كما يفهم تناسل الحيوان ضمنياً في آيات الخلق وذلك لوحدة الخلايا الحية وصنع الخالق ، يقول القرآن :

﴿ وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى . من نطفة إذا تمنى ﴾ (النجم : ٤٥ ـ ٤٦) .

﴿ أولم ير الذين كفروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حي أفلا يؤمنون ﴾ (الأنبياء : ٣٠) .

وتحضر صورة الحيوان أيضاً عندما يسجل القرآن مفهوم التزاوج في عمومية أكثر ...

﴿ سبحان الذي خلق الأزواج كلها مما تنبت الأرض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون ﴾ (يس : ٣٦) .

ولعل الحيوان كان من ضمن ماحتوته سفينة سيدنا نوح من أزواج ...

﴿ حتى إذا جاء أمرنا وفار التَّنُّور قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن ومآمن معه إلا قليل ﴾ (هود : ٤٠) .

﴿ وأوحينا إليه أن اصنع الفلك بأعيننا ووحينا فإذا جاء أمرنا وفار التَّنُّور فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولاتخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون ﴾ (المؤمنون : ٢٧) .

كما يدخل الحيوان ضمن الذكر والأنثى وطريقة تكاثرهما عندما يذكرا صراحة ...

﴿ الله يعلم ماتحمل كل أنثى وماتغيض الأرحام وماتزداد وكل شيء عنده بمقدار ﴾ (الرعد : ٨) .

﴿ إليه يرد علم الساعة وماتَخْرُجُ من ثمرات من أكمامها وما تحمل من أنثى

ولاتضع إلا بعلمه ويوم يناديهم أين شركائي قالوا آذَنَّاك مامنا من شهيد ﴾

(فصلت : ٤٧)

﴿ والليل إذا يغشى . والنهار إذا تجلى . وماخلق الذكر والأنثى ﴾

(الليل : ١ ـ ٣)

وقد اتخذ العرب فرشهم وبسطهم وخيامهم من أصواف وأوبار دوابهم ، ومن جلودها ، ومنها أيضاً اتخذوا بعضاً من ملابسهم ، فلابد من أن يتبادر الحيوان للذهن عندما يتحدث القرآن عن أنعم الله عليهم في دنياهم ، وعندما يصف لهم نعيم الجنة ، وماسيجدون من بسط وفُرُش ارتبطت في أذهانهم بحكم عادة الاستعمال ، وأثر البيئة بمنافع الحيوان ...

﴿ يا بني آدم قد أنزلنا عليكم لباساً يواري سوآتكم وريشاً ولباس التقوى ذلك خير ذلك من آيات الله لعلهم يذكرون ﴾ (الأعراف : ٢٦) .

﴿ فيها سُرُرٌ مرفوعة . وأكواب موضوعة . ونمارق مصفوفة . وزرابيُّ مبثوثة ﴾ (الغاشية : ١٣ ـ ١٦) .

﴿ وفرش مرفوعة ﴾ (الواقعة : ٣٤) .

﴿ متكئين على رَفْرَفٍ خُضْرٍ وعبقريٍّ حسان ﴾ (الرحمن : ٧٦) .

﴿ متكئين على فُرُشٍ بطائنها من إستبرق وجنى الجنتين دان ﴾ (الرحمن : ٥٤) .

﴿ حورٌ مقصورات في الخيام ﴾ (الرحمن : ٧٢) .

وقد ورد الحيوان ضمن آيات بني إسرائيل التسع[1]، كما اقترن الحيوان عند الناس بآية الإسراء (البراق) من دون أن تذكره الآية القرآنية ...

---

(١) هي : العصا ، واليد ، والجراد ، والقمل ، والضفادع ، والطوفان ، والدم ، والحجر ، والطمس .

﴿ سبحان الذي أسرى بعبده ليلاً من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى الذي باركنا حوله لنريه من آياتنا إنه هو السميع البصير ﴾ (الإسراء : ١) .

جاء في تفسير الجلالين ... قال ﷺ : « أتيت بالبراق وهو دابة أبيض فوق الحمار ودون البغل يضع حافره عند منتهى طرفه ، فركبته فسار بي حتى أتيت بيت المقدس ... » .

ويتبادر الحيوان للذهن عند ذكر لفظ سورة[١]...

يقول تفسير ابن كثير[٢]...

(« فصل » واختلف في معنى السورة مم هي مشتقة ؟ فقيل : من الإبانة والارتفاع . قال النابغة :

ألم تر أن الله أعطاك سورة ترى كل ملك دونها يتذبذب

فكأن القارئ ينتقل بها من منزلة إلى منزلة ... وقيل : لشرفها وارتفاعها كسور البلدان . وقد سميت سورة لكونها قطعة من القرآن وجزءاً منه : مأخوذ من أسأر الإناء : وهو البقية . وعلى هذا فيكون أصلها مهموزاً . وإنما خففت الهمزة فأبدلت الهمزة واواً لانضمام ماقبلها . وقيل : لتمامها وكمالها لأن العرب يسمون الناقة التامة سورة ـ « قلت : ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها ، كما يسمى سور البلد لإحاطته بمنازله ودوره ») .

وجاء في كتاب علوم القرآن[٣]...

---

(١) وردت في الآيات : البقرة ٢٣ ، والتوبة ٦٤ ، ٨٦ ، ١٢٤ ، ١٢٧ ، ويونس ٣٨ ، والنور ١ ، ومحمد ٢٠ ، وهود ١٣ ...

(٢) تفسير ابن كثير ١٤ / ١ .

(٣) أحمد عادل كمال ص (٧٧ ، ٧٨) ط / ٣ ، ١٩٦٨ دار الإرشاد بيروت ...

« ١ ـ يقال لما ارتفع من الأرض سور فسميت السورة سورة لشرفها وارتفاع قدرها .

٢ ـ لأن قارئها يشرف على مالم يكن عنده .

٣ ـ سؤرة : القطعة التي أفضلت من القرآن عما سواها ... سؤر كل شيء النفثة منه تبقى بعد الذي يؤخذ منه ، ولذلك سمي مايتبقى في الإناء بعد الشرب سؤراً ، ثم خففت الهمزة فأبدلت واواً فصارت سورة .

٤ ـ وقيل : لكمالها وتمامها من قول العرب للناقة التامة سورة[1] » ...

☆ ☆ ☆

(١) السور : كرام الإبل ـ يقال : عنده سور من الإبل ـ أي طائفة من كرامها (المنجد في اللغة والأعلام) .

الباب الثامن
الحلال والحرام

عن سلمان الفارسي ...

سئل رسول الله (ﷺ) عن الجبن والسمن والفراء فقال : ـ

« الحلال ما أحل الله في كتابه ، والحرام ما حرم الله في كتابه ، وما سكت عنه فهو مما عفا لكم »

رواه الترمذي وابن ماجه

للحيوان مدخل يتسع في معتقدات الإنسان ، وحياته الدينية ... فمنه : ذبائحه وقرابينه وهديه وضحاياه ، ومنه صيده وغذاؤه ، وفي مأكل ومشرب الإنسان ، وغذائه يدخل الحلال والحرام ، مما يؤكل ومالا يؤكل ..

يقسم توراة اليهود الحيوانات إلى قسمين : ويفرق بين حيوان نظيف يؤكل لحمه ، وبين آخر قذر يحرم أكله ، والحيوانات النظيفة في توراتهم : هي المجترات[1] ذات الحافر المشقوق ، هما شرطان لابد للحيوان أن يستوفيهما حتى يكون نظيفاً حلال اللحم ، وما يستوفي منهما شرطاً واحداً يكون قذراً . فالأبقار والضأن نظيفة ، والخنزير قذر ، فهو مشقوق الظلف ، ولكنه لا يجتر .. والجمل يجتر ، ولكنه غير نظيف ، فهو ليس بمشقوق الظلف ، ويمنع التوراة أكل الحشرات ذات الأجنحة ، والزواحف ومثلها : الفئران وبعض الطيور ، ويسمح بأكل الأسماك وزعانفها ـ القشر وليس المحار ـ ، كما أنه يحرم الميت بموت طبيعي أو بمرض ، ويحرم الدم .. ويمنع استخدام الشحوم الداخلية للحيوانات في الآكل ، كما أنه يمنع استخدام الصابون والبدرة التي تحتوي على تلك الشحوم في الغسيل ..

ففي « لاويين ١١ » نجد الحديث عن القرابين والذبائح وما يأكل اليهود وما يحرم عليهم ..

---

(١) المجترات لا تمضغ الطعام وإنما تبلعه كما هو وتخزنه في الكرش (الغرفة الأولى) ثم يمر للغرفة الثانية ، ومنها للفم ليمضغ ثم يبلع ثانية فيمر للمعدةللغرفة الثالثة والرابعة (المعدة الحقيقية) ليبدأ هضمه الحقيقي ومنها يمر للأمعاء الدقيقة لامتصاصه .

« .. وإن كان قربانه من الغنم .. يقرب من ذبيحة السلامة : شحمها وقوداً للرب ... الإلية الصحيحة عند العصعص ، ينزعها ، والشحم الذي يغشى الأحشاء ... ينزعها ، ويوقدها الكاهن على المذبح طعام وقود للرب ...

وإن كان قربانه من المعز .. ويقرب منه قربانه وقوداً للرب ، الشحم الذي يغشى الأحشاء والكليتين والشحم الذي عليها الذي على الخاصرتين ، وزيادة الكبد مع الكليتين ينزعها ، ويوقدهن الكاهن على المذبح طعام وقود لرائحة سرور .. كل الشحم للرب فريضة وهدية من أجيالكم في جميع مساكنكم ، لا تأكلوا شيئاً من الشحم ولامن الدم » ...

« وكلم الرب موسى وهارون قائلاً لهما : كلِّما بني إسرائيل قائلين هذه هي الحيوانات التي تأكلونها من جميع البهائم التي على الأرض .. كل ماشق ظلفاً وقسم ظلفين ، ويجتر من البهائم فإياه تأكلون ، إلا هذه فلا تأكلوها مما يجتر ومما يشق الظلف : الجمل لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم ، والوبر لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم ، والأرنب لأنه يجتر لكنه لا يشق ظلفاً فهو نجس لكم ، والخنزير لأنه يشق ظلفاً ويقسمه ظلفين لكنه لا يجتر ، فهو نجس لكم ... من لحمها لا تأكلوا ، وجثثها لاتلمسوا ، إنها نجسة لكم ...

وهذه تأكلونها من جميع مافي المياه : كل ماله زعانف ، وحرشف في المياه في البحار ، وفي الأنهار فإياه تأكلون ، لكن ماليس له زعانف وحرشف في البحار وفي الأنهار من كل دبيب في المياه ... ومن كل نفس حية في المياه .. فهو مكروه لكم ، ومكروه يكون لكم .. من لحمه لا تأكلوا ، وجثثه تكرهون ، كل ماليس له زعانف وحرشف في المياه فهو مكروه لكم ..

وهذه تكرهونها من الطيور .. لا تؤكل .. إنها مكروهة .. ، النسر والأنوق والعقاب والحدأة والباشق على أجناسه ، وكل غراب على أجناسه ، والنعامة

والظليم والسأف والباز على أجناسه ، والبوم والغواص والكركي والبجع ... » (لاويين ١١) .

ويقول القرآن عما حرم على اليهود ...

﴿ وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومها إلا ماحملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزيناهم ببغيهم[1] وإنا لصادقون ﴾ (الأنعام : ١٤٦) .

فقد حرم عليهم أكل لحم كل ذي ظفر ، وكذلك شحم البقر والغنم إلا شحم الظهر أو شحماً التف حول الأمعاء ، أو ما اختلط منه بعظم ، وقد كان كل ذلك مباحاً لجدهم يعقوب ، فبغوا فشدد الله عليهم ...

وتحرم كتب النصارى كذلك أكل الميتة والدم ولحم ما قرب للأوثان . يقول دكريتو الرسول (A POSTEL DEKRET) ...

« بل يرسل إليهم أن يمتنعوا عن نجاسات الأصنام والزنا ، والمخنوق والدم ... أن تمتنعوا عما ذبح للأصنام وعن الدم والمخنوق والزنا التي حفظتم أنفسكم منها فنعما تفعلون ...[2] » ...

وقد كان قانون الكنيسة الرومانية الكاثوليكية يمنع أتباعها من أكل اللحوم في أيام الجمع ، ولكن أوقف ذلك التحريم بعد عقد المؤتمر الكاثوليكي عام ١٩٦٦ م بالولايات المتحدة الأمريكية ، وحدد لتحريم أكل اللحوم فقط أيام الجمع من أيام

---

(١) ﴿ قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق فجعلتم منه حراماً وحلالاً قل آلله أذن لكم أم على الله تفترون ﴾ (يونس : ٥٩)

﴿ فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيراً ﴾ (النساء : ٦٠) .

(٢) أعمال ١٥ ..

صيامهم السنوي[1] ، أما أقباط الحبشة فيحرمون اللحوم والمنتجات الحيوانية في كل أيام صيامهم ، والتي تزيد عن المائتي يوم في السنة ، غير أنهم استثنوا الأسماك فحرموها لثمانية وخمسين يوماً فقط ، منها ثلاثة أيام هي عندهم أيام يونان : أي ذي النون ، والذي تذكر التوراة بأن الحوت قد ابتلعه لمدة ثلاثة أيام ...

والنصارى يبيحون كل الأطعمة ، إلا ما ذبح للأصنام .. من أقوالهم :

« إن كل شيء طاهر للطاهرين ، وإن ما يدخل الفم لا ينجسه وإنما ينجسه ما يخرج منه .. » ..

والهندوس يحرمون أكل لحوم الأبقار ، فهم يؤمنون بفكرة وحدة الحياة مع تعدد مظاهرها ، لذا فهم يحترمون الحيوان ويعطفون عليه ، ومنه ما يقدسونه ...

فهم يتشددون في اختيار طعامهم وخاصة تلك الطبقة من البرهمانية[2] ، والتي يعتقد بتفوقها الاجتماعي ، والوراثي في الطهر والروحانية ، وهي طبقة مغلقة تعرف بالبراهمة (BRAHMINS CASTE) .. فالهندوس الأرثوذكس لا يأكلون اللحوم والبيض ، ولكن يمكن لغيرهم أكل اللحوم من غير الأبقار ، وبالرغم من أن الديانة الهندوسية لا تمنع أكل لحوم الخنازير والدجاج ، إلا أنهم ينفرون منها اجتماعياً ، لكونها من الحيوانات التي تقتات بالقمامة ، فلا يأكلونها ، وليس اللحم فقط (وخاصة لحوم الأبقار) هي الممنوع « TABOO » من الطعام لدى الهندوس الأرثوذكس ، بل إن قائمة الطعام عندهم تمنع الطبقة العليا منهم (البراهمة) من أكل الدجاج والبصل واللفت والفطريات ، ولحم الخنزير المملوح (SALTED PORK) .

---

(١) المسيحية تصوم على أكل الحيوانات ومشتقاتها بالصوم لمدة ٤٠ ـ ٩٠ يوماً .

(٢) النظام الديني والاجتماعي الهندوسي .

ونسبة لما للون الطماطم والعدس من علاقة بلون الدم الأحمر فإن طبقة البراهمة لا تأكلها أيضاً[1] .

وللجاهليين في الجزيرة العربية عاداتهم في استخدام الحيوان في الحمل والذبائح والأكل ... وجاء بذلك القرآن قائلاً ...

﴿ وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لايطعمها إلا من نشاء بزعمهم وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لايذكرون اسم الله عليها افتراءً عليه سيجزيهم بما كانوا يفترون . وقالوا مافي بطون هذه الأنعام خالصة لذكورنا ومحرم على أزواجنا وإن يكن ميتة فهم فيه شركاء سيجزيهم وصفهم إنه حكيم عليم . قد خسر الذين قتلوا أولادهم سفهاً بغير علم وحرموا مارزقهم الله افتراءً على الله قد ضلوا وما كانوا مهتدين ﴾ (الأنعام : ١٣٨ ـ ١٤٠) .

﴿ وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً فقالوا هذا لله بزعمهم وهذا لشركائنا فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله وما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء مايحكمون ﴾ (الأنعام : ١٣٦) .

﴿ ماجعل الله من بحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولاحامٍ ولكن الذين كفروا يفترون على الله الكذب وأكثرهم لايعقلون ﴾ (المائدة : ١٠٣) .

اعتاد الجاهليون أن يتركوا البحيرة ، وهي الناقة مشقوقة الأذن ، لآلهتهم ... فهي لاتنحر ولايحمل عليها ولاتطرد من ماء أو مرعى ، ولاتكون الناقة عندهم بحيرة إلا إذا ولدت خمسة أبطن وكان آخرها ذكراً ، وهناك نياق تنال امتياز البحيرة ولكنها سائبة ، وهي الناقة يسيبها صاحبها القادم من سفر طال ، أو برأ من سقم ، فناقته سائبة ، وإذا ولدت شاة الجاهلي أنثى فهي له ...

---

(١) FOOD AND MAN, MIRIAME ET AL. 2 end ADDITION. 5 - FOOD MAN AND RELIGION PAGE. 194.

وإذا ولدت ذكراً فهو لآلهته ، أما إذا ولدت ذكراً وأنثى فيقولون : إن التوأم الأنثى قد وصلت أخاها ، فهي وصيلة ، فلا يذبح التوأم الذكر للآلهة ... ويكون الفحل حامياً لظهره إذا لقح ولد ولده ، فهو حام ، فلا يذبح ولا يركب ولا يحمل عليه ...

وجاء القرآن ... ليخاطب المؤمنين مبيناً لهم الحلال والحرام من الأطعمة والذبائح ...

﴿ ياأيها الذين آمنوا أوفوا بالعقود أحلت لكم بهيمة الأنعام إلا مايتلى عليكم غير محلي الصيد وأنتم حرم إن الله يحكم مايريد . ياأيها الذين آمنوا لاتُحِلُّوا شعائر الله ولاالشهر الحرام ولاالهدي ولاالقلائد ولاآمين البيت الحرام يبتغون فضلاً من ربهم ورضواناً وإذا حللتم فاصطادوا ولا يَجْرِمَنَّكُم شَنَآنُ قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعاونوا على البر والتقوى ولاتعاونوا على الإثم والعدوان واتقوا الله إن الله شديد العقاب . حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وما أكل السَبُعُ إلا ماذكيتم وما ذبح على النُّصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فِسْقٌ اليوم يئس الذين كفروا من دينكم فلا تخشوهم واخشون اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً ، فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم . يسألونك ماذا أحل لهم قل أحل لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح مكلبين تعلمونهن مما علمكم الله فكلوا مما أمسكن عليكم واذكروا اسم الله عليه واتقوا الله إن الله سريع الحساب . اليوم أُحلَّ لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم والمحصنات من المؤمنات والمحصنات من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم إذا آتيتموهن أجورهن محصنين غير مسافحين ولامتخذي أخدان ومن يكفر بالإيمان فقد حَبِطَ عمله وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ (المائدة : ١ ـ ٥) .

﴿ قل لاأجد فيما أوحي إلي محرماً على طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أولحم خنزير فإنه رجس أو فِسْقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغٍ ولاعادٍ فإن ربك غفور رحيم ﴾ (الأنعام : ١٤٥) .

﴿ فكلوا مما رزقكم الله حلالاً طيباً واشكروا نعمة الله إن كنتم إياه تعبدون . إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغٍ ولاعاد فإن الله غفور رحيم ﴾ (النحل : ١١٤ ـ ١١٥) .

« إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير باغٍ ولاعاد فإن الله غفور رحيم ﴾ (البقرة : ١٧٣) .

أوفوا بالعقود ....

تتحدث بداية سورة المائدة عن عقود التحليل والتحريم في ذبائح المؤمنين : أماكنها ، أنواعها وأوقاتها ، وتشير إلى أن تلك العقود كلها تعتمد على عقد الإيمان بالله ، والذي يمكن للمؤمن ، وفي داخل إطاره فقط ، أن يقيم دائرة حلاله ويستوضح دائرة حرامه وما بينهما من خط المشتبهات ...

فقد أحل الله للمؤمنين ذبيحة وصيد بهيمة الأنعام : الإبل والغنم والضأن والبقر ، والبقر الوحشي والحمر الوحشية والظباء ، ولكنه استثنى من ذلك الصيد أثناء الإحرام بعمرة أو حج ، حيث يتجرد المحرم فيهما من أسباب حياته ، ويملأ نفسه استشعاراً وأماناً وهو بين ماخلق الله من حيوان .

أما الهدي فلا يجوز أن ينحر إلا لما سيق له : فالنوق والأبقار والشياة التي يسوقها الحاج أو المعتمر لينحرها في نهاية حجه أو عمرته ، لاتنحر إلا في يوم النحر عند الحج أو بنهاية عمرة المعتمر ... ويجوز لصاحبه أن ينتفع بركوبه أو شرب لبنه حتى يبلغ البيت العتيق ...

﴿ لكم فيها منافع إلى أجل مسمى ثم محلها إلى البيت العتيق ﴾ (الحج : ٣٣)

وعلى مقدم الهدي أن يختار من بهيمة الأنعام النفيس منها ذا القيمة ، حتى يناسب ماأريد من الهدي من قيم شعورية ...

﴿ ذلك ومن يعظم شعائر الله فإنها من تقوى القلوب ﴾ (الحج : ٣٢)

وكذلك لاتحل القلائد : وهي مانذر لله من البهائم ، تُعَلَّمُ بقلادة تحملها على رقابها ، وتترك لترعى حتى تبلغ موعد النذر ومكانه ...

وقد استثنى أن يقتل المحرم من الحيوان ، وفي الحرم أيضاً ، كلاً من الحدأة والغراب والفأرة والكلب العقور والحية ...

روت السيدة عائشة رضي الله عنها في الصحيحين ...

« أمر رسول الله ﷺ بقتل خمس فواسق في الحل والحرم : الغراب والحدأة والعقرب والفأرة والكلب العقور .. »

وفي صحيح مسلم من حديث ابن عمر ـ رضي الله عنهما ـ زيادة الحية ...

والنهي للمحرم أن يكون القتل عمداً ، أما القتل عن طريق الخطأ فلا إثم ولا كفارة عليه ... وتكون كفارة قتل المحرم الصيد عمداً بالذبح من بهيمة الأنعام من مستوى ماقتل من الصيد ، أو بالإطعام أو الصيام ...

﴿ ياأيها الذين آمنوا ليبلونكم الله بشيء من الصيد تناله أيديكم ورماحكم ليعلم الله من يخافه بالغيب فمن اعتدى بعد ذلك فله عذاب أليم . ياأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد وأنتم حرم ومن قتله منكم متعمداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النَّعَم يحكم به ذوا عدل منكم هدياً بالغ الكعبة أو كفارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره ، عفا الله عما سلف ومن عاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ﴾ (المائدة : ٩٤ ـ ٩٥) .

أما صيد البحر فحلال صيده وأكله في الحل والإحرام ...

﴿ أحل لكم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللسيارة وحرم عليكم صيد البر مادمتم حرماً واتقوا الله الذي إليه تحشرون ﴾ (المائدة : ٩٦) .

وتحريم صيد بهيمة الأنعام للمحرم .. وتحريم نحر الهدي والقلائد (حتى تبلغ محلها) هو تحريم مؤقت .. محدد الزمان والمكان تعود بعده بهيمة الأنعام لأصلها في التحليل والإباحة ...

وبقية مايتلى على المؤمنين ، فتحريم مطلق ...

﴿ حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وماأهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة وماأكل السبع إلا ماذكيتم وماذبح على النصب وأن تستقسموا بالأزلام ذلكم فِسْق ... ﴾ .

فالمحرمات مطلقاً من بهيمة الأنعام ...

كل ميت من الحيوانات والطيور بلاصيد ولاتذكية ...

والدم السائل المسفوح ...

ولحم الخنزير مطلقاً ...

ومايذكر اسم غير الله عليه ...

ومالم يدرك بذكاة من الموقوذة والمتردية والنطيحة والمنخنقة ...

وماأكل السبع ...

فمن هذه المحرمات ماهو في حكم الميت ولكنها فصلت لإبعاد الظن والشك ، وللتأكيد بأنها ليست بذات حكم منفصل عن الميت ...

فمامات خنقاً (المنخنقة) ، ومامات ضرباً بعصى أو حجر أو خشب (الموقوذة) ، ومامات من قتالٍ بين الحيوان وأخيه (النطيحة) ، وماتردى في بئر أو تردى من مرتفع فمات (والمتردية) ، وكل ماافترسه وحش ولم يذبح وفيه بقية من روح ﴿ وماأكل السبع إلا ماذكيتم ﴾ ، كل ذلك في حكم تحريم الميت تحريماً مطلقاً ... ومنه أيضاً ماذبح على النصب ، واقتسام الذبيحة بالأزلام ...

فمن عادة الجاهليين أن يذبحوا عند نصب لهم في الكعبة ، وينضحون جدرانها بدماء الذبيحة ، والحكم عام بتحريم ماذبح على الأصنام سواء كان ذلك في الجاهلية ، أو بعدها حتى قيام الساعة ، ففي ذلك شرك بالله ، والقاعدة الأصولية العامة تقول ...

« العبرة بعموم اللفظ لابخصوص السبب » ...

وكان الجاهليون يتقاسمون ذبائحهم بالمقامرة عليها بإدارة الأقداح ، ولكل قدح قدر من الكم معلوم ... فذلك ميسر محرم ... ومحرمة أيضاً لحوم يتم تقسيمها عن طريقه ...

ومالم يتل من بهيمة الأنعام على المؤمنين .. فهو حلال .. والأنعام هي : الإبل والبقر (ومنه الجاموس) ، والغنم (الضأن والماعز) ، وبقر الوحش ، وأيل الوحش والظباء ، وقد ثبت بالسنة الترخيص في الدجاج[1] (ومثله الأوز والبط الرومي) ، وحمار الوحش والضب والأرنب والجراد[2] ، والضبع[3]، فعن عبد الرحمن بن عمار قال :

« سألت جابر بن عبد الله عن الضبع آكلها ؟ قال : نعم . قلت : أصيدها ؟

---

(١) البخاري ومسلم والترمذي والنسائي .

(٢) البخاري ومسلم .

(٣) رواه الترمذي بسند صحيح .

قال : نعم . قلت : أفأنت سمعت ذلك من رسول الله ﷺ ؛ قال : نعم » . وقد ذهب إلى جواز أكله الشافعي وأبو يوسف ومحمد بن حزم ...

وعن الخيل روي أنه في يوم خيبر قد نهى الرسول ﷺ المسلمين عن البغال والحمير ولم ينههم عن الخيل ...

روى جابر عن أنس رضي الله عنه قال :

« لما فتح رسول الله ﷺ خيبر أصبنا من القرية حمراً فطبخنا منها فنادى النبي ﷺ : ألا إن الله ورسوله ينهاكم عنها ، فإنها رجس من عمل الشيطان ، فأكفئت القدور وإنها تفور بمافيها »[1]... ويرى مالك وأبو حنيفة أن الخيل مكروهة لذكر وتبيين الله بأنها للركوب والزينة ، ولم يذكر الأكل ، ولايجزم ابن عباس إن كان الرسول ﷺ قد حرمها أو نهى عنها فقط من أجل أنها حمولة الناس فكره أن تذهب حمولتهم ... والجمهور يحللها استناداً لأحاديث صحيحة ، وللسنة العملية .

وروي في الصحيحين أن الرسول ﷺ قد نهى عن أكل كل ذي ناب من السباع وكل ذي مخلب من الطير ...

وقد وضحت السنة إمكانية الاستفادة من بقايا الميتة : من جلود وقرون وعظام وشعر .. فقد روى ابن عباس رضي الله عنهما : قال : « تُصُدِّق على مولاة (جارية أعتقت) لميمونة أم المؤمنين ، بشاة ، فمر بها رسول الله ﷺ فقال : « هلا أخذتم إهابها ـ جلدها ـ فدبغتموه فانتفعتم به ؟ » فقالوا : إنها ميتة ! فقال ﷺ : « إنما حرم أكلها »[2].

---

(١) رواه الخمسة .

(٢) رواه الجماعة إلا ابن ماجه .

والتحريم المطلق لماتُلي من بهيمة الأنعام مرتبط بحالة الاختيار ...

﴿ ... فمن اضطر غير باغ ولاعاد فإن الله غفور رحيم ﴾ (النحل : ١١٥) .

﴿ ... فمن اضطر غير باغ ولاعاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم ﴾ (البقرة : ١٧٣)

﴿ ... فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم ﴾ (المائدة : ٣)

﴿ ... فمن اضطر غير باغ ولاعاد فإن ربك غفور رحيم ﴾ (الأنعام : ١٤٥) .

فعند الاضطرار يمكن للمؤمن أخذ اليسير مماحرم من دون بغي ولاتجاوز لحد الضرورة .. فقد قرر العلماء : ـ أن الضرورات تبيح المحظورات وأن الضرورة تقدر بقدرها ، فعند الاضطرار يأخذ المؤمن المضطر مايسد رمقه[1]... غير قاصد للذة أو شبع ، حتى لايكون الخضوع لداعي الضرورة منفذاً لاستراء الحرام ...

الميتة :

يموت الحيوان لضعف أو مرض أو وهن ، ويكون دمه منعقد في أوردته وشراييه ، والدم أحسن الأوساط الصالحة لنمو البكتيريا والجراثيم ، وتستخدمه المعامل وسطاً لزراعتها ، وفيه فضلات الإخراج التي تحتوي على مواد غير صالحة للهضم ، فإذا نفق الحيوان بمرض معدٍ فإن دمه المنعقد يحتوي على ميكروبات وجراثيم ذلك المرض ، وعند موت الحيوان يترسب دمه داخل أوعيته الدموية ، فيعقب ذلك تصلب الجسم ، ثم يبدأ تحلل الأنسجة وتعفنها ...

---

(١) هذه وجهة نظر لفريق من العلماء وهناك مذهب يحلل له الأكل حتى الشبع .

الدم السائل المسفوح :

كانت العرب في جاهليتها تأكل الدم بعد عقده ، ويعرفونه بالفصيد ، وهنالك من يشربه سائلاً اليوم كقبيلة المساي في كينيا ، وقبيلة التابوسا وغيرها في جنوب السودان ، بعد أن يجمع الدم والحيوان حي ، وهم يستخدمون الأوردة في جمعه لقربها من سطح الجسم ، والدم الوريدي أزرق اللون ، يحمل معه حامض الكربونيك ، وفضلات الأكسدة والاحتراق باتجاه القلب .

والدم نسيج يتكون من آلاف المليارات من كرويات الدم الحمراء ، وعشرات المليارات من الكرويات البيضاء ، وكلها تسبح في بلازما الدم : ذلك السائل اللزج ، فالدم نسيج متحرك ينقل الغذاء للخلايا المختلفة ، وينقل فضلات الأنسجة الحية الأخرى بعد تمثيل الغذاء ، ويحتوي بلازما الدم على الأحماض الأمينية والأحماض الدهنية وسكر الجلوكوز ، وأنزيمات ومعادن وإفرازات الغدد الصماء ، ومواد تساعد على تكون الجلطة الدموية ، وقد يكون حاملاً لميكروبات مرضية ...

روى ابن عمر رضي الله عنهما ... قال رسول الله ﷺ : « أحلت لنا ميتتان ودمان : الميتتان الحوت والجراد ... والدمان الكبد والطحال »[1] ...

والطحال عضو يقوم بوظيفة صنع خلايا الدم البيضاء والحمراء في الجنين قبل الولادة ، ويقضي على كرويات الدم الحمراء القديمة ، ويصنع الخلايا اللمفاوية للدورة اللمفاوية ، ويخزن مقداراً من الدم يمد به الجسم عند الحاجة ...

والكبد عضو يحتوي على مايقارب ربع الدم في الجسم عند الراحة ومنها يتدفق للجسم عند العمل ... يصلها الدم عن طريق الشريان الكبدي لتغذيتها

---

(١) رواه أحمد ، ابن ماجه ، والدارقطني .

كعضو ، ويدخلها عن طريق الوريد البابي حاملاً دم الأمعاء والمعدة ومحتويات الامتصاص ، ومنها وقد صنعت به ماصنعت يدخل الدم الدورة الدموية العامة للجسم ...

لحم الخنزير :

يلاحظ في الخنازير ميلها لأماكن حفر الطين القذرة .. ويفسّر ذلك فسيولوجياً ، ببحثها عن طريقة مثلى تبدد بها حرارة جسمها ، وهي تستخدم لذلك طريقة التوصيل (CONDUCTION) ، لذا فهي تنام بجانب شيء تكون درجة حرارته أقل من درجة حرارة جسمها ...

والخنزير حيوان قَمَّام : أي يقتات بالقمامة (SCAVENGER) ، وتلك عادة ينفر منها طبع الإنسان النظيف القويم ، والخنزير يأكل الجرذان والفئران والثعابين وله نابان ، فهو من ذات الناب ...

وليس الخنزير مثالاً من الحيوانات لانتخاب الطعام كايقول بطرس البستاني[1]...

« على أن أكثر الحيوانات تحصر نفسها في حدود معينة بالنسبة إلى طعامها ، حتى أن الخنزير الذي يقال : إنه يأكل كل شيء يتخذ مثالاً لذلك[2].. فقد وجد أنه يأكل (٧٢) نوعاً ، ويرفض (١٧١) نوعاً ... فيكون الخنزير في الرتبة الأولى لانتخاب طعامه إلا عند الضرورة » .

فصاحب الكتاب نفسه يذكر تحت كلمة خنوص[3]...

---

(١) دائرة المعارف العربية ـ تحت الحيوان ـ ٢٨٣ / ٧ .

(٢) وتقول : ENCYLOPAEDIA AMERICAINA, VOLUME «26», SWINE « أنسب طعام الخنازير الذي يشمل اللحم بجانب النبات » .

(٣) دائرة المعارف العربية ـ تحت خنوص ـ ٤٨٢ / ٧ .

« يأكل ـ أي الخنزير ـ الحيات أكلاً ذريعاً ، ولا يؤثر فيه سمها » .

وذكر القزويني العبارة نفسها في كتابه : عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ، عند حديثه عن الخنزير ، ولنفس القذارة الناتجة عن صفة القمامة يرفض الهندوس أكل الخنزير والدجاج ...

ويقول الجاحظ عن سلوك الخنزير[1]...

« الخنازير تطلب العذرة ، وليست كالجلالة فإنها تطلب أحرها وأرطبها وأنتنها وأقربها عهداً بالخروج ، فهي في القرى تعرف أوقات الصبح والفجر قبل ذلك وبعده لبروز الناس للغائط ، فيعرف من كان في بيته نائماً في الأسحار ، ومع الصبح أنه قد أسحر وأصبح بأصواتها ومرورها ووقع أرجلها إلى تلك الغيطان وتلك المتبرزات ، ولذلك ضربوا المثل ببكور الخنازير .. » .

فصورة الخنزير ارتبطت في أذهان الناس بالقذارة ، وبذلك تخلق في النفس نفوراً واشمئزازاً ، جاء في الحديث كما روى الطبري ...

« إياكم والخلوة بالنساء ، والذي نفسي بيده ماخلا رجل بامرأة إلا أتى الشيطان بينهما ، ولأن يزحم رجل خنزيراً متلطخاً بطين أو حمأة خير له من أن يزحم منكبه منكب امرأة لاتحل له » ...

ويقول بعض الناس : إن المداومة على أكل لحم الخنزير تورث ضعف الغيرة على المحرمات ...

ويقول العلم الحديث : إن أكل لحم الخنزير يزيد من أمراض الروماتيزم ، وآلام المفاصل ، وذلك لأن لحمه يحتوي على أكبر كمية من حامض البوليك ، (URIC ACID) بين سائر الحيوانات .. فإن غيره من الحيوانات تفرز نسبة

---

(١) كتاب الحيوان ١٧ / ٤ .

عالية من ذلك الحامض عن طريق البول ، تبلغ ٩٠ ٪ عند الإنسان ، ولكن الخنزير يفرز ٢ ٪ فقط من حامض البوليك عن طريق البول .. أما ماتبقى فيكون بين الدم والأنسجة ...

وقد وجد أن كل (١٠٠) رطل من لحم الخنزير تحتوي على (٥٠) رطلاً دهناً ، بينما تكون نسبتها ١٧ ٪ في الضأن ، و٥ ٪ في العجول[١]... ومن المعروف أن زيادة الدهون في اللحوم تعسر درجة هضمها ، كما يحتوي دهن الخنزير على نسبة أعلى من الكسترول ، فقد وجد أن نسبته في لحم الخنزير والضأن والعجول هي ٩ ـ ٧ ـ ٦ ... وهي تتسبب في أمراض القلب وتصلب الشرايين والذبحة القلبية بعد ارتفاع ضغط الدم ...

وتقول التقارير (WHO CHRONICLE 1953) عن قابلية لحوم الخنازير للتلوث وحمل الميكروبات ... بأنه وجد في مختبرات الدنمارك لفحص اللحوم بأن لحم الخنزير هو الأكثر قابلية للتلوث ونقل الميكروبات ، وأن ٤٠ ٪ من لحوم الخنازير يحمل ميكروبات معدية وغير معدية ، وأن نسبة الميكروبات الشديدة العدوى في لحوم الخنازير ١٤ ٪ مقابل ٣ ٪ في لحوم الغنم ... كما أن نسبة التعادل القلوي (PH) في لحوم الخنازير هي أكثر من (٦,٥) مما يساعد على نمو الميكروبات في عضلاتها ويسهل معيشتها في أنسجتها حية كانت أو ميته[٢]...

وينقل الخنزير للإنسان أمراضاً خطيرة : مثل بروسيلا الخنازير ، دودة الخنزير الشريطية (CYSTICERCUS CELLULOSA TAENEA SOLIUM) ، وهي من أخطر الديدان الشريطية ، تصل يرقاتها عن طريق الدورة الدموية إلى المخ ، فتكون حويصلاتها ، وهي تفضل التحوصل في الجهاز العصبي ، مما ينتج

---

(١) SCIENCE ENCYCLOPAEDIA (Mc. GROW-HILL)

(٢) MEAT HYGIENE (WHO) , GENEVA 1975

عنه جنون أو شلل أو تشنجات عصبية .. وقد وجد أنه بين كل مائة ورم بالمخ أزيلت بالجراحة ، وفحصت ميكروسكوبياً أن ٢٥ ٪ منها من دودة الخنزير الشريطية ، وليس ثمة علاج لذلك حتى اليوم إلا بالجراحة[١]...

وينقل الخنزير أيضاً مرض الترايكنيلا (TRICHINOSIS) ، والذي تقول عنه دائرة المعارف البريطانية : بأنه يصيب ٢٨ مليوناً من سكان الأرض : منهم ٢١ مليوناً في الولايات المتحدة ، مع زيادة بمعدل ٣٥٠ ألف شخص في العام في أمريكا وحدها[٢]، كماوجد أن الوقاية منها عن طريق فحص اللحوم غير فعالة ، كما أنها مكلفة وغير مطمئنة[٣]، وينتج عن إصابتها ارتفاع في درجة الحرارة ، وتورم في الوجه ، ويعقب النزلة المعوية الحادة هبوط في القلب ...

ويقول تقرير لوزارة الزراعة الأمريكية نشرته مجلة (MONEY WORTH) في عددها الصادر في ديسمبر ١٩٧٧ ...

« إن عدد من يموت من الأمريكان بسبب الخنزير هو أكثر من مجموع موتى الأمريكان بكل الحوادث الأخرى : من حوادث طرق ، وجرائم قتل ، وغيرها ، والسبب في ذلك كما تشير البحوث الطبية يرجع إلى مواد نايتروزأمين (NITROSAMINE) المسببة للسرطان ، والتي تتكون بسبب النترات والمركبات النيتروجينية المستخدمة في تحسين وحفظ لحوم الخنزير ، فهذه المواد ـ نيتروزأمين ـ وجدت بصورة مستمرة في لحم الخنزير المملح ، أو المقدد (BACON) والمغلي تحت درجة حرارة عالية ، وفي مايقارب ٢ ـ ٦ ٪ من لحم

---

(١) CLINICAL PARASITOLOGY BY : FAUST AND RUSSEL.

(٢) جاء في كتاب PARASITOLOGY FOR MEDICAL STUDENTS BY : DR. ADHAM A. RAGAB. إن عدد الإصابات في كل العالم سنة ١٩٤٧ هي ٢٦ مليون إصابة .

(٣) CONTROL OF COMMUNICABLE DISEASES IN MAN BY : JOHN GORDAN.

فخذ الخنزير (HAM) ، والسجق (SAUSAGE) المعالج في الأسواق .. »[1]...

فهذه أمريكا بعلمها وتقنيتها تصارع لحم الخنزير ، فيصرعها بمضاره ، ولايكتفي بذلك ، بل يقتل قواها البشرية والمادية ، ويزيد من معاناتها من شر السرطان المستطير ، والذي توجه كثيراً من جهود أبحاثها لمكافحته ...

لحم الخنزير شر لاتصرعه دولة كبرى ... وكفي المؤمن شره باتباع آيات تحريمه في القرآن ، وصدق الله إذ يقول : ﴿ وننزل من القرآن ماهو شفاء ورحمة للمؤمنين ولايزيد الظالمين إلا خساراً ﴾ (الإسراء : ٨٢) .

وقد يكون الدواء بإبعاد المسبب ، والابتعاد عن السبب ، والوقاية من الداء قبل بدايته ...

ومهما كانت أهمية تقارير العلم ونتائجه في تعليل تحريم الخنزير ، فالمؤمن يسوقها فقط من باب التفكر في خلق الله ، فكل عقود المؤمن تقوم على عقد الإيمان بالله ، والله قد نفى الطيبة عن تلك المطاعم ، وقرر بعلمه الإلهي أنها خبائث تؤذي البشر في جانب من جوانب حياتهم ، قد لايبلغه علمهم وقد يفعل ...

يقول القرضاوي :

« وليس من اللازم أن يكون المسلم على علم تفصيلي بالخبث ، أو الضرر الذي حرم الله من أجله شيئاً من الأشياء ، فقد يخفى عليه مايظهر لغيره ، وقد لاينكشف خبث الشيء في عصر ، وينجلي في عصر لاحق ، وعلى المؤمن أن يقول دائماً (سمعنا وأطعنا) .

ألا ترى أن الله حرم لحم الخنزير ، فلم يفهم المؤمن من علة لتحريمه غير أنه

---

(١) مجلة الغرباء (خبر ورأي) ص ٥ العدد ٥ / ٦ إبريل ١٩٧٨ م .

مستقذر ، ثم تقدم الزمن فكشف العلم فيه من الديدان والجراثيم الفتاكة مافيه ؟ ولو لم يكشف العلم شيئاً في الخنزير أو كشف ماهو أكثر من ذلك فإن المؤمن سيظل على عقيدته بأنه رجس .. »[1].

وقد يكون المراد من التحريم الابتلاء والاختبار لمعرفة مدى استجابة الطاعة والعصيان في نفوس من وجه إليهم التكليف ...

وتحدثت السنة النبوية عن العائد من التجارة في الخنزير ...

فعن أبي هريرة أن الرسول ﷺ قال :

« إن الله عز وجل حرم الخمر وثمنها ، وحرم الميتة وثمنها ، وحرم الخنزير وثمنه »[2]... أما الفقهاء فقد اختلفوا في جواز الانتفاع به ، فقد منع منه ابن سيرين والحكم وحماد والشافعي وأحمد وإسحاق ، ورخص فيه الحسن والأوزاعي وأصحاب الرأي ...

وذكر القرطبي في تفسير سورة البقرة ...

« لاخلاف أن جملة الخنزير محرمة إلا الشعر فإنه يجوز الخرز به . وروي أن النبي ﷺ قال : « لابأس الخرازة بشعره » وقد كانت في أيامه . وقد نقل ابن المنذر الإجماع على نجاسته إلا أن مالكاً يخالف فيه ، فهم أنه أسوأ حالاً من الكلب ، فإنه يستحب قتله ولايجوز الانتفاع به في حالة بخلاف الكلب » ...

ماأهل به لغير الله ...

﴿ ولكل أمة جعلنا منسكاً ليذكروا اسم الله على مارزقهم من بهيمة الأنعام ، فإلهكم إله واحد فله أسلموا وبشر المخبتين ﴾ (الحج : ٣٤) .

---

(١) الحلال والحرام في الإسلام ، ص ٢٩ ، ط ٥ ١٩٦٥ (المكتب الإسلامي) .

(٢) رواه أبو داود من حديث أبي زناد عن الأعرج ...

حرم ماأهل لغير الله به ، لالعلة ذاتية فيه ، وإنما لعلة روحية بحتة ، هي أن يكون اتجاه الأعمال النابعة من الضمير المؤمن الخالص لله وحده لتطهر الروح ، ويصح الاعتقاد والتصور ، ولهذا فقط ألحق بالنجاسة والقذارة المادية في غيره من محرم بهيمة الأنعام ...

تذكية الذبائح ...

تعني التذكية شرعاً ذبح الحيوان أو نحره بنية أكل لحمه ، وذلك مايفعله المسلمون والكتابيون بأنعامهم وطيورهم ومااستأنس مما يذبحون ...

ولكي تتم التذكية لابد من آلة حادة تستخدم لنهر الدم ، وفري الأوداج عند الذبح في الحلق أو النحر في اللبة[1] . عن عدي بن حاتم الطائي أنه قال : قلت يارسول الله إنا نصيد الصيد فلانجد سكيناً إلا الظرار (أي الحجر أو المدر المحدد منه) وشقة العصا ...

فقال : « أمر (أرق) الدم بماشئت واذكر اسم الله عليه »[2]...

وكذلك لابد من ذكر اسم الله على الذبيحة ، ولايشرك باسمه أحداً . يقول ﷺ : « ماأنهر الدم وذكر اسم الله عليه فكلوا » رواه البخاري . وليس المراد هنا هو الترديد اللفظي للتسمية ، وإنما المراد هو عقيدة الذابح وحقيقة توجهه إلى الله ، فالذبيحة لاتحرم بنسيان المسلم ترديد لفظ التسمية ، ولاتحل إذا ذبحها مشرك وسمى .

وعند تعذر ذبح الحيوان أو نحره فيعامل معاملة الصيد ، ويذكر اسم الله عليه ...

---

(١) يجوز الذبح بكل ماأنهر الدم إلا السن والظفر وسائر العظام .

(٢) رواه أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه والحاكم وابن حيان .

عن رافع بن خديج قال : كنا مع النبي ﷺ في سفر ، فَنَدَّ بعير من إبل القوم ، ولم يكن معهم خيل ، فرماه رجل بسهم فحبسه ، فقال رسول الله ﷺ :

« إن لهذه البهائم أوابد كأوابد الوحش فما فعل منها هذا فافعلوا به هكذا ... »[1].

وعن عائشة رضي الله عنها أن قوماً حديثي عهد بالجاهلية قالوا للنبي ﷺ : إن قوماً يأتوننا باللحمان لاندري أذكروا اسم الله عليها أم لم يذكروا ، أفنأكل منها أم لا ؟! فقال رسول الله ﷺ : « اذكروا اسم الله وكلوا » رواه البخاري ...

وذبائح أهل الكتاب حلال أكلها ...

﴿ اليوم أحل لكم الطيبات وطعام الذين أوتوا الكتاب حل لكم وطعامكم حل لهم ﴾ (المائدة : ٥) .

ولكن يشترط أن لايكون ذلك شاملاً ماهو محرم لعينه كالميتة والدم المسفوح ولحم الخنزير ، وأن لايسمع من الكتابي ذكر اسم غير الله على ذبيحته[2]، وتخرج ذبيحة الكتابي من غرض الأكل إلى غرض التعبد إذا ذكر اسم المسيح أو العزير عليها ، وهي حرام لاتؤكل ...

يقول القرضاوي[3]...

« ... وعلى ضوء ماذكرنا نعرف الحكم في اللحوم المستوردة من عند أهل الكتاب : كالدجاج ولحوم البقر المحفوظة مما قد تكون تذكيته بالصعق الكهربائي ونحوه ... فماداموا يعتبرون هذا حلالاً مذكى ، فهو حل لنا .. (آية المائدة ٥) ... أما

---

(١) أخرجه الشيخان ...

(٢) هنالك خلاف حول ذبائح المجوس والمعاصرين من الوثنيين كالبراهمة والبوذيين يرجع إليه في كتاب « الحلال والحرام في الإسلام » للقرضاوي ... وفي تفسير المنار جزء (٦) فصل في طعام الوثنيين ونكاح نسائهم ...

(٣) « الحلال والحرام في الإسلام » ذبائح أهل الكتاب .

اللحوم المستوردة من بلاد شيوعية فلايجوز تناولها بحال ، لأنهم ليسوا أهل كتاب ، وهم يكفرون بالأديان كلها ويجحدون بالله ورسالاته جميعاً ... » .

وعند اليهود لابد أن يتم ذبح حيوانات اللحوم المعدة للأسواق اليهودية ، بالطريقة اليهودية ـ كوشر (kosher slaughter) ، وهي الأطعمة المباحة الأكل في الديانة اليهودية ، ويكون ذلك بأن يقطع ممثل الحاخام بواسطة سكين حادة الجانبين ، وبضربة واحدة فقط كل من الشريان السُبتاوي (carotid artery) ، والوريد الوداجي (jugular vein) ... ومن الممنوع عندهم استخدام المسدس (captive bolt) أو التدويخ والصعق بواسطة الصدمات الكهربائية قبل الذبح ، وتحرم قوانينهم استخدام اللحم الذي لم يتم نزف حيواناته تماماً ، ولايستخدمون أرجل الحيوان الخلفية اعتقاداً منهم بأن لها أوردة وشرايين ضيقة لاتتمكن بواسطتها أن تنزف كما ينبغي ، لكنهم يستخدمون الأرجل الأمامية ، ولاتؤيد معرفة علماء التشريح مايعتقدون ، وإنما ذلك اعتقاد روحي ، غير أن اليهود في المناطق الآهلة بهم يعتبرون كل الذبيحة طعام مباح في الشرع اليهودي ، حتى يلقى الجميع نصيبهم من الغذاء ، وتعتمد الطريقة المتبعة في التذكية عند المسلمين واليهود على إبطال فعالية عمل المخ (inactivated cerebrum) بواسطة خفض ضغط الدم في الأوعية الدموية للمخ : بقطع الأوردة والشريان عند الرقبة ، فينخفض ضغط الدم في الرأس ويفقد الحيوان وعيه في تسع ثوان فقط ، وقد يحدث أن يفقد الحيوان وعيه عن طريق رفع ضغط الدم لدرجة يحدث عندها انفجار للشعيرات الدموية بالمخ ، ممايُنتج عنه سكتة دماغية (apoplexy) ، ولكن التذكية عن طريق قطع الوريد الرئيسي في العنق فيها تدرج في مفارقة الحياة لاستمرارية العلاقة بين القلب والمخ ، وبها لاتحدث صدمة مفاجئة عنيفة ، ولايموت الحيوان في الحال مما يمكن من خروج سائر الدم من الجسد ، ولايبقى

متجمداً داخل الأوردة والشرايين ، كما أن طريقة الذبح عند اليهود والمسلمين ، والتي يقطع فيها الحلق بقطاع عرضي تزيد من سرعة نزف الدم وخروجه من الجسم ، فلكي يحدث توازن في عمل القلب لابد من توازن في عمل العصب السمبتاوي (sympathetic nerves) ، والعصب البُهْم (vagus nerve) ، وهو العصب العاشر من الأعصاب ذات الاتصال المباشر بالدماغ (cranial nerves) . فالعصب البهم ، والذي يقع بجانب الشريان السُباتي (carotid artery) ، يبطئ من سرعة القلب ، أما مجموعة العصب السمبتاوي والذي يقع بجانب العمود الفقري فيزيد من سرعة ضربات القلب ، وبقطع الشريان السُباتي يتم قطع جزئي العصب المبهم ، فينقطع تأثيره على القلب (يقلل عدد الضربات) ، ويستمر عمل العصب السمبتاوي (يزيد سرعة القلب) فتزيد سرعة نزف الدم خارج الجسم ...

بعض القبائل الهندية تقتل ذبائحها عن طريق بتر الرأس ، والعيب في هذه الطريقة : هو موت القلب وتوقفه قبل ضخ كل الدم خارج الجسم ، وذلك بتأثير توقف عملية التنفس ، فإن مركز التنفس (respiratory centre) يوجد في الجزء الأخير من النخاع المستطيل (medulla oblongata) ، والذي يوجد في داخل الفقرات العنقية : الثالثة والرابعة ، وهو يرسل إشارات للحجاب الحاجز وعضلات الضلوع لإكمال عملية التنفس ، فعندما يبتر الرأس ويجرح مركز التنفس تتوقف عملية التنفس مباشرة ، فيموت القلب ويتوقف ، وإذا تم تعطيل أو تمزيق المخيخ (cerebellum) أو النخاع المستطيل قبل اكتمال عملية النزف ، فإن الحركة والاهتزازات بعد الموت لاتحدث ، ولاتتمكن الأوردة الدقيقة في العضلات من التخلص من دمائها ، لأن ذلك يتم عن طريق شد وانطلاق الخيوط العضلية حولها ...

وتستخدم بعض السلخانات جهاز الصعق الكهربائي (electric stunner)

لصدم وتدويخ الحيوان قبل ذبحه بوضعه على الرأس ، فإذا حدث أن أخطأ عامل في مكان وضعه ، فوضعه في مقدمة الرقبة ، الأمر الذي يحدث كثيراً عند ذبح الخنازير ، فإن فرعي العصب المبهم قد تتأثر فيزيد العصب السمبتاوي من سرعة القلب ، والحلق لم يقطع بعد ، مما يؤدي إلى زيادة مفاجئة في ضغط الدم فتنفجر بعض الشعيرات الدموية الدقيقة في العضلات المختلفة فينتج عن ذلك بقع دموية (blood splash) ، ومن المحتمل سكتة دماغية ، لذا فيجب مراعاة عدم وضع جهاز الصعق الكهربائي عند استخدامه خلف الأذنين ، وقد وجد أن الدموية تحدث أيضاً عند استخدام المسدس لتدويخ الحيوان قبل ذبحه ، كما أنها تحدث في حالة الخوف المستمر ، فإن الرعب يثير الجهاز السمبتاوي ، فيزيد من سرعة القلب ، فيزداد ضغط الدم في الشعيرات الدموية فتنفجر ، ويدخل الدم في الفجوات اللمفاوية بين العضلات ، مما ينتج عنه بقع دموية ، لذا فمن المهم معاملة الحيوان برفق قبل الذبح وأثناءه ...

روى الحاكم تصحيحاً على شرط البخاري عن ابن عباس ...

أن رجلاً أضجع شاة وهو يحد شفرته ، فقال النبي ﷺ : « أتريد أن تميتها موتات ؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها ؟! » ...

الهدي ...

﴿ وأتموا الحج والعمرة لله فإن أحصرتم فما استيسر من الهدي ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محِلَّه فمن كان منكم مريضاً أو به أذى من رأسه ففدية من صيام أو صدقة أو نُسُك فإذا أمنتم فمن تمتع بالعمرة إلى الحج فما استيسر من الهدي فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجعتم تلك عشرة كاملة ذلك لمن لم يكن أهله حاضري المسجد الحرام واتقوا الله واعلموا أن الله شديد العقاب ﴾

(البقرة : ١٩٦)

﴿ يـا أيهـا الـذين آمنوا لا تقتلوا الصيـد وأنتم حرم ومن قتلـه منكم متعمـداً فجزاءٌ مثل ما قتل من النَّعم يحكم به ذوا عدل منكم هـدياً بـالغ الكعبـة أو كفـارة طعام مساكين أو عدل ذلك صياماً ليذوق وبال أمره عفا الله عمـا سلف ومن عـاد فينتقم الله منه والله عزيز ذو انتقام ﴾ (المائدة : ٩٥) .

﴿ هُمُ الذين كفروا وصدوكم عن المسجد الحرام والهَدْيَ معكوفاً أن يبلغ محله ولولا رجـال مؤمنون ونسـاء مؤمنـات لم تعلمـوهم أن تطـؤوهم فتصيبكم منهم مَعَرَّةٌ بغير علم ليدخل الله في رحمته من يشاء لو تَزيَّلوا لعذبنا الذين كفروا منهم عـذاباً أليماً ﴾ (الفتح : ٢٥) .

﴿ يـا أيهـا الـذين آمنوا لا تُحِلُّوا شعـائر الله ولا الشهر الحرام ولا الهـدي ولا القـلائـد ولا آمين البيت الحرام يبتغـون فضـلاً من ربهم ورضـوانـاً وإذا حللتم فاصطادوا ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام أن تعتدوا وتعـاونوا على البر والتقـوى ولا تعـاونـوا على الإثم والعـدوان واتقـوا الله إن الله شـديـد العقاب ﴾ (المائدة : ٢) .

الشعائر علاقات واضحة ظاهرة جعلتها اللمسة والصفة الدينية مظهراً عـامـاً في حياة الناس ، والهدي شعيرة جعلها الله مكملة لما حـددتـه الآيـات السـابقـة في الحج والعمرة ، ويتقبلها الله من الحاج والمعتمر بالإخلاص والتقوى ..

﴿ والبُدنَ جعلناها لكم من شعـائر الله لكم فيهـا خير فـاذكروا اسم الله عليهـا صواف فإذا وجبت جنوبها فكلوا منها واطعموا القانع والمُعْتَرَّ كذلك سخرناهـا لكم لعلكم تشكرون . لن ينال الله لحومها ولا دماؤها ولكن يناله التقوى منكم كذلـك سخرها لكم لتكبروا الله على ماهداكم وبشر المحسنين ﴾ (الحج : ٣٦ ـ ٣٧) .

وما يرى في « منى » من تكديس الهدي والذبـائح في الحج ليس للشرع ذنب

فيه ... وقد يرجع كله لسوء التنظيم ولعدم المرونة في فهم الدين .. ففي تقديم الهدي خيار .. ماعدا الإحصار ، وهو المنع من إكمال الحج أو العمرة لمرض أو عدو ، .. ففي الإحصار لا خيار في الهدي بينه وبين غيره ، ويجب أن يكون الهدي عيناً ، وأما المكان فالأرض الحرام كلها منحر بتحديد ما سبق من آيات ، وبالسنة القولية والعملية .. « إن منى كلها منحر وإن مكة وفجاجها منحر » ...

فلماذا لا توجه الأذهان والجهود للاستفادة من لحوم وبقايا ما يهدى في الحج رجاءً لتوسيع دائرة الفائدة منها ، واتقاءً لما ينتج عنها من إيذاء للناس ، على أن يتم أولاً الأكل منها لمن أهدى ، وإطعام القانع والمعتر ، ثم يصنع ما بقي ليعود العائد منه لفقير ومحتاج المسلمين ، وتعمير ديارهم ، ومد الجيوش المسلمة المحاربة بالغذاء والعتاد ..

الصيد ...

العرب هم أول من ضرى الصقور والفهود واستخدمها في الصيد ، وكانوا ينسبونها كما ينسبون الخيل ، وقد اعتادوا كغيرهم من الأمم ، الصيد وصار جانباً من حياتهم ، فجابوا الفيافي صائدين من أجل الطعام والاستمتاع .. ثم جاء الإسلام فنظمه كأي جانب آخر من حياة الجاهلي ، وهذبه وجعل له من التنزيل نصيباً ، وقننه ، كيف لا وهو رياضة وتربية في حياة المؤمن ، وكلها لله ..

ولما كانت طبيعة حيوانات الصيد تحول دون الذبح في الحلق والنحر في اللبة ، فإن الشرع لم يقرن تذكيتها إلا بذكر اسم الله عليها ، ثم تذكى بما تيسر للصائد من وسيلة اهتدت إليها فطرته السليمة .. ولكنه حدد أن يكون الصائد مسلماً أو كتابياً وأن يكون غرضه من الصيد المنفعة لا العبث واللهو ...

روى النسائي وابن حبان ...

« من قتل عصفوراً عبثاً عج إلى الله يوم القيامة يقول : ـ يارب إن فلاناً قتلني عبثاً ولم يقتلني منفعةً » ... وحرم أن يكون الصائد محرماً بعمرة أو حج (المائدة الآيات : ١ ، ٩٥ ، ٩٦) ... كما حدد أن تكون آلة الصيد جارحة : كالسيف والسهم والرمح ، أو حيواناً جارحاً : كالكلب أو الصقر الصائد المعلم المؤدب ، حتى يكون غرضه الإمساك على صاحبه لا على نفسه .. قال (ﷺ) :

« إذا أرسلت الكلب فأكل من الصيد ، فلا تأكل ، فإنما أمسك على نفسه ، فإذا أرسلته فقتل ولم يأكل فكل ، فإنما أمسك على صاحبه »[1] ..

وقد حددت درجة تعليم الجارح بقولهم ...

« وحد تعلم الجارح أن يسترسل إذا أرسلته ، وأن ينزجر إذا زجرته ، وأن ينصرف إذا دعوته ، وأن يمسك الصيد على أهله لا على نفسه ، وأقل ما يعرف به ذلك ثلاث .. » .

☆ ☆ ☆

(١) رواه أحمد..

الباب التاسع
الرفق بالحيوان

﴿ ولأُضِلَّنَّهُم ولأُمَنِّيَنَّهُم ولآمُرَنَّهم فليُبَتِّكُنَّ آذان الأنعـام ولآمُرَنَّهم فَلَيُغَيِّرُنَّ خلـق الله ومن يتخـذ الشيطـان وليـاً من دون الله فقـد خسر خساناً مبيناً ﴾

(النساء : ١١٩)

وضح القرآن الكريم مقاصد الخلق في الحيوان ؛ فجعل منه منافع للناس في حياتهم الدنيا ، وهو لذلك جعل مسؤولية الإنفاق على الحيوان من واجبات صاحبه ، على قدر مايقيم حياته ليؤدي واجبه من عمل بلا عناء أو تعب أو معاناة ...

﴿ الذي جعل لكم الأرض مهداً وسلك لكم فيها سبلاً وأنزل من السماء ماءً فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتى . كلوا وارعوا أنعامكم إن في ذلك لآيات لأولي النهى ﴾ (طه : ٥٣ ـ ٥٤) .

﴿ ولما ورد ماء مدين وجد عليه أمة من الناس يسقون ووجد من دونهم أمرأتين تذودان قال ماخطبكما قالتا لانسقي حتى يصدر الرعاءُ وأبونا شيخ كبير ﴾ (القصص : ٢٣) .

كان العرب في جاهليتهم يمزقون آذان بعض أنعامهم ليحرم بعد ذلك أكلها وركوبها ، كما أنهم يغيرون معالم أجسادها بالقطع منها ، فهم يجبون أسنمة الإبل ، وأليات الغنم وهي حية ، وكانوا إذا جاع أحدهم فصد بعيره أو شاته ليخرج دماً يجمعه ويشربه ، ويعرفون ذلك بالفصيد ...

ومن ثم جاء التنزيل الكريم متجهاً إلى إرشادهم للمقاصد السليمة الخيرة ، ليحسن تربيتهم ، فيتغير مابأنفسهم من اعتقاد ، فيتبعه تقويم لفهمهم الاجتماعي ، ومن ثم يتحقق معنى الرفق بالحيوان عندهم عن طريق التربية ، ويمكن بعد ذلك

أن يجد القانون تربة صالحة لأداء مهمته[1] ...

وكثيراً مانجد معنى للرفق دقيقاً يقف في ظلال الآيات التي تحدثت عن الحيوان : فتحريم أكل الموقوذة والنطيحة والمتردية وما أكل السبع ، وكل ذلك إذا لم تدركه ذكاة ـ يفهم منه أهمية المحافظة والرعاية للحيوان ، حتى لايتعرض للمخاطر : كأن يتردى أو ينطح مشاجرة مع بني جنسه ، فكأن المراد العناية والرفق بالحيوان ...

وعندما يقول البيان ...﴿ أخرج منها ماءها ومرعاها . والجبال أرساها . متاعاً لكم ولأنعامكم ﴾ (النازعات : ٣١ ـ ٣٣) .

فكأنه يوجه : يابني آدم اهتموا بتربية وتغذية حيواناتكم مثل اهتمامكم بتغذية أنفسكم ، وأي معنى للرفق أعمق من أن يقرن مصير الحيوان بنفس صاحبه ، ثم تربى هذه النفس وتهذب ويعمق معنى الرفق فيها ؟...

ومن معاني الرفق بالحيوان في الإسلام أن الرسول ﷺ نهى عن استخدام الحيوان لتأدية أعمال غير ماعرف من أغراض يؤديها ...

عن عبد الله بن عمر قال : ـ قال رسول الله ﷺ : ـ

« من اقتنى كلباً إلا كلب ماشية أو ضار نقص من عمله كل يوم قيراطان »[2] ...

وعن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ :

« من اتخذ كلباً إلا كلب ماشية أو صيد أو زرع انتقص من أجره كل يوم قيراط »[3] ...

---

(١) مثلاً المواد ٢٣٨ ، ٢٣٩ ، ٢٤٠ ، ٢٤١ ، من قانون العقوبات السوداني لسنة ١٩٧٤ م .

(١) (٢) متفق عليه ...

وروى أبو داود عن أبي هريرة يقول ﷺ :

« لاتتخذوا ظهور دوابكم منابر ، فإن الله تعالى إنما سخرها لكم لتبلغكم إلى بلد لم تكونوا بالغيه إلا بشق الأنفس ، وجعل لكم الأرض فعليها فاقضوا حاجاتكم .. » .

وكثيراً مانهى ﷺ من جعل البهائم أهدافاً ترمى بعد قبضها حتى تموت ، كما نهى عن قتل الحيوان للتسلية أو الرياضة أو تعلم الرماية ...

« لعن الله من اتخذ شيئاً فيه الروح غرضاً »

ودقق ﷺ في حسن اختيار وسائل صيد الحيوان ، فنهى عن (الحذف) الرمي بالحصاة ، أو النبلة فقال ...

« إنها لاتصيد صيداً ولاتنكأ عدواً ، ولكنها تكسر السن وتفقأ العين[1] » ...

وروى الترمذي عن عبد الله بن عباس : نهى النبي (ﷺ) عن التحريش بين البهائم ، كما روى عن سيدنا عمر رضي الله عنه أنه رأى رجلاً يسوق جملاً مثقلاً بالأحمال فضربه وقال له : ـ

« حملت جملك مالا يطيق »

ولما وفد الأحنف بن قيس ، أتى سيدنا عمر إلى مناخ رواحل القوم وصار يقول :

« ألا اتقيتم الله في ركابكم هذه : أما علمتم أن لها عليكم حقاً ؟ ألا خليتم عنها فأكلت من نبت الأرض .. »

ومن معاني الرفق بالحيوان إحسان تذكيته ..

---

(١) رواه مسلم ...

فمن حسن التذكية أن تراح الذبيحة ، وأن تحد الشفرة المستخدمة في ذبحها ... عن شداد بن أنس ، أن رسول الله (ﷺ) قال : ـ

« إن الله كتب الإحسان على كل شيء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القِتْلة ، وإذا ذكيتم فأحسنوا الذبحة وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته »[1] .

وروى ابن ماجه عن ابن عمر أن النبي (ﷺ) أمر أن تحد الشفار ، وأن توارى عن البهائم ، وقال : ـ

« إذا ذبح أحدكم فليجهز[2] »

وعن ابن عباس أن رجلاً أضجع شاة ، وهو يحد شفرته فقال النبي (ﷺ) :

« أتريد أن تميتها موتات ؟ هلا أحددت شفرتك قبل أن تضجعها . »[3] ...

ونهى رسول الله (ﷺ) عن قطع أجزاء البهيمة ، وهي حية على غرار ما كان يفعله الجاهليون من جب أسنمة الإبل ، وقطع أليات الغنم قائلاً :

« ما قطع من البهيمة وهي حية فهو ميتة لا تؤكل »[4] .. كما نهى رسول الله (ﷺ) عن الذبح بالسن أو الظفر ...

ونهى عن وسم الحيوان في وجهه ... قال (ﷺ) ، وقد رأى حماراً موسوماً في وجهه ...

---

(١) رواه مسلم .

(٢) فليجهز : فليتم .

(٣) رواه الحاكم تصحيحاً على شرط البخاري ...

(٤) رواه أحمد وأبو داوود والترمذي ...

« ألا أبلغكم أني لعنت من وسم البهيمة في وجهها أوضربها في وجهها »[1] ...

فعلى الواسم أن يجعل وسمه في غير وجه الحيوان ، ويمكنه الاستغناء عن ذلك باستخدام ماعرفه علم تربيـة الحيوان وإدارتـه من طرق لتمييز الحيوان أسلم وأوضح وأسهل تطبيقاً من الوسم ...

كما نهى (ﷺ) عن إخصاء البهائم[2] ..

تخصية ذكور البهائم ينتج عنها ألم شـديـد عميق ، وتعرض الحيوان لكثير من الالتهابات والإصابات إذا تمت بما عرفه العامة والأقـدمون من وسـائل التخصيـة ، ولكنهـا وعن طريـق جراحـة الحيـوان تتم بطريقـة علميـة مضمـونـة الـوسـائـل والنتائج ، وتحقق فوائد تمكن الإنسان من زيادة موارده الحيوانية ، فقد وجـد أن التخصية تقلل من شراسـة الـذكور ممـا يسهل على مربيهـا إدارتهـا ، وهي وسيلـة لتحسين سلالة ونوعية الحيوان .. ولحوم الخصي من الذكور يرغبها الجزارون لأنهـا تجد رواجاً ، فهي أقرب لذوق المستهلك ..

وما يقوم به مربو الماشية في الأغنام من قطع لأذنـابهـا ، وهي صغيرة بطرق علمية تعتمد على الضغط الميكانيكي بالتدريج ، بقصد توجيه طـاقـة الحيوان لتوفير غذاء للإنسان أوفر وأجود لا حرج فيه ، لأنه يتم بحسن التوجيـه وإبعـاد الألم ... مثله مثل ما تلقاه حيوانـات التجـارب بمختلف أنواعهـا ، صغيرهـا وكبيرهـا ، في معامل الأبحاث المختلفة من ألم عند استخدام العقاقير ، ومن معاملـة يقتضيهـا سير التجربـة والبحوث السلميـة لمنفعـة الإنسـان، ولتحسين مستقبلـه بتعمير الأرض ، وتفجير طاقاتها الإنتاجية ...

---

(١) رواه أبو داود ...

(٢) أخرجه البزار بإسناد صحيح عن ابن عباس ...

وكثيراً ما كان (ﷺ) يقص على أصحابه قصصاً يلمسون منها معنى للرفق بالحيوان .. حكى لهم عن المرأة التي حبست هرة تعذيباً لها ، فأدخلت بفعلتها النار .. وروى قصة الرجل الذي وجد كلباً في الصحراء يلهث : يأكل الثرى من شدة العطش ، فذهب الرجل إلى البئر ونزع خفه وملأها ماءً ، حتى روي الكلب (فشكر الله له فغفر له) ... وهنا قال الصحابة رضوان الله عليهم ...

.. أإن لنا في البهائم لأجراً ؟

قال (ﷺ) : ـ « في كل كبد رطبة أجر » رواه البخاري ... ومعنى الرفق بالحيوان وحقوقه ومقاصده في الإسلام نجدها قائمة في السلم وفي الحرب ...

فقد ذكر الإمام مالك في موطئه أنه لا يجوز عند الحرب ذبح الغنم ، وتدمير خلايا النحل ... والإمام ابن حزم يحرم ذبح الحيوانات كلها في الحرب ماعدا الخنزير[1] . وقال أبو حنيفة بتدمير كل مالا يستطيع المجاهدون إخضاعه لسيطرتهم ، بما في ذلك البيوت والأشجار والغنم والأبقار .. ويقول الشافعي بتدمير كل مالا حياة له بما في ذلك الأشجار ، أما الحيوانات فلا يحل ذبحها إلا إذا أيقن المجاهدون أنها تعزز جانب العدو[2] ، وكان للرفق بالحيوان معنى أصيل في وصية سيدنا أبي بكر الصديق لأول حملة لأرض الشام ...

قال رضي الله عنه :

« أيها الناس قفوا أوصكم ، أوصيكم بعشر فاحفظوها عني :

لا تخونوا ولا تغلوا ، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة ، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ، ولا تذبحوا شاة ولا بعيراً ولا

---

(١) المحلى لابن حزم ٢٩٤ / ٣ .

(٢) الطبري ص ١٠٦ ، ١٠٧ ..

بقرة إلا لمأكلة ، وسوف تمرون بقوم قد فرغوا أنفسهم في الصوامع ، فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له ، وسوف تقدمون على قوم يأتونكم بآنية فيها ألوان من الطعام .فإذا أكلتم منها شيئاً بعد شيء فاذكروا اسم الله عليها ... »[1]

ونهى (ﷺ) عن قتل بعض الدواب ، كما أمر بقتل أخر ...

فقد روى أبو داود بإسناد صحيح عن ابن عباس :

أن النبي (ﷺ) نهى عن قتل أربعة من الدواب : النملة والنحلة والهدهد والصرد ..

وعن عائشة رضي الله عنها أن الرسول (ﷺ) قال : ـ

« خمسة من الدواب كلهن فواسق يقتلن في الحرم : ـ الغراب والحدأة ، والفأر والعقرب والكلب العقور » ...[2]

وأَمْرُ رسول الله (ﷺ) بإحسان قِتْلة الحيوان تذكية ، سبق ما يعرف في علم الحيوان اليوم بالقتل رفقاً (HUMANE KILLING) ، وذلك باستخدام الطرق السريعة لمفارقة الحياة بلا عذاب ولا تعذيب ، وذلك حين يجد الإنسان نفسه أمام حيوان يغالب الألم لكبره ، أو عمق جرحه وأذاه ، ومما لا يمكن تذكيته والانتفاع به ، وتأكد من عدم جدوى حياته ، أو كانت نظرته اقتصادية : كارتفاع تكلفة علاجه ، أو لضرره ...

وإنسان اليوم يعرض الحيوان لكثير من المخاطر ، ويورده المهالك من أجل المتعة وزيادة الدخل ، ولا يجد من نفسه معيناً ولا ناهياً ، وما عرفت تربيته قطرات مما ينبت بذرة الرفق والاحترام بحيواناته .. ويعينه على ذلك مواد من

---

(١) تاريخ الطبري ١٨٥٠ / ١ ...

(٢) رواه البخاري ، ومسلم والترمذي والنسائي ...

قوانين أمم مختلفة تتحدث عن جزاء إساءة معاملة الحيوان أليفاً ومتوحشاً ، وعن إرهاقه وجزاء مرهقه ، وعن جزاء إعداد وتنظيم القتال بينها ، وهو يعرف معايشة وتجربة أن تلك القوانين لا تعني أكثر من تدوينها نظرياً ...

فتمارس اليوم في مختلف أنحاء العالم ألعاب يمتهن فيها الحيوان ، ويرهق وتسيل دماؤه ، ويفقد حياته من أجل متعة نفسية لبعض الناس ، وفي الهند ، حيث لا تذبح الأبقار تديناً ، يتم الترخيص بذبحها عندما تتقدم في السن ، وهنالك من الجزارين من يلجأ لتكسير أسنان الأبقار ، أو تعويق أرجلها احتيالاً على الترخيص بذبحها ...

ومن أمثلة تعذيب الحيوان للمتعة ...

مصارعة الثيران ... (BULL FIGHTING)

يوجد هذا النوع من المصارعة في أسبانيا ، والبرتغال وجنوب فرانسا ، وفي أمريكا اللاتينية ...

ويعتبر قتال الثيران في إسبانيا من دواعي النزهة والسياحة ، ويستخدمون لذلك فصائل خاصة يتم تربيتها في الغابات ، عرفت بأنها تنزعج وتغضب عند رؤية اللون الأحمر ، وتكون نهاية اللعبة في أغلب الأحيان هي قتل الثور في « المُجْتلد »[1] ... وانتهت صراعات أخرى بقتل المصارع وطحنه تحت قرون الثور الهائج ... وموسمها بامبلونا (PAMPLONA) هو الفترة من ٦ ـ ١٤ يوليو من كل عام ... وهي تجارية الغرض ، وواسعة النطاق ، ولها من الرواد الكثير ، ومن مشاهير روادها ومعجبيها الكاتب همنغواي ، والذي تعرض لها في كتاباته واصفاً ومادحاً ..

---

(١) الجزء من ميدان المصارعة الذي يوجد في الوسط وهو خاص بالمصارعين ..

أما مصير الثور المصارع ، فيختلف من حلبة لأخرى : ففي إسبانيا غالباً ما يكون الموت طعناً ، أما في البرتغال فإن الثور لا يقتل ، كما يتم تلبيس قرونه بشيءٍ واق حفاظاً على حياة الشباب الذي يحاول صرعها في شوارع (VILA FRANCE DE XIRA) في المدة من ٦ ـ ٨ يوليو من كل عام ...

ومما جاء في وصف مصارعة الثيران[١] ...

« بغيضة ، لا إنسانية ، قاسية على الثور ، قاسية على الجواد ، سيئة بالنسبة للمتفرجين ، إن الثور لا يصارع سوى مرة واحدة ، ذلك لأنه ، حتى ولو لم يقتل في مصارعته الأولى ، فإنه يكون قد تعلم منها ما يجعل من الخطر تعرض الرجال لمصارعته مرة أخرى ، والواقع أن القانون يقضي بإعدام الثور الذي لا يقتل أثناء المصارعة ، وأن يتم ذلك بعد انتهائها مباشرة . » ...

صراع الديكة .. (COCK FIGHT) ..

عرفت قديماً في الهند والصين ... ومارسها الرومانيون ، واليونانيون والفرس ، كما نجدها في أمريكا اللاتينية ، ولقيت كثيراً من العناية الملكية ببريطانيا قبل منعها قانونياً عام ١٨٤٩ م ، ويحرمها الكثير من قوانين دول العالم ، ولكنها في جزيرة بال بأندونسيا تعتبر لعبة قومية ذات طابع ديني ..

وتربى الديكة الخاصة بتلك المصارعة ، وبعد تمرينها والتأكد من مقدرتها ، يجتمع المراهنون حول حلبة صغيرة مستديرة تتصارع فيها الديكة ، ويسبق ذلك وضع قطع معدنية مشحوذة على أرجلها ، لتتمكن بواسطتها من تسديد الضربة القاضية المميتة ، فتتمتع صاحبها والمراهن معها ، ثم توضع الديوك متقابلة وجهاً

---

(١) مصارعة الثيران ـ مجلة المعرفة ، ٣١٩٧ ، ٣١٩٩ / ١٧ ...

لوجه ، ويخلى سبيلها لتتصارع ، ولا تنتهي المصارعة إلا بانتصار أحد الديكين ، وسقوط الآخر صريعاً يكابد جراحه وإن تعددت الجولات ..

مصارعة الكباش ...

عرفت في كثير من أنحاء العالم ، وهي في تونس ترجع للقرن الثامن عشر ، وتمتاز في تونس عن غيرها باتحاد فريد في العالم هو ... « الاتحاد التونسي لمصارعة الكباش » ...

وقد احتفل مرة بمرور ثلاث سنوات على إنشائه ، ويضم هذا الاتحاد في عضويته « ١٩٠ » كبشاً محترفاً ، تنظم لها اللقاءات على مدار العام عدا شهر رمضان ...

وقد حاول الكثيرون ممن يهمهم أمر الحيوان ومستقبله ، أن يعملوا على دفع ما يلقاه من سوء معاملة ، وما يقع عليه من ظلم الإنسان ... فكونت جمعيات للرفق بالحيوان ، وتجمعات باسم أصدقاء الحيوان ، وأخر باسم جمعيات المحافظة على البيئة ، وذهب البعض أكثر من ذلك ، فقال : بإنشاء أمم متحدة للحيوان ،[1] فقد أسس عالم البيئة السويسري فراترفيبر ، والمندوب السامي السابق للأمم المتحدة لشؤون اللاجئين صدر الدين آغاخان ، والكاتب دينيس دي روغمان (منظمة الأمم المتحدة للحيوانات) ، وتهدف هذه المنظمة والتي اتخذت من جنيف مقراً لها طبقاً لنصوص الإعلان إلى ...

.. « تذكير الإنسان بمسؤولياته تجاه الطبيعة ، وإيجاد التوازن الطبيعي بين الإنسان والتجمعات الحيوانية ، والعمل على أن يكون للحيوانات صوت وسند

---

(١) مجلة الأمان .. ص ١٥ العدد ٤٠ (١٦ تشرين الثاني ١٩٧٩) ..

لدى الأمم البشرية ، وأخيراً منحهم في القانون البشري قانوناً يضمن لهم الحماية ، وحقهم في الحياة .. » ...

هكذا تكون مكانة الحيوان في نفس لا تهذبها عقيدة دينية ، .. إما تفريط كما رأينا ، أو إفراط في التدليل والاحترام والمعاملة كما هو الحال في كثير من الأقطار الأوربية والأمريكية ، حيث يجد الحيوان وخاصة حيوانات المنازل والزينة من كماليات الحياة ، مالا يجده إنسان العالم الثالث والدول الفقيرة من ضروريات الحياة ..

فيسمع العالم بمليونيرة أوربية ، لا خلق لها ، توصي بثروتها البالغة عشرات المليونات لكلابها ، وتنشئ شركات التأمين بأنواعها بما في ذلك التأمين على الحياة للكلاب في أمريكا[1] ..

ولكن الإنسان لا تعلمه القوانين ، ولا المنظمات أن يكون رفيقاً رحيماً بحيواناته بقدر ما تهديه بصيرته المهتدية بالاعتقاد والإيمان بربه ، وبمعرفة دور مخلوقاته من البهائم والدواب والأنعام في حياته .. على أن له فائدة منها ومنافع جمة وأن له في كل كبد رطبة عند الله لأجراً ...

☆ ☆ ☆

(١) MAN INSURES DOGS: HOW BETS GET VETS NEWSWEEK SEP . 15 , 1980 P SO

الباب العاشر
طبيعة الحياة والموت وحقيقة البعث

﴿ ...قال فخُذْ أربعة من الطير فَصُرْهُنَّ إليك ثم
اجعل على كل جبلٍ مِنْهُنَّ جُزءاً ثم ادْعُهُنَّ
يأتِينَك سَعْياً واعلم أنَّ الله عزيزٌ حكيم ﴾

(البقرة : ٢٦٠)

جاء الحيوان في القرآن مادة لتبيين طبيعة الحياة والموت في مواضع مختلفة وبصور شتى ...

يقول عن قصة العزير وحماره ...

﴿ أو كالذي مر على قرية وهي خاوية على عروشها قال أنى يُحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثتُ يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلى طعامك وشرابك لم يَتَسَنَّه وانظر إلى حمارك ولنَجْعلكَ آية للناس وانظر إلى العظام كيف ننشزُها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلمُ أن الله على كل شيء قدير ﴾ (البقرة : ٢٥٩) .

هنا وحدة في المكان وتباين في المصير : صاحب الحمار يموت ويحيا من دون أن يمس البلى خلاياه ، ولم يتعفن له طعام ولاشراب ، ولكن تحت الظروف نفسها تعرت عظام حماره ، وبنفس التدرج الذي يتم به تكون خلايا الأجنة في أرحام أمهاتها ، تعرض صورة الخلق : أولاً تنمو العظام ، وفي مرحلة آتية تنمو العضلات ، تنشز العظام ، ثم تكسى لحماً ...، ليدرك نبي الله العزير وبقية البشر كيف كان للقدرة الخالقة المطلقة ، ذات المشيئة المطلقة ... أن تتقيد بقوانين طبيعية وتشريحية ، وضعتها ناموساً عاماً للكون ، ولها أن تخرقها وتوقف مشيئتها ... صورة حمار كاملة ، وقد كان أمام العزير عظاماً نخرة ، فما كان منه إلا أن أدرك الغرض من المشهد العلوي ، ورد حقيقة الحياة والموت والبعث لله رب العالمين ...

﴿ فلما تبين له قال أعلم أن الله على كل شيء قدير ﴾

وجاء دور نبي الله إبراهيم والذي قال عنه القرآن ...

﴿ واتخذ الله إبراهيم خليلاً ﴾ (النساء : ١٢٥)

﴿ إن إبراهيم لحليم أواه منيب ﴾ (هود : ٧٥) ...

﴿ إن إبراهيم كان أمة قانتاً لله حنيفاً ﴾ (النحل : ١٢٠)

﴿ واذكر في الكتاب إبراهيم إنه كان صديقاً نبياً ﴾ (مريم : ٤١)

﴿ وإبراهيم الذي وفى ﴾ (النجم : ٣٧)

﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ﴾ (الممتحنة : ٤)

مع كل ذلك يسأل إبراهيم ربه متشوقاً لمعرفة سر الحياة والموت ...

﴿ وإذ قال إبراهيم رب أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي ... ﴾ (البقرة : ٢٦٠) ...

وإبراهيم النبي كما وصفه ربه ، ذو إيمان ثابت كامل مستقر ... غير أن له نفساً بها شوق للراحة تحت ظل تجربة عملية لطبيعة الخلق ، لعلها تتنفس عطر المشاهدة ، فتستريح ويطمئن قلب صاحبها ...

واستجاب له ربه وطلب منه أن يجري التجربة بيده ...

﴿ قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل على كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً ﴾ .

ويمتد المشهد أمامه : اختيار أربعة من الطير ، تقريبها لمعرفة مميزاتها وصفاتها ، لينتفي احتمال الخطأ في معرفتها وتمييزها ، ذبحها ، تمزيق أجسادها ، وتفريق أجزائها على جبال مختلفة أمام إبراهيم ، إذاً طيور أربعة فارقتها الحياة ، ممزقة إلى أجزاء ، مفرقة على جبال متعددة وبلا حراك ، ويكمل الخيال الصورة ،

فإذا دمها يسيل بذبحها على الأرض مختلطاً ببعضه وبغيره ، متجمدة جوانبه ، غير أن كل ذلك لايحد من مشيئة الخالق : كن فيكون ، ولكنه إبراهيم المؤمن ينشد مرحلة اطمئنان القلب ، ولكي يتابع ببشريته مشهد الخلق ، أجريت تجربة الإحياء ببطء أمامه ، ليتمكن من متابعتها ، فلا تظمأ نفسه لمزيد من التجارب فتسكن وتستريح ...

وتظهر في الأفق لوحة الإحياء .. ويتم الرسم عليها بتصوير شامل دقيق يتناسب و ﴿ ليطمئن قلبي ﴾ .

إبراهيم يدعو الطيور : تجمعت أجزاؤها ، هاهي تأتيه سعياً ، إبراهيم يقربها ويميلها إليه ، ليتأكد من أوصافهن ومميزاتهن ، هي بنفسها وذاتها وصفاتها ، قلب إبراهيم يطمئن ويسكن .

وصورة للبعث نجدها في قصة بقرة بني إسرائيل ...

﴿ وإذ قتلتم نفساً فادرأتم فيها والله مخرج ماكنتم تكتمون . فقلنا اضربوه ببعضها كذلك يحي الله الموتى ويريكم آياته لعلكم تعقلون ﴾ .

وعندما انتفض الميت متحدثاً بأثر ضربة من بعض بقرتهم المذبوحة ، تبين لهم أن قوة الله قادرة على أن تطوي المسافة البعيدة بين الموت والحياة في لحظات قلائل ...

ونلمس صورة أخرى لوقوع البعث في قصة أهل الكهف وكلبهم ، وقد بعثهم الله بعد نومتهم الطويلة ، ولكنه الإنسان مضياعاً لطاقاته العقلية ، فقد صرفها في التحدث والجدال حول عددهم ، واسم كلبهم ، وفاته أن يدرك مافي الآية من تصوير للبعث وحقيقته ...

وفي لوحة أخرى نجد أن طبيعة الأنسجة والخلايا الحية قد تغيرت بتأثير الطبخ وحرارته كغداء موسى وفتاه ﴿ آتنا غداءنا ﴾ ...

وغداؤهم كان سمكاً ، ومن العادة أن يؤكل مطبوخاً ومشوياً ، فأحياه الله ، واتخذ سبيله في البحر عجباً ، ليعرف به موسى مكان موعده ، والرجل الصالح ...

وورد الحيوان أيضاً في توضيح صورة الخلق ، سواء كان من عدم أو عن طريق نفخ الروح في هيئة حيوانية تُشَكَّل ، فقد طلب قوم سيدنا صالح منه أن يخرج لهم ناقة من قلب الجبل ، فخرجت من الصخرة معجزة وتبياناً .

وكان الإحياء معجزة لسيدنا عيسى من ربه ، فهو للروح نافخ ...

﴿ ...وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني ﴾ (المائدة : ١١٠)

يقول عبد العزيز سيد الأهل[1] ...

« فقد أورد القرآن قصصاً للبعث تستوعب كل الصور التي تكون عليها الأجساد حين تبعث من جديد : ضرب قصة أهل الكهف للإحياء من رقاد طويل ، لم تبل منه الجثث ، ولم يتمزق التركيب ، وضرب قصة الطير التي تمزقت فيها الطيور أجزاءاً ، وقصة عزير التي تمزق فيها التركيب كله ـ أدلة للوعد الحق بالبعث ، سواء تفرقت الأبدان أم لم تتفرق ، فاستوعب القرآن بها كل الصور التي يحدث فيها الاستغراب للبعث بعد الموت ...» ...

والإنسان ، وهو أحد الكائنات الحية التي أوجدها الله على سطح الأرض ، خلق وفيه شيء من التفضيل والتكريم والاحترام ، وبكيانه المعنوي قبس من نور الله ونفخة من روحه ...

---

(١) (من إشارات العلوم في القرآن) ص ١٦٥ ، ط / ١ ١٩٧٢ (دار النهضة) .

﴿ فإذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين ﴾ (الحجر : ٢٩)

﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الإنسان من طين . ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين . ثم سواه ونفخ فيه من روحه وجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة قليلاً ماتشكرون ﴾ (السجدة : ٧ ـ ٩) .

فالإنسان يتساوى في خلقه مع الحيوان أجنة وتركيباً ، ولكنه أُنشئ خلقاً آخر (المؤمنون ١٤) ، فتسامى عن الغريزة الحيوانية ، إلى مرتبة القدرة على التفكير ، وإجالة الذهن حيث السُّمو والنفخة الروحية ، ولما كان الإنسان قد تميز على سائر المخلوقات بالعقل ، وقدرة الاختيار والحرية فيه ، والتصرف بمقتضاه ، كان له التكليف ، وتحمل المسؤولية عما يفعل ...

ويقول القرآن ....

﴿ ومامن دابة في الأرض ولاطائر يطير بجناحيه إلا أمم أمثالكم ما فرطنا في الكتاب من شيء ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ (الأنعام : ٣٨)

ودواب الأرض تختلف نوعاً ومعيشة : فمنها مايسير ويمشي ، ومايطير ، ومايسبح ، ومايزحف ، ولكل أمة منها خاصية مميزة ، ولها غريزة إلهية تسهل دورها في الحياة ...

هنالك الفقاريات (ذات العمود الفقري) ، واللافقاريات (فاقدة العمود الفقري) ... واللافقاريات تشمل الحيوانات الأولية (البروتوزوا) ، والمساميات (الحيوانات الإسفنجية) ، والمرجانيات ، وزهور البحر ، والديدان ، والحيوانات المفصلية ، والرخويات (الأصداف والقواقع) ، والحيوانات الجلد و شوكية (قنافذ البحر ، نجوم البحر وخيار البحر) ... وتضم الفقاريات كلاً من الأسماك والحيوانات البرمائية ، والزواحف ، والطيور ، والثديات ...

... كل هذه الأمم بالإضافة إلى أمة الناس ترد لربها يوم الحشر ، فيفعل بها مايريد ... (الأنعام : ٣٨)

وقد اختلف العلماء في معنى حشر الحيوانات ، ويرى آخرون بأن المراد بالآية ساعة الاضطراب عند انحلال النواميس الكونية ، وقد استولى الرعب على الجميع ....، قال الطبري في تفسير (الأنعام : ٣٨) بأنها تقر أمر البعث وأنه حاصل لجميع الحيوانات فضلاً عن الإنسان ، فهي تحشر يوم القيامة ، ويوصل إليها حقوقها ، وأورد ذلك ابن كثير ، ويقول ابن عباس : بأن المراد في قوله ﴿ ثم إلى ربهم يحشرون ﴾ بأن حشرها هو موتها ...

ويقول العقاد[1] ...

« ... كانت المرأة على الإطلاق شراً محضاً ، وحبالة من حبالات الشيطان ، بل أخطر هذه الحبالات ، واستكثر أناس من آباء الكنيسة وفقهائها أن تكون لها روح علوية ، فبحثوا في ذلك وأوشكوا أن يلحقوها بزمرة الحيوان الذي لاحياة له بعد فناء جسده .. »

ومنهم من يذهب لأكثر من بعثها ، فيقول بدخول بعضها الجنة ...

فائدة : « قالوا الدواب التي تدخل الجنة من دواب الدنيا عشرة ... البراق ، وناقة صالح ، وحمار العزير ، وعجل الخليل ، وكبش إسماعيل ، وهدهد سليمان ، ونملته ، وكلب أهل الكهف ، وحوت يونس ، وبقرة بني إسرائيل .. »[2] ...

كما تعرض لقضية بعث الحيوانات ومحاسبتها كل من الطبري وابن كثير عند تفسير الآية ..﴿ ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ﴾ ...

---

(١) الفلسفة القرآنية ـ ص ٦٢ الزواج ـ المكتبة العصرية بيروت .

(٢) ص(٧) « حاشية أبي البركات سيدي أحمد الدردير على قصة المعراج » ... للشيخ نجم الدين الغيطي ـ عيسى البابي الحلبي ١٩٦٠ ...

يقول الطبري عن الحسن ...

« وقوله : ﴿ ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ﴾ يقول تعالى ذكره : ويقول الكافر يومئذ تمنياً لما يلقى من عذاب الله الذي أعده لأصحابه الكافرين : ياليتني كنت تراباً كالبهائم التي جعلت تراباً » ...

ويقول الطبري أيضاً عن عبد الله بن عمر :

« إذا كان يوم القيامة مد الأديم وحشر الدواب والبهائم والوحش ، ثم يحصل القصاص بين الدواب يقتص للشاة الجماء من الشاة القرناء نطحتها ، فإذا فرغ من القصاص بين الدواب قال لها : كوني تراباً ، قال فعند ذلك يقول الكافر ياليتني كنت تراباً »...

ويقول ابن كثير :...

﴿ ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً ﴾ ، أي يود الكافر يومئذ أنه كان في الدار الدنيا تراباً ، ولم يكن خلق ولاخرج للوجود ، وذلك حين عاين عذاب الله ونظر إلى أعماله الفاسدة ، قد سيطرت عليه بأيدي الملائكة السفرة الكرام البررة ، وقيل إنما يود ذلك حين يحكم الله بين الحيوانات التي كانت في الدنيا ، فيفصل بينها بحكمه العدل الذي لايجور ، حتى إنه ليقتص للشاة الجماء من القرناء ، فإذا فرغ من الحكم بينها قال لها : كوني تراباً فتصير تراباً ، فعند ذلك يقول الكافر : ﴿ ياليتني كنت تراباً ﴾ ، أي كنت حيواناً فأرجع إلى التراب ، وقد ورد معنى هذا في حديث الصور المشهور ، وورد في آثار عن أبي هريرة وعبد الله بن عمر وغيرهما ... » .

وقال الإمام الألوسي في مسألة بعث الحيوانات ...

« ... وليس في الباب نص من كتاب أو سنة يعول عليه ، يدل على حشر

غير الثقلين من الوحوش والطيور ، وقال : ومن القريب جداً أن يكون الحديث الذي ذكروه كناية عن تمام العدل ، بدليل ماجاء في بعض الروايات من الاقتصاص من الحجر إذا وقع على الحجر ... » .

وأورد البيان الحيوان في آيات التعبير عن السرعة التي يتم بها البعث ، ومايسبق قيام الساعة من هلع بين الناس ، واضطراب في نفسياتهم ... ووصف الحالة التي يكون عليها غير البشر من مخلوقات الكون ودوابه ...

﴿ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث . وتكون الجبال كالعهن المنفوش ﴾ (القارعة : ٤ ـ ٥)

﴿ يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر ﴾ (القمر : ٧) .

﴿ وإذا الوحوش حشرت ﴾ (التكوير : ٥) .

فيمتلئ الكون اضطراباً ، والنفوس هلعاً ...

فذلك يوم عسير ...

☆ ☆ ☆

الفهارس

١ ـ فهرس ألفاظ القرآن التي تحدثت عن الحيوان
٢ ـ المصادر والمراجع
٣ ـ فهرس الموضوعات

فهرس

ألفاظ القرآن التي تحدثت عن الحيوان

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
الإبل (٢)	ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين	١٤٤ ك	الأنعام	٦
	أفلا ينظرون إلى الإبل كيف خُلقت	١٧ ك	الغاشية	٨٨
بَحِيرة	ما جعل الله من بَحِيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام	١٠٣ م	المائدة	٥
البدو	وجاء بكم من البدو	١٠٠ ك	يوسف	١٢
بعير (٢)	ونَمِير أهلَنا ونحفظ أخانا ونزداد كيْل بعير	٦٥ ك	يوسف	١٢
	قالوا نفقد صُواع الملك ولمن جاء به حِمْل بعير	٧٢ ك	يوسف	١٢
بعوضة	إن اللهَ لا يستحي أن يضرب مثلاً ما بعوضة	٢٦ م	البقرة	٢
البغال	والخيلَ والبغالَ والحمير لتركبوها وزينةً	٨ ك	النحل	١٦
البقر (٣)	قالوا ادع لنا ربك يبيِّنْ لنا ما هي إن البقر ...	٧٠ م	البقرة	٢
	ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين	١٤٤ ك	الأنعام	٦
	ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما	١٤٦ ك	الأنعام	٦

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
بقرة (٤)	وإذ قال موسى لقومه إنَّ الله يأمركم أن تذبحوا بقرةً	٦٧ م	البقرة	٢
	قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ولا بكر	٦٨ م	البقرة	٢
	قال إنه يقول إنها بقرة صفراء	٦٩ م	البقرة	٢
	قال إنه يقول إنها بقرة لا ذلول	٧١ م	البقرة	٢
بقرات (٢)	وقال الملك إني أرى سبع بقرات سِمان	٤٣ ك	يوسف	١٢
	يوسف أيها الصديق أفتِنا في سبع بقراتٍ	٤٦ ك	يوسف	١٢
بهيمة (٣)	أحلت لكم بهيمة الأنعام	١ م	المائدة	٥
	ويذكروا ..... على ما رزقهم من بهيمة الأنعام	٢٨ م	الحج	٢٢
	ولكل أمة ... على ما رزقهم من بهيمة الأنعام	٣٤ م	الحج	٢٢
بَيْض	كأنهن بيض مكنون	٤٩ ك	الصافات	٣٧
ثُعبان (٢)	فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين	١٠٧ ك	الأعراف	٧
	فألقى عصاه فإذا هي ثعبان مبين	٣٢ ك	الشعراء	٢٦
الجوارح	قل أُحِلَّ لكم الطيبات وما علمتم من الجوارح	٤ م	المائدة	٥
جراد (٢)	فأرسلنا عليهم الطوفان والجراد	١٣٣ ك	الأعراف	٧
	يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر	٧ ك	القمر	٥٤
جلود	وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً تستَخِفّونها	٨٠ ك	النحل	١٦

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
جِمالة	إنها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالتٌ صُفر	٣٣ ك	المرسلات	٧٧
الجمل	ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط	٤٠ ك	الأعراف	٧
جانٌ	فلما رآها تهتز كأنها جانٌّ ولى مدبراً ولم يعقب	١٠ ك	النمل	٢٧
	فلما رآها تهتز كأنها جانٌّ ولى مدبراً ولم يعقب	٣١ ك	القصص	٢٨
الجياد	إذ عُرض عليه بالعشي الصافنات الجياد	٣١ ك	ص	٣٨
المحتظر	إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر	٣١ ك	القمر	٥٤
الحمار	مثل الذين حُملوا التوراة .... كمثل الحمار يحمل أسفاراً	٥ م	الجمعة	٦٢
حمارك	وانظر إلى حمارك ولنجعلك آية ...	٢٥٩ م	البقرة	٢
	كأنهم حمرٌ مستنفرة	٥٠ ك	المدثر	٧٤
الحمير (٢)	والخيل والبغال والحمير لتركبوها	٨ ك	النحل	١٦
	واغضض من صوتك إن أنكر الأصوات لصوت الحمير	١٩ ك	لقمان	٣١
حمولة	ومن الأنعام حمولة وفرشاً ...	١٤٢ ك	الأنعام	٦
حام	ماجعل الله من بَحيرة ولا سائبة ولا وصيلة ولا حام	١٠٣ م	المائدة	٥
حنيذ	قال سلام فما لبث أن جاء بعجل حنيذ	٦٩ ك	هود	١١

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
الحوت (٣)	فإني نسيت الحوت	٦٣ ك	الكهف	١٨
	فاصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت	٤٨ م	القلم	٦٨
	فالتقمه الحوت وهو مليم	١٤٢	الصافات	٣٧
حوتهما	فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما	٦١ ك	الكهف	١٨
حيتانهم	إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرَّعاً	١٦٣ م	الأعراف	٧
الحوايا	إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا	١٤٦ ك	الأنعام	٦
حية	قال ألقها يا موسى فألقاها فإذا هي حيّة تسعى	٢٠ ك	طه	٢٠
خنزير (٤)	إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ...	١٧٣ م	البقرة	٢
	حرمت عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير ...	٣ م	المائدة	٥
	إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير ... وما أهل لغير الله به	١٤٥ ك	الأنعام	٦
	إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل لغير الله به	١١٥ ك	النحل	١٦
الخنازير	من لعنه الله وغضب عليه وجعل منهم القِردة والخنازير	٦٠ م	المائدة	٥
الخرطوم	سنسمه على الخرطوم	١٦ ك	القلم	٦٨
المنخنقة	حرمت عليكم ... والمنخنقة	٣ م	المائدة	٥
الخيل (٤)	زُيِّن للناس حب الشهوات ... والخيل المسوّمة	١٤ م	آل عمران	٣

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
الخيل (٤)	وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل	٦٠ م	الأنفال	٨
	والخيل والبغال والحمير	٨ ك	النحل	١٦
	فما أوْجفتم عليه من خيل ولا ركاب	٦ م	الحشر	٥٩
بخيلك	واستفزز .... وأجلب عليهم بخيلك وَرَجِلك	٦٤ ك	الإسراء	١٧
دابة (١٤)	فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة	١٦٤ م	البقرة	٢
	وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها	٦ ك	هود	١١
	ما من دابة إلا هو آخذ بناصيتها	٥٦ ك	هود	١١
	والله خلق كل دابة من ماء	٤٥ م	النور	٢٤
	وإذا وقع القول عليهم أخرجنا لهم دابة	٨٢ ك	النمل	٢٧
	وكأين من دابة لا تحمل رزقها ...	٦٠ ك	العنكبوت	٢٩
	وألقى ... وبث فيها من كل دابة	١٠ ك	لقمان	٣١
	... مادلهم على موته إلا دابة الأرض	١٤ ك	سبأ	٣٤
	ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ... من دابة	٤٥ ك	فاطر	٣٥
	ومن آياته خلق السموات والأرض و ... من دابة	٢٩ ك	الشورى	٤٢
	وفي خلقكم وما يبث من دابة ..	٤ ك	الجاثية	٤٥
الدواب (٤)	إن شر الدواب عند الله	٥٥ م	الأنفال	٨
	إن شر الدواب عند الله	٢٢ م	الأنفال	٨

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
	ألم تر ... والـــدوابُّ وكثير من الناس	١٨ م	الحج	٢٢
	ومن الناس والدواب والأنعام	٢٨ ك	فاطر	٣٥
دحاها	والأرض بعد ذلك دحاها	٣٠ ك	النازعات	٧٩
دم	إنما حرم عليكم الميتة والدم ...	١٧٣ ك	البقرة	٢
	حرمت عليكم الميتة والدم	٣ م	المائدة	٥
	فـأرسلنـا عليهم .... والـدم آيـات مفصلات	١٣٣	الأعراف	٧
	نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم ...	٦٦ ك	النحل	١٦
	إنما حرم عليكم الميتة والدم	١١٥ ك	النحل	١٦
دماً	... إلا أن يكـون ميتـة أو دمـاً مسفوحاً	١٤٥ ك	الأنعام	٦
دماؤها	لن ينال اللهَ لحومُها ولا دماؤها ...	٣٧ م	الحج	٢٢
الذئب (٣)	قـال إنـه لَيحْـزُنني ... وأخـاف أن يأكله الذئب	١٣ ك	يوسف	١٢
	قالوا لئن أكله الذئب ...	١٤ ك	يوسف	١٢
	قالوا ياأبانا ... فأكله الذئب	١٧ ك	يوسف	١٢
الذباب	وإن يسلبهم الذباب شيئاً	٧٣ م	الحج	٢٢
ذباباً	إن الذين ... لن يخلقوا ذباباً	٧٣ م	الحج	٢٢
فذبحوها	.... قـالـوا الآن جئت بـالحـق فذبحوها ...	٧١ م	البقرة	٢
لأذبحنه	لأعذبنهُ ... أو لأذبحنه	٢١ ك	النمل	٢٧
تذبحوا	إذ قال موسى لقومـه إن الله يـأمركم أن تذبحوا بقرة	٦٧ م	البقرة	٢

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
ذُبح	وما أكل السبع إلا ماذكيتم وما ذبح على النصب	٣ م	المائدة	٥
ذِبْح	وفديناه بِذِبْح عظيم	١٠٧ ك	الصافات	٣٧
ذرة (٦)	إن الله لا يظلم مثقال ذرة	٤٠ م	النساء	٤
	وما يعْزُب عن ربك من مثقال ذرة	٦١ ك	يونس	١٠
	قل ادعوا .... لا يملكون مثقال ذرة	٢٢ ك	سبأ	٣٤
	لا يعزب عنه مثقال ذرة	٣ ك	سبأ	٣٤
	فمن يعمل مثقال ذرة	٧ م	الزلزلة	٩٩
	ومن يعمل مثقال ذرة	٧ م	الزلزلة	٩٩
ذكيتم	وما أكل السبُع إلا ماذكيتم	٣ م	المائدة	٥
المتردية	والموقوذة والمتردية والنطيحة	٣ م	المائدة	٥
ارعوا	كلوا وارعوا أنعامكم	٥٤ ك	طه	٢٠
الرعاء	قال ماخطبكما قالتا لانسقي حتى يُصْدِر الرعاء ...	٢٣ ك	القصص	٢٨
المرعى	والذي أخرج المرعى ...	٤ ك	الأعلى	٨٧
مرعاها	والأرض بعد ذلك دحاها ، أخرج منها ماءها ومرعاها	٣١ ك	النازعات	٧٩
زفير (٢)	فأما الذين شَقُوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق	١٠٦ ك	هود	١١
زفيراً	إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيُّظاً وزفيراً	١٢ ك	الفرقان	٢٥
السبت (٥)	ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت	٦٥ م	البقرة	٢

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
	... أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت	٤٧ م	النساء	٤
	وقلنا لهم لا تعدوا في السبت	١٥٤ م	النساء	٤
	واسألهم .... إذ يعدون في السبت	١٦٣ م	الأعراف	٧
	إنما جُعِلَ السبت على الذين اختلفوا ...	١٢٤ ك	النحل	١٦
يسبتون	ويوم لا يسبتون لا تأتيهم ...	١٦٣ م	الأعراف	٧
سبتهم	... يوم سبتهم شُرعاً	١٦٣ م	الأعراف	٧
السَّبُعُ	وما أكل السبُع إلا ما ذكيتم	٣ م	المائدة	٥
السلوى	وظللنا ... وأنزلنا عليكم المن والسلوى	٥٧ م	البقرة	٢
	وظللنا ... وأنزلنا عليهم المن والسلوى	١٦٠ ك	الأعراف	٧
	وواعدناكم ... ونزلنا عليكم المن والسلوى	٨٠ ك	طه	٢٠
شحومهما	ومن البقر .... حرمنا عليهم شحومهما	١٤٦ ك	الأنعام	٦
أشعارها	ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها	٨٠ ك	النحل	١٦
شهيق	فأما الذين ... لهم فيها زفير وشهيق	١٠٦ ك	هود	١١
شهيقاً	إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً ...	٧ ك	الملك	٦٧
تصعر	لا تصعر خدك للناس	١٨ ك	لقمان	٣١
صافات (٢)	والطير صافات كل قد علم صلاته وتسبيحه	٤١ م	النور	٢٤

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
	أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ...	١٩ ك	الملك	٦٧
صواف	فاذكروا اسم الله عليها صوافّ	٣٦ م	الحج	٢٢
الصافنات	إذ عرض عليه بالعشي الصافنات الجياد	٣١ ك	ص	٣٨
أصوافها	ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها	٨٠ ك	النحل	١٦
فاصطادوا	وإذا حللتم فاصطادوا	٢ م	المائدة	٥
الصيد (٥)	أحلت لكم ... غير محلي الصيد	١ م	المائدة	٥
	... ليبلونكم الله بشيء من الصيد ...	٩٤ م	المائدة	٥
	يأيها الذين آمنوا لاتقتلوا الصيد ...	٩٥ م	المائدة	٥
	أحل لكم صيد البحر وطعامه	٩٦ م	المائدة	٥
	وحرم عليكم صيد البر مادمتم حُرُماً	٩٦ م	المائدة	٥
الضأن	ثمانية أزواج من الضأن اثنين	١٤٣ ك	الأنعام	٦
ضامر	وأذّن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر	٢٧ م	الحج	٢٢
يطير	وما من دابة في الأرض ولا طائر يطير	٣٨ ك	الأنعام	٦
الطير (١٦)	قال فخذ أربعة من الطير فصُرْهن إليك ..	٢٦٠ م	البقرة	٢
	أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير	٤٩ م	آل عمران	٣
	وإذ تخلق من الطين كهيئة الطير بإذني	١١٠ م	المائدة	٥

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
الطير	إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه	٣٦ ك	يوسف	١٢
	وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه	٤١ ك	يوسف	١٢
	ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء	٧٩ ك	الأنبياء	٢١
	ومن يشرك بالله .... فتخطفه الطير	٣١ م	الحج	٢٢
	ألم تر أن الله يسبح له ... والطير صافات	٤١ م	النور	٢٤
	وورث سليمان داود ... عُلمنا منطق الطير	١٦ ك	النمل	٢٧
	وحُشِر لسليمانَ جنودُه من الجن والإنس والطير	١٧ ك	النمل	٢٧
	وتفقد الطير فقال مالي لاأرى الهدهد	٢٠ ك	النمل	٢٧
	ولقد آتينا ... أوّبي معه والطير	١٠ ك	سبأ	٣٤
	والطير محشورة كل له أواب	١٩ ك	ص	٣٨
	أولم يروا إلى الطير فوقهم صافات ...	١٩ ك	الملك	٦٧
طيرٍ	ولحم طيرٍ مما يشتهون	٢١ ك	الواقعة	٥٦
طيراً (٣)	فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله	٤٩ م	آل عمران	٣
	فتنفخ فيها فتكون طيراً بإذني	١١٠ م	المائدة	٥
	وأرسل عليهم طيراً أبابيل	٢ ك	الفيل	١٠٥

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
طائر	ومـــا من دابـــة في الأرض ولا طائر	٣٨ ك	الأنعام	٦
ظفر	وعلى الذين هـادوا حرمنـا كل ذي ظفر	١٤٦ ك	الأنعام	٦
ظهوره	لتستـووا على ظهـوره ثم تـذكروا نعمة الله	١٣ ك	الزخرف	٤٣
ظهورها	وأنعام حرمت ظهورها وأنعام ...	١٣٨ ك	الأنعام	٦
ظهورهما	حرمت عليهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما	١٤٦ ك	الأنعام	٦
عجاف (٢)	إني أرى سبع بقرات سِمان يـأكلهن سبع عجاف	٤٣ ك	يوسف	١٢
	أفتنـا في سبع بقرات سمان يـأكلهن سبع عجاف	٤٦ ك	يوسف	١٢
العجل (٦)	ثم اتخـذتم العجـل من بعـده وأنتم ظالمون	٥١ م	البقرة	٢
	يـاقـوم إنكم ظلمتم أنفسكم بـاتخـاذكم العجل	٥٤ م	البقرة	٢
	ثم اتخـذتم العجـل من بعـده وأنتم ظالمون	٩٢ م	البقرة	٢
	... وأشربوا في قلوبهم العجل	٩٣ م	البقرة	٢
	ثم اتخذوا العجل من بعد ما جـاءتهم البينات	١٥٣ م	النساء	٤
	إن الذين اتخذوا العجل	١٥٢ ك	الأعراف	٧
عجل (٢)	... فما لبث أن جاء بعجل حنيذ	٦٩ ك	هود	١١
	فراغ إلى أهله فجاء بعجل سمين	٢٦ ك	الذاريات	٥١

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
عجلاً (٢)	واتخذ قوم موسى .... عجلاً جسداً له خوار	١٤٨ ك	الأعراف	٧
	فأخرج له عجلاً جسداً له خوار	٨٨ ك	طه	٢٠
العاديات	والعاديات ضبحاً	١ ك	العاديات	١٠٠
عسل	... وأنهار من عسل مصفى	١٥ م	محمد	٤٧
العشار	وإذا العِشار عطلت	٤ ك	التكوير	٨١
العنكبوت (٢)	كمثل العنكبوت اتخذت بيتاً	٤١ ك	العنكبوت	٢٩
	إن أوهن البيوت لبيت العنكبوت	٤١ ك	العنكبوت	٢٩
كالعهن (٢)	يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن	٩ ك	المعارج	٧٠
	وتكون الجبال كالعهن المنفوش	٥ ك	القارعة	١٠١
العير (٣)	ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون	٧٠ ك	يوسف	١٢
	واسأل القرية التي كنا فيها والعير التي أقبلنا فيها ...	٨٢ ك	يوسف	١٢
	ولما فصلت العير قال أبوهم	٩٤ ك	يوسف	١٢
غداءنا	فلما جاوزا قال آتنا غداءنا	٦٢ ك	الكهف	١٨
الغنم (٢)	ومن البقر والغنم حرمنا عليهم شحومهما	١٤٦ ك	الأنعام	٦
	وداوود وسليمان .... إذ نفشت فيه غنم القوم	٧٨ ك	الأنبياء	٢١
غنمي	قال هي عصاي أتوكأ عليها وأهش بها على غنمي	١٨ ك	طه	٢٠
الغراب	... أعجزت أن أكون مثل هذا الغراب	٣١ م	المائدة	٥

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
غراباً	فبعث الله غراباً يبحث في الأرض	٣١ م	المائدة	٥
فرث	نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم	٦٦ ك	النحل	١٦
فرشاً	ومن الأنعام حمولة وفرشاً	١٤٢ ك	الأنعام	٦
الفراش	يوم يكون الناس كالفراش المبثوث	٤ ك	القارعة	١٠١
فارض	قال إنه يقول إنها بقرة لا فارض ...	٦٨ م	البقرة	٢
بقربان	إن الله عهد إلينا ألا ... حتى يأتينا بقربان	١٨٣ م	آل عمران	٣
قرباناً (٢)	واتل .... إذ قربا قرباناً	٢٧ م	المائدة	٥
	فلولا .... قرباناً آلهة	٢٨ ك	الأحقاف	٤٦
قردة (٣)	فقلنا لهم كونوا قردة خاسئين	٦٥ م	البقرة	٢
	... وجعل منهم القردة والخنازير	٦٠ م	المائدة	٥
	... قلنا لهم كونوا قردة خاسئين	١٦٦ م	الأعراف	٧
قسورة	كأنهم حمر مستنفرة فرت من قسورة	٥١ ك	المدثر	٧٤
الكلب	فمثله كمثل الكلب	١٧٦ م	الأعراف	٧
كلبهم (٤)	وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد	١٨ ك	الكهف	١٨
	سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم	٢٢ ك	الكهف	١٨
	ويقولون خمسة سادسهم كلبهم	٢٢ ك	الكهف	١٨
	ويقولون سبعة وثامنهم كلبهم	٢٢ ك	الكهف	١٨
مكلبين	وما علمتم من الجوارح مكلبين	٤ م	المائدة	٥
اللؤلؤ (٣)	ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون	٢٤ ك	الطور	٥٢
	يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان	٢٢ م	الرحمن	٥٥
لؤلؤاً	يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً	٢٣ ك	الحج	٢٢

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
	يحلون فيها من أساور من ذهب ولؤلؤاً	٣٣ ك	فاطر	٣٥
	إذا رأيتهم حسبتهم لؤلؤاً منثوراً	١٩ م	الإنسان	٧٦
لبن	فيها أنهار ... ولبن لم يتغير طعمه	١٥ م	محمد	٤٧
لبناً	نسقيكم مما في بطونه .... لبناً خالصاً	٦٦ ك	النحل	١٦
لحم (٦)	إنما حرم عليكم .... ولحم الخنزير	١٧٣ م	البقرة	٢
	حرمت عليكم ... ولحم الخنزير	٣ م	المائدة	٥
	إلا أن يكون .... أو لحم خنزير	١٤٥ ك	الأنعام	٦
	وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون	٢٢ ك	الطور	٥٢
	وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير مما يشتهون	٢١ ك	الواقعة	٥٦
لحماً (٢)	وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً	١٤ ك	النحل	١٦
	ومن كلٍّ تأكلون لحماً طرياً	١٢ ك	فاطر	٣٥
لحومها	لن ينال الله لحومها ولا دماؤها	٣٧ م	الحج	٢٢
المرجان	يخرج منها اللؤلؤ والمرجان	٢٢ م	الرحمن	٥٥
	كأنهن الياقوت والمرجان	٥٨ م	الرحمن	٥٥
مسك	ختامه مسك وفي ذلك فليتنافس المتنافسون	٢٦ ك	المطففين	٨٣
مكاء	وما كانت صلاتهم عند البيت إلا مُكاء وتصدية	٣٥ ك	الأنفال	٨
الميتة (٥)	إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير	١٧٣ م	البقرة	٢
	حرمت عليكم الميتة	٣ م	المائدة	٥

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
	وإن يكن ميتةً فهم فيه شركاء	١٣٩ ك	الأنعام	٦
	إلا أن يكون ميتةً أو دماً مسفوحاً	١٤٥ ك	الأنعام	٦
	إنما حرم عليكم الميتة والدم	١١٥ ك	النحل	١٦
انحر	إنا أعطيناك الكوثر فصل لربك وانحر	٢ ك	الكوثر	١٠٨
النطيحة	والمنخنقة والموقوذة والمتردية والنطيحة	٣ م	المائدة	٥
نعجة (٢)	إن هذا أخي له تسع وتسعون نعجة ...	٢٣ ك	ص	٣٨
	ولي نعجة واحدة	٢٣ ك	ص	٣٨
نعجتك	قال لقد ظلمك بسؤال نعجتك ...	٢٤ ك	ص	٣٨
نعاجه	إلى نعاجه وإن كثيراً من الخلطاء ...	٢٤ ك	ص	٣٨
ينعق	ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق ...	١٧١ م	البقرة	٢
النَّعَم	ومن قتله ... قتل من النعم	٩٥ م	المائدة	٥
الأنعام (٢٦)	... والخيل المسومة والأنعام	١٤ م	آل عمران	٣
	ولآمرنهم فليبتّكن آذان الأنعام	١١٩ م	النساء	٤
	أحلت لكم بهيمة الأنعام	١ م	المائدة	٥
	وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيباً	١٣٦ ك	الأنعام	٦
	وقالوا هذه أنعام وحرث حجر	١٣٨ ك	الأنعام	٦
	وأنعام حرمت ظهورها	١٣٨ ك	الأنعام	٦
	وأنعام لا يذكرون اسم الله عليها ...	١٣٨ ك	الأنعام	٦

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
الأنعام	وقالوا ما في بطون هذه الأنعام ...	١٣٩ ك	الأنعام	٦
	ومن الأنعام حمولة وفرشاً	١٤٢ ك	الأنعام	٦
	أولئك كالأنعام بل هم أضل	١٧٩ ك	الأعراف	٧
	فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام	٢٤ ك	يونس	١٠
	والأنعام خلقها لكم فيها دفء ...	٥ ك	النحل	١٦
	وإن لكم في الأنعام لعبرة ...	٦٦ ك	النحل	١٦
	وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتاً	٨٠ ك	النحل	١٦
	ويذكروا ... على ما رزقهم من بهيمة الأنعام	٢٨ م	الحج	٢٢
	وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم ...	٣٠ م	الحج	٢٢
	... على ما رزقهم من بهيمة الأنعام	٣٤ م	الحج	٢٢
	وإن لكم في الأنعام لعبرة ...	٢١ ك	المؤمنون	٢٣
	إن هم إلا كالأنعام بل هم أضل سبيلا	٤٤ ك	الفرقان	٢٥
	... أمدكم بأنعام ...	١٣٣ ك	الشعراء	٢٦
	ومن الناس والدواب والأنعام ...	٢٨ ك	فاطر	٣٥
	وأنزل عليكم من الأنعام ثمانية أزواج ...	٦ ك	الزمر	٣٩
	الله الذي جعل لكم الأنعام لتركبوا منها	٧٩ ك	غافر	٤٠
	جعل لكم من أنفسكم أزواجاً ومن الأنعام أزواجاً	١١ ك	الشورى	٤٢

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
	وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون	١٢ ك	الزخرف	٤٣
	والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام	١٢ م	محمد	٤٧
أنعاماً (٢)	ونسقيه مما خلقنا أنعاماً وأناسي كثيراً	٤٩ ك	الفرقان	٢٥
	أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعاماً	٧١ ك	يس	٣٦
أنعامكم (٣)	كلوا وارعوا أنعامكم ...	٥٤ ك	طه	٢٠
	... متاعاً لكم ولأنعامكم ...	٣٣ ك	النازعات	٧٩
	وفاكهة وأبًا متاعاً لكم ولأنعامكم	٣٢ ك	عبس	٨٠
أنعامهم	فتخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم	٢٧ ك	السجدة	٣٢
النحل	وأوحى ربك إلى النحل ...	٦٨ ك	النحل	١٦
النمل (٢)	حتى إذا أتوا على وادي النمل ...	١٨ ك	النمل	٢٧
	قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم	١٨ ك	النمل	٢٧
نملة	حتى إذا أتوا على وادي النمل قالت نملة	١٨ ك	النمل	٢٧
النون	وذا النون إذ ذهب مغاضباً ...	٨٧ ك	الأنبياء	٢١
الناقة (٧)	هذه ناقة الله لكم آية ...	٧٣ ك	الأعراف	٧
	فعقروا الناقة وعتوا عن أمر ربهم	٧٧ ك	الأعراف	٧
	ويا قوم هذه ناقة الله لكم آية ...	٦٤ ك	هود	١١
	وآتينا ثمود الناقة مبصرة ...	٥٩ ك	الإسراء	١٧
	هذه ناقة لها شرب ولكم شرب	١٥٥ ك	الشعراء	٢٦

اللفظ	الآية	رقمها	السورة	رقمها
	إنا مرسلو الناقة فتنة لهم ...	٢٧ ك	القمر	٥٤
	فقال لهم رسول الله ناقة الله ...	١٣ ك	الشمس	٩١
الهدهد	مالي لاأرى الهدهد ...	٢٠ ك	النمل	٢٧
الهدي (٦)	... فما استيسر من الهدي	١٩٦ م	البقرة	٢
	ولا تحلقوا رؤوسكم حتى يبلغ الهدي محله	١٩٦ م	البقرة	٢
	... إلى الحج فما استيسر من الهدي	١٩٦ م	البقرة	٢
	لاتحلوا شعائر الله ولا البيت الحرام ولا الهدي	٢ م	المائدة	٥
	... والشهر الحرام والهدي والقلائد	٩٧ م	المائدة	٥
	... والهدي معكوفاً أن يبلغ محله ...	٢٥ م	الفتح	٤٨
هدياً	... يحكم به ذوا عدل منكم هدياً ...	٩٥ م	المائدة	٥
الهيم	فشاربون عليه من الحميم ... فشاربون شرب الهيم	٥٥ ك	الواقعة	٥٦
وأوبارها	ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها ...	٨٠ ك	النحل	١٦
الوحوش	وإذا الوحوش حشرت	٥ ك	التكوير	٨١
الموقوذة	... وما أهل لغير الله به والمنخنقة والموقوذة ...	٣ م	المائدة	٥

المصادر والمراجع

١ ـ القرآن الكريم .

٢ ـ المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم .

٣ ـ علوم القرآن ـ أحمد عادل كمال ط ٣ ١٩٧٦ ـ دار الإرشاد بيروت .

٤ ـ ظلال القرآن ـ الإمام سيد قطب .

٥ ـ فتح الرحيم جزء رقم (٢) ـ محمد بن أحمد الشنقيطي الموريتاني .

٦ ـ التصوير الفني في القرآن ـ الإمام سيد قطب .

٧ ـ القصص القرآني في منطوقه ومفهومه ـ عبد الكريم الخطيب .

٨ ـ الحلال والحرام في الإسلام ط ١٩٦٩/٥ يوسف القرضاوي ـ المكتب الإسلامي .

٩ ـ المبشرون نقاد القرآن ـ عباس محمود العقاد .

١٠ ـ أسرار ترتيب القرآن ـ الحافظ جلال الدين السيوطي ـ ط ١٩٧٦/١ دار الاعتصام ـ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا .

١١ ـ أسرار التكرار في القرآن لتاج القراع محمود بن حمزة بن نصر الكرماني دار الاعتصام ط ١٩٧٦/٢ دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا .

١٢ ـ الإعجاز العددي للقرآن الكريم أجزاء (١ ـ ٣) ـ عبد الرزاق نوفل .

١٣ ـ مشكاة المصابيح جزء ٢ باب (مايحل أكله وما يحرم) ـ للتبريزي تحقيق محمد ناصر الدين الألباني ـ منشورات المكتب الإسلامي .

١٤ ـ زاد المعاد في هدي خير العباد ـ الإمام الحافظ أبي عبد الله بن القيم الجوزي المجلد الثاني ص (٩٩/١٠٠) دار الفكر بيروت .

١٥ ـ تفسير المؤمنين ـ أعده عبد الودود يوسف ـ راجعه الدكتور مصطفى الخن .

١٦ ـ تفسير الطبري .

١٧ ـ تفسير ابن كثير .

١٨ ـ اليهود في القرآن عبد الكريم الخطيب ط ١٩٧٤/١ ، دار الشروق .

١٩ ـ الإسلام يتحدى وحيد الدين خان ـ ط ١٩٧٣/٢ ، دار البحوث العلمية الباب السابع ـ تقسيم لآيات القرآن . ثالثاً : علم الأغذية ص ١٥٢/١٥١

٢٠ ـ الجمال في تشبيهات القرآن ـ لابن ناقيا البغدادي ـ تحقيق الأستاذ مصطفى الصاوي الجويني .

٢١ ـ القرآن وقضايا الإنسان ـ بنت الشاطئ ط ١٩٧٨/٣م العلم للملايين .

٢٢ ـ صلة القرآن باليهودية والمسيحية ـ د . ڤلهلم رودلف ط ١٩٧٤/١ دار الطليعة بيروت ـ ترجمه عن الألمانية عصام الدين حنفي ناصف .

٢٣ ـ معجزة القرآن الكريم ـ المختار الإسلامي ط ١٩٧٨/١ ـ الشيخ محمد متولي الشعراوي .

٢٤ ـ إلى القرآن الكريم ـ الإمام الأكبر محمود شلتوت ١٩٧٥ الشروق .

٢٥ ـ رحلة عبر الغيب ـ بين آيات القرآن وصفحات الكون ـ عبد الكريم عثمان .

٢٦ ـ قصص القرآن في مواجهة أدب الرواية والمسرح ـ أحمد موسى سالم ـ الجيل بيروت .

٢٧ ـ قصص من القرآن ـ محمود زهران ـ مكتبة غريب .

٢٨ ـ الإتقان في علوم القرآن ـ جلال الدين السيوطي ١٩٧٣ ، المكتبة الثقافية .

٢٩ ـ المفردات في غريب القرآن ـ أبو القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني مصطفى البابي الحلبي ـ القاهرة ١٩٦١ .

٣٠ ـ لباب النقول في أسباب النزول ـ جلال الدين السيوطي ط ١٩٧٨/١ ، إحياء العلوم بيروت .

٣١ ـ التعبير الفني في القرآن ـ د . بكري شيخ أمين ط ١٩٧٩/٣ ـ دار الشروق .

٣٢ ـ مع القرآن في عالمه الرحيب ـ د . عماد الدين خليل ـ دار العلم للملايين رحلة مع عالم الحيوان في كتاب الله ص (١٧١ ـ ١٩٦) .

٣٣ ـ الخطايا في نظر الإسلام ـ عفيف عبد الفتاح طبارة ـ ط ١٩٧٧/٢ دار العلم الفصل الثاني : المشاكل المحرمة ـ ص (١١١ ـ ١١٨) .

٣٤ ـ القرآن الكريم والتوراة والإنجيل والعلم ـ دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة ـ تأليف موريس بوكاي ـ ط ١٩٧٧/٤ دار المعارف .

٣٥ ـ من إشارات العلوم في القرآن عبد العزيز سيد الأهل ط ١٩٧٢/١ النهضة الحديثة بيروت .

٣٦ ـ شرح الإشارات القرآنية حول آيات الكون باستخدام تفاصيل العلوم الحديثة ـ وحيد الدين خان ـ نحو تدوين جديد للعلوم الإسلامية ـ ط ١٩٧٨/١ المختار الإسلامي .

٣٧ ـ التفسير العصري للقرآن د . مصطفى محمود .

٣٨ ـ شطحات مصطفى محمود في تفسيراته العصرية للقرآن ـ عبد المتعال محمد الجبري ـ ط ١٩٧٩/٢ ـ دار الاعتصام .

٣٩ ـ تفسير القرآن المرتب ، منهج لليسر التربوي د . أسعد أحمد علي ط ١٩٧٩/١ ـ دار السؤال دمشق .

٤٠ ـ نماذج من الإعجاز العلمي للقرآن . مطبوعات الشعب طبعة مارس ١٩٧٥ ، إعداد د . أحمد عبد السلام الكرداني ـ عن كتابات د . محمد أحمد الغمراوي .

٤١ ـ مع الله ـ دراسة في الدعوة والدعاة ـ محمد الغزالي ـ دار الكتب الحديثة طبعة ٣ .

٤٢ ـ موسوعة عباس محمود العقاد الإسلامية .

٤٣ ـ في سبيل موسوعة علمية د . أحمد زكي .

٤٤ ـ مع الله في الأرض د . أحمد زكي .

٤٥ ـ كتاب فقه السنة المجلد (١ ـ ٢) تأليف سيد سابق .

٤٦ ـ كتاب دائرة المعارف العربية ـ المعلم بطرس البستاني ـ دار المعارف بيروت .

٤٧ ـ مشكاة المصابيح ـ للتبريزي ـ كتاب الصيد والذبائح جزء (٢) ص (٤٢٢ ـ ٤٤٠) .

٤٨ ـ كتاب فقه اللغة وسر العربية ـ الإمام أبو منصور إسماعيل الثعالبي النيسابوري دار الباز للنشر والتوزيع ـ مكة المكرمة .

٤٩ ـ كتاب الحيوان جزء (١ ـ ٧) أبو عثمان عمر بن بحر الجاحظ .

٥٠ ـ حياة الحيوان الكبرى ـ جزء ١ ط ١٩٧٠/٤ ـ كمال الدين محمد بن موسى الدميري .

٥١ ـ عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات ـ زكريا القزويني ط ٣ / الآفاق الجديدة ، تقديم وتحقيق : فاروق سعد .

٥٢ ـ إخوان الصفا ـ رسالة تداعي الحيوان على الإنسان ط ١٩٧٧/١ الآفاق الجديدة .

٥٣ ـ الدين الحق وبني إسرائيل د . صابر طعيمة ـ ط ١٩٧٩/١ ، دار الجيل بيروت .

٥٤ ـ موسوعة المعرفة ، المجلدات (١ ـ ١٨) .

(أ) العالم من حولنا

من الحشيش إلى الحليب	٢٣٩٠ ـ ٢٣٩١ / ١٣

(ب) علم الحيوان

الحيوانات في فصل الشتاء (النوم العميق)	١٥٢ ـ ١٥٣ / ١
كيف تتحرك الحيوانات	١٦٨ ـ ١٦٩ / ١
تأثير الحيوانات على الطبيعة	٢٤٨ ـ ٢٤٩ / ٢
التخفيض الطبيعي عند الحيوانات	٢٦٣ ـ ٢٦٥ / ٢
الحوت	٧٧٧ ـ ٧٧٩ / ٥
حياة النحل	١٤٩٥ ـ ١٤٩٧ / ٨
النمل	١٥٥٩ ـ ١٥٦١ / ٩
عش النمل	١٥٩١ ـ ١٥٩٣ / ٩
الجمل	٢٥١٠ ـ ٢٥١١ / ١٤

العنكبوت ٢٥٥٢ ـ ٢٥٥٣ / ١٤
الحيوانات المجترة ٢٦٧٨ ـ ٢٦٨١ / ١٤
النمل الأبيض ٢٦٨٦ ـ ٢٦٨٧ / ١٤
الدراقيل ٣٠٠٠ ـ ٣٠٠١ / ١٦
مصارعة الثيران ٣١٩٧ ـ ٣١٩٩ / ١٧

٥٥ ـ العسل فيه شفاء للناس د . محمد نزار الدقر ١٩٧٣ ـ دار الكتب العربية .

٥٦ ـ نحل العسل ـ د . محمد عباس عبد اللطيف ١٩٧٣ ـ دار المطبوعات الجديدة .

٥٧ ـ كيمياء الألبان ـ د . إبراهيم سالم الحجراوي ١٩٦٩ ـ دار المعارف بمصر .

٥٨ ـ الطيور ـ لوجر نوري ـ بيرسون ومحرري (لايف) المكتبة العلمية ترجمة محمد فوزي حسين .

٥٩ ـ مع الله ـ نظرات في الكون والحياة . عبد الجواد رجب ـ ط ١٩٧٤/٢ الاعتصام .

٦٠ ـ في رحاب الكون ـ د . عبد الحليم محمود ـ دار الإسلام القاهرة .

٦١ ـ الصيد عند العرب (أدواته وطرقه ، حيوانه ، الصائد والصيد) د . عبد الرحمن رأفت الباشا مؤسسة الرسالة ودار النفائس بيروت ١٩٧٤ .

٦٢ ـ مكانة العلم والعلماء في الإسلام . علي أحمد الشحات ـ دار إحياء الكتب العربية .

٦٣ ـ النحلة تسبح الله بلغة العلم ولسان الواقع ـ محمد حسن الحمصي ط ١٩٧٧/٣ دار رشيد .

٦٤ ـ أساسيات العلوم الذرية في التراث الإسلامي ـ مهندس أحمد عبد الوهاب ط ١٩٧٧/١ ـ مكتبة وهبة .

٦٥ ـ غريزة أم تقدير إلهي !! شوقي أبو خليل ط ١٩٧٥/١ دار الفكر دمشق .

٦٦ ـ كل ... لا تأكل ـ د . بول غليونجي ـ اقرأ سبتمبر ١٩٧٩ .

٦٧ ـ حكم الإسلام في النظر ص (٨٣) محمد أديب كلكل ، ط ٢ مكتبة الدعوة .

٦٨ ـ الطب النبوي ـ شمس الدين محمد بن قيم الجوزية ـ دار الكتب العلمية بيروت .

٦٩ ـ الإنسان ذلك المجهول ـ ألكسيس كاريل ـ ترجمة عادل شفيق ، كسب جائزة نوبل .

٧٠ ـ لماذا ظهر الإسلام في جزيرة العرب ـ أحمد موسى سالم ـ ط ١ ١٩٧٧ ـ الجيل بيروت .

٧١ ـ الغذاء ... لا الدواء ـ د . صبري القباني ط ١٠٠/١٩٧٧ ـ العلم للملايين .

٧٢ ـ عالم الأسماك ـ د . أنور عبد العليم ـ العلم للجميع ١٩٧٠ .

٧٣ ـ الحشرات والإنسان د . عفيفي محمود ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥/٨/٥ .

٧٤ ـ ألوان من أحياء البحر د . محمد رشاد الطوبي ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ١٩٦٥/١٠/١ .

٧٥ ـ أساسيات علم الوراثة ـ د . عبد العظيم طنطاوي ـ د . علي حامد محمد . دار المعارف بمصر .

٧٦ ـ الطب محراب الإيمان (جزأين) د . خالص حلبي ، دار الكتب العربية بيروت .

٧٧ ـ الحرب والسلم في شرعة الإسلام د . مجيد خدوري ط ١٩٧٣/١ ـ الدار المتحدة للنشر بيروت .

٧٨ ـ شخصية الحيوان تأليف هـ ـ مونرو فوكس . ترجمه د . فتحي مصطفى الغزاوي مطبعة النهضة مصر .

٧٩ ـ الفتاوى ـ الشيخ شلتوت .

٨٠ ـ (القرطبي ٣٣٥/٦ ، وابن كثير ١٠٧/٣) بحيرة وسائبة وحام ووصيلة ...

٨١ ـ الذبائح في الشريعة الإسلامية ، عبد الله عبد الرحمن العبادي ط/١ النهضة المصرية .

٨٢ ـ الطب الوقائي في الإسلام ، د . أحمد شوقي الفنجري ، ص ٢١٤ / ٢٢٧ ...

٨٣ ـ الطيور المهاجرة ص (١١٣/٩١) ، مجلة الفيصل العدد ٨ السنة الأولى صفر ١٣٩٨ هـ .

المجلات

٨٤ ـ ما حكم الدين في اللحوم المحفوظة ص (٧٩) مجلة أكتوبر العدد ١٣٤ مايو ١٩٧٩ ، إجابة الشيخ مصطفى الحديد الطبرقي .

٨٥ ـ رأي ... وخبر ص ٥ ، مجلة الغرباء العدد ٦/٥ أبريل ١٩٧٨ .

٨٦ ـ حكم الإسلام في ذبائح أهل الكتاب ص (٢٥ ـ ٣٥) مجلة الدوحة العدد ٣٩ ، مارس ١٩٧٩ ، الشيخ عبد الله بن زيد آل محمود .

٨٧ ـ أحلاف دفاعية لم تعقدها البشرية ص (١٢٨ ـ ١٣٣) مجلة الفيصل العدد ٢٦ يوليو ١٩٧٩ ترجمة د . عبد المحسن صالح .

٨٨ ـ النحل . ص (١٣٤ ـ ١٣٨) مجلة الفيصل العدد (٢٦) يوليو ٧٩ ترجمة د . أحمد عبد القادر المهندس .

٨٩ ـ كوب من اللبن على مائدتك فيه غذاء ... وشفاء ص (٢٥) مجلة الدعوة العدد (٤٣) ، ديسمبر ٧٩ ، د . أحمد عبد الرؤوف .

٩٠ ـ الكباش تناطح ... والناس تستمع . ص (٤٣) مجلة الخرطوم مايو ١٩٧٩ .

٩١ ـ أبقار الهند المقدسة ص (٤٩) مجلة النيوزويك ١٩٧٩/٦/٤ .

٩٢ ـ سقوط إسكاي لاب تمثيلية ناجحة وضعها البيت الأبيض وأخرجها (الناسا) ص (٦٤) مجلة الحوادث العدد ١١٨٥ يونيو ١٩٧٩ .

٩٣ ـ لماذا امتاز عسل النحل بخصائص فريدة جعلت منه شفاء للناس ص ٣٤ ، ٣٥ ، مجلة الدعوة العدد الخامس نوفمبر ١٩٧٦ .

٩٤ ـ عسل النحل شراب مختلف ألوانه وفيه شفاء للناس ، مجلة العربي (العربي الصغير) العدد ٢٠٩ ، ٢٠ جمادى الأولى ١٣٩٧ هـ .

٩٥ ـ فيه شفاء للناس ص (١٣١ ـ ١٣٣) مجلة الفيصل مارس ١٩٨٠ ، د . عبد المحسن صالح .

المراجع الأجنبية

96 - FOOD AND MAN (MARIAM E - LOWENBERY ET AL)
2 ND EDDITION.
5 - FOOD MAN AND RELIGION (PAGE 193). ,

97 - GRZIMEK'S ANIMAL LIFE ENCYCLOPAEDIA
VOLUME 13 - MAMMALS IV
CAMELS AND LIAMAS (PAGE 130 - 148)

98 - HISTOLOGY AND THE VERTIBRATES
ACOMPARATIVE TEAT= (ANDREW AND HICKMAN)
MOSBY - SAIMT LOUIS 1974
CAMEL (PAGES 55, 178, 305, 156)

99 - ECOLOGICAL BIOLOGY I (ORGANISMS AND THEIR ENVIORNMENT)
D - W - EWER AND J - B - HALL.
LONGMAN GROUP LIMITED - LONDON 1975
THE CAMEL (PAGE 294 - 295)

100 - (E - B) -- ENCYCLOPAEDIA BRITANICA
- ACCLIMATIZATION TO DRYNESS 1: 34 e -
- ADAPTATION TO DESERT ENVIORNMENT 5: 619 a -
- BODY TEMPERATURE REGULATION 14: 998 a -
- DRAFT ANIMAL SPECIALIZATION IN ARID REGION 5: 970h.

101 - MODERN DAIRY CATTLE MANAGEMENT RICHARD F -DAVIS
ENGLEWOOD CLIFFS - N - J - 1962
MILK SECRETION - HARVESTING THE MILK CROP
(PAGE 17 - 18)

102 - CONCEPTS AND ZOOLOGY.
A - M. WINCHESTER.
(VNR) VAN NOSRAND REINHOLD.

103 - ENCYCLOPAEDIA AND ISLAM
LEIDEN, E - F - BRILL
HAYAWAN III (PAGE 304 - 314)

104 - THE ANTS ; BY:- WILHELM GOETSH
ANN ARBOR
THE UNIVERSITY AND MICHIGAN PRESS -

105 - BEE WORLD (JUR.) VOL. 28 NO - I 1977
PHORAMENES AND THE QUEEN HONEY BEE IN BIOLOGICAL PEST

CONTROL.
BY = JANINE PAIN, (PAGE 41 - 45)

106 - THE SCIENCE AND ANIMAL HUSBANDRY
JAMES BLAK
DAVID - H - BADE
RESTON PUBLISHING CO - INCO -
RESTON VIRGENIA
KOSHER SLAUGHTER (PAGE 119)

107 - TEMPERATURE AND ANIMAL LIFE -
BY = RICHARD - N - HARDY
EDWARD ARNOLD LTD.
ADAPTATION TO HOT ENVIORNMENT (PAGE 43 - 62)

108 - STORRY J - E AND SULTON, J - D (1969) b.
BR - JUR - NUT. 19, 101 (1965)

109 - STORRY J - E AND SULTON, J - D - (1969) b -
BR - JUR - NUT - 23, 511 (1969)

110 - THE STRUCTURE OF MEAT ANIMALS
BY: RODERICK MACGREGOR
2 ND EDDITION
LONDON TECHNICAL PRESS

111 - ANIMAL DISPERSSION IN RELATION TO SOCIAL BEHAVIOR
V- C- WYNNE. EDWARDS -

112 - PRINCIPLES OF CATTLE PRODUCTION
HENERY SWAN AND W- H- BROSTER
BUTTER WORTH, LONDON 1975
- MILK BIOSYNTHESIS (PAGE 183)
- ENERGY SUPPLY FROM THE DIGESTIVE TRACT OF CATTLE (PAGE 121)

113 - ENCYCLOPAEDIA OF ISLAMIC MEDICINE
BY: DR - HASSAN KAMAL -

114 - SPIDERS BY: RALPH WHITLOCK
PRIORY PRESS LIMITED.

115 - ANTS BY: ANTHONY WOOTTON
PRIORY PRESS LIMITED.

الفهرس

الموضوع		الصفحة
إهداء		٥
تقديم		٧
تصدير		١٣
الباب الأول :	الأنعام والدواب	٣٣
	الإبل	٤٥
	بقرة وعجل	٥٥
	العضيلة الخيلية	٦٢
	الكلب	٧٤
الباب الثاني :	الطيور	٨١
الباب الثالث :	الحشرات والعنكبوتيات	٩٣
	الجراد والفراش	٩٨
	البعوض والذباب	١٠٢
	النحل	١٠٦
	النمل	١١٦
	العنكبوت	١٢٠
الباب الرابع :	عالم البحار	١٣١
	اللؤلؤ والمرجان	١٤٢
	صيد البحر	١٤٥
الباب الخامس :	في مصانع الخلايا الحية	١٤٧

	عسل النحل	١٥٠
	اللبن	١٥٨
	روائح وحلي	١٦٢
الباب السادس :	الحيوان وقصص القرآن	١٦٥
	(أ) أصحاب الفيل	١٦٧
	(ب) ذئب يوسف	١٦٨
	(جـ) عصاة موسى	١٦٩
	(د) ذبح الفداء	١٧١
	(هـ) الضأن والمعز	١٧٢
الباب السابع :	مواضع يتبادر فيها الحيوان للذهن	١٧٥
الباب الثامن :	الحلال والحرام	١٩٣
	أوفوا بالعقود	٢٠١
	الميتة	٢٠٦
	الدم السائل المسفوح	٢٠٧
	لحم الخنزير	٢٠٨
	ما أهل به لغير الله	٢١٣
	تذكية الذبائح	٢١٤
	وذبائح أهل الكتاب حلال أكلها	٢١٥
	الصيد	٢٢٠
الباب التاسع :	الرفق بالحيوان	٢٢٣
	من أمثلة تعذيب الحيوان للمتعة	٢٣٢
الباب العاشر :	طبيعة الحياة والموت وحقيقة البعث	٢٣٧
الفهارس :		٢٤٧